كيم بو يونج

مكتبة

أنا في انتظارك



أدب كوري
حديث

ترجمة:
محمد نجيب

المحروسة

أنا في انتظارك

كيم بو يونج

عنوان الكتاب: أنا في انتظارك 당신을 기다리고 있어
المؤلفة: كيم بو يونج Kim Bo-Young
ترجمة: محمد نجيب
مراجعة لغوية: محمود شرف
إخراج داخلي: رشا عبدالله



قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 28432157 02 002

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١١٧٥٧ / ٢٠٢٣
الترقيم الدولى: 978-977-313-970-4

This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea).

قصص - خيال علمي



أنا في انتظارك

كيم بو يونج

ترجمة عن الكوريَّة

محمد نجيب

الطبعة الأولى 2023





بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كيم بو يونج
أنا في انتظارك رواية/ كيم بو يونج؛ ترجمة/ محمد نجيب.-ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023
379 ص؛ 21.5×14.5 سم
تدمك 978-977-313-970-4
1 - القصص الكورية
2 - القصص العلمية
3 - القصص الخيالية
أ- نجيب، محمد (مترجم)
ب- العنوان
895.73
رقم الإيداع 2023/11757

"كتابة كيم بو يونج أشبه بقطعة فنية سينمائية تخطف الأنفاس. تُذكِّرنا بالعالم الذي عشناه في أفلام على غرار ماتريكس، واستهلال Inception، ومدينة الظلام Dark City، لكنها لا تزال تقودنا إلى هذا البناء الأصيل تمامًا. كتابة بو يونج تجربة أدبية صوفية الأفكار، وسينمائية رائدة في ابتكار عوالمها. باختصار: قوية ورشيقة وباهرة".

بونج جون-هو

مخرج فيلم الطفيلي (Parasite)

الحائز جائزة الأوسكار

إهداء

إلى عشيقين..

إلى كل العُشّاق.

أنا في انتظارك

استهلال

أرى الأمـر كذلـك؛ حـب شـخص يعنـي حـبٌّ الكـون كلـه. وعندمـا تفعـل شـيئًا مـن أجل شـخص، فإنـك تفعـل شـيئًا مـن أجـل الكـون كلـه. هديـة إلى شـخص بمثابـة هديـة للجميـع.

1

أنا في انتظاركَ

رسالته الـ 1

يوم 1 من بداية الرحلة

بعد يوم 1 بتوقيت الأرض

قلتُ وداعًا لأصدقائي لأنهم لن يروني حتى حفل الزفاف. أي بعد أربع سنوات وستة أشهر، على وجه الدِّقَّة. قالوا جميعًا إنهم سيأتون. التقطنا الصور، وأعطيت كل واحدٍ إطارًا جلديًّا صغيرًا في نهايته طَوقٌ قصير للاحتفاظ بالصور فيه. أعطاها إيَّاي مالِكُ قاعة الزفاف مجانًا عندما دفعت عربون حجز القاعة. أخبرتهم أن يحضروا إلى الحفل وهم يعلِّقون الصور حول أعناقهم حتى لا أضطرَّ للتَّجوُّل وسؤال كل واحد منهم عن هويته. سخروا مني أيضًا.

"لا بُدَّ أن الزواج عظيم. ترك أصدقاءك المزعجين وراءك، هاه؟".

"أنتم يا مَن تتزوجون بين النجوم خَوَنة جميعًا".

أخبرتهم أنه لن يكون وقتًا سهلًا بالنسبة لي أيضًا. كدتُ أتلقى لكمة من أحدهم عندما أضفت أن الأمر سيستغرق ثمانية أسابيع كاملة للوصول إلى يوم زفافنا: شهرًا للوصول إلى سرعة الضوء، وشهرًا للإبطاء بدرجة كافية تسمح بهبوط آمِن. هذه هي الطريقة التي يعمل بها السفر ما بين النجوم. وهذا حتى مع أحدث محرِّك وآخر صيحة من أجهزة التحكم في الجاذبية. تستغرق الرحلة دائمًا شهرين على الأقل، مهما كانت السفينة مذهلة.

أتذكر كيف كنتِ قلقةً قبل مغادرتك إلى "ألفا سينتوري" مع عائلتك قبل أربع سنوات ونصف.

سألتِني: "هل أنتَ متأكِّد أنك ستكون بخير؟ ستكون أربعة أشهر فقط بالنسبة لي، ولكن أكثر من أربع سنوات ونصف بالنسبة لكَ. وهذا على افتراض أنك ستقوم برحلة فضائية من أجل تقليص مدة الانتظار بمقدار النصف. لن يكون الأمر سهلًا، كما تعلم".

قلتُ: "سأكون بخير". تلامَسَت جبهتانا. حاوَلتُ أن أدفعكِ إلى الضحك: "حالفَكِ الحَظُّ حقًّا، أليس كذلك؟! عندما نلتقي مجدَّدًا سأكون أكبر منك بعامين، بدلًا من العكس". منحتِني أخيرًا ابتسامة بريئة.

مازحني أصدقائي: "أنت تعرف ما يقولونه. يسترخي الناس حقًّا بعد رحلة ما بين النجوم. إمَّا ذلك وإمَّا يصابون بالجنون. لا بُدَّ أن الأمر يتعلق بقضاء شهور في أقاصي العالم دون القيام بأي شيء فِعليٍّ".

أخبرتهم أنه لن يكون لديَّ وقت للكسل والاسترخاء. سيكون أمامي عمل شهرين لأنجزه. دفاتر الموازنة لأفرزها، وتحليل بيانات الحسابات، وإعداد بحث عن منافِسي شركتي، وأرقام المبيعات. لأكون صريحًا، سيكون كل شيء قد عفا عليه الزمن في غضون أربع سنوات ونصف، لكن كما قالوا في المكتب، لا يتوقَّعون الكثير مني حقًّا. سوف يتطلَّعون فقط إلى معرفة ما إنْ كنت قد بذلت مجهودًا.

التقيت ببعض العِرسان المقبلين على الزواج مثلي على متن السفينة، وقرَّرنا جميعًا مشاركة قمرة واحدة. كل ليلة نسهر، نتحدث ونمزح ونتباهى بخطيباتنا. لن تصدقي كم هم رومانسيون بطريقة بائسة هؤلاء الرجال؛ تراءى لي المكان بفضل هؤلاء الرومانسيين المفرطين في رومانسيتهم أشبهَ بكعكة زفاف. علَّقوا شرائط وأزهارًا ورقية في أرجاء القمرة، وكان على مضيفات السفينة ملاحقتهم في الأنحاء وهم يعلِّقون كل شيء فوق الجدران بالأشرطة اللاصقة.. أوضَحَت إحدى المضيفات

أنـه عنـد توقُّـف تَسـارُع السـفينة، سـتنعدم الجاذبيـة، وسـتكون الغرفـة عندئـذ في حالـة مـن الفـوضى.

بالحديـث عـن الرومانسـيين البائسـين، اشـتريت شـيئًا لـكِ في سـوق السـلع المسـتعملة عـلى مـتن السـفينة. أطلقـت عليـه البائعـةً اسـم "خاتـم موسـيقيٌّ". وقالـت إنهـا تسـتطيع تخزيـن الأغـاني التـي أريدهـا فيـه. فكَّـرت في القليـل مـن الأغـاني مـن أجلـكِ، وجعلتُهـا تُخزِّنهـا في الخاتـم. إنْ ضغطـتِ عـلى الحليـة، فستشـغلين إحـدى الأغـاني. آمـل أن تسـتمعي إليهـا.

سـفينة الفضـاء مثـل مدينـة صغـيرة. تحـوي سـوق سـلع مسـتعملة ومقاهـي. بالتأكيـد، الشركـة التـي أعمـل لصالحهـا تصنـع أجـزاءً مـن السـفن الفضائيـة، لكننـي لم أرَ أبـدًا سـوى الأجـزاء منفـردة، ولم أرَ قَـطُّ الأجـزاء جميعًـا وهـي مجمَّعـة ومُثبَّتـة معًـا. اسـتمتعت بقـراءة تعليـمات المسـتخدم لأجـزاء السـفينة المختلفـة، المطبوعـة عـلى ملصقـات مُعلَّقـة في أرجـاء السـفينة. أنـا مَـن حرَّرهـا. حتـى إننـي التقطـت بعـض الصـور لأبـين لأصدقـائي أهميـة عمـلي عـلى أرض الواقـع.

ومـع ذلـك، انتابنـي الضجـر بعـد يـوم تقريبًـا عـلى مـتن السـفينة. فكَّـرتُ في أننـي سـأتمكَّن مـن رؤيـة الكثـير مـن النجـوم في الفضـاء، لكننـي لم أسـتطع رؤيـة ولـو نجـم عندمـا سـنحت لي الفرصـة للنظـر مـن النافـذة. تعرفـين كيـف لا يمكنـك رؤيـة أي شيء عندمـا تكونـين في منـزلٍ إضاءتـه باهـرة وخارجَـه مُظلِـم؟ حسـنًا، إنـه ليـلٌ سَرمـديٌّ في الفضـاء. لكـن لا بـأس في ذلـك. الرحلـة لـن تـدوم سـوى شـهرين.

يطلـق الأشـخاص الموجـودون عـلى مـتن السـفينة عـلى هـذه الطريـق "مـدار الانتظـار". ترسـم الطريـق مسـارًا أشـبه بالحلـزون حـول الشـمس، ثـم تعـود إلى المـكان الـذي غـادَرَت منـه.

الجميع على متن السفينة يهاجرون إلى زمان مختلف، وليس إلى مكان مختلف. محاولة الوصول إلى المستقبل بشكل أسرع، لأيٍّ سبب كان. بعض الأشخاص يسافرون إلى العام الذي تتبلور فيه خطط تقاعدهم، ويأمل آخرون في أن تنخفض الضرائب العقارية أثناء مدة سفرهم. ويوجد أيضًا فنانون يعتقدون أنهم وُلِدوا في العصر الخطأ. حتى إنني قابلت طالبًا في المدرسة الثانوية ينتظر تطبيق امتحان القبول بالجامعة الجديد الذي من المفترض أن يُوضع حيِّز التنفيذ. وثمة حمقى آخرون مثلي، بالطبع، يسافرون من أجل الرجوع إلى الأرض في التوقيت نفسه الذي تسافر فيه خطيباتهم إلى هناك، قادمات من أنظمة نجمية أخرى.

سيكون العام الذي ينتهي بنا المطاف فيه جميعًا أفضل من العام الذي غادرنا فيه. يُفترض أن لا يكون التحيُّز ضد الأشخاص العائدين من أنظمة نجمية أخرى بهذا السوء، كما أن المعاشات ومستوى الرفاهية سيكون قد تحسَّن أيضًا. ستنهمك خلية البشر المكتظَّة على الأرض في تجميع الأشياء معًا، وتفكيكها، وإصلاحها، في الوقت المناسب لنا لكي ننتفع منها فور رجوعنا. مع أنني أعتقد أن هذا نوع السلوك الذي يحتقره الناس بقولهم "الصعود على أكتاف الآخرين".

قد أبدو مبالِغًا، لكن عندما أفكر في حفل زفافنا، يتملَّكني حماسٌ شديد، لدرجة أنني أعجز عن النوم. أتقلَّب وأستدير في سريري كطفل صغير، وأحتضن وسادتي بقوة، وأدندن إلى نفسي حتى أنام. عندما أفتح عيني في الصباح، أتخيَّلكِ مستلقية بجانبي. حتى مجرد تخيُّلنا هكذا يغمرني بالسرور. أحيانًا أختبئ تحت البطانيات، وأحلم كيف سيبدو أن أكون أبًا. حتى إنني أتخيَّل طفلًا يتلوَّى على السرير بيننا. لا أعرف كيف سأتمكَّن من الانتظار شهرين آخرين. يوم آخر واحد يصعب تحمُّله. أتمنى أن أكون معكِ الآن.

أُحِبكِ.

رسالته الـ 2

بعد شهر من بداية الرحلة

بعد حوالي 4 سنوات 4 أشهر بتوقيت الأرض

تلقَّيتُ رسالتك فقط عندما وصلنا إلى سرعة الضوء. إذًا ستصلين إلى الأرض بعد شهرين من الموعد المخطَّط له. لا، بعد ثلاثة أشهر بتوقيت الأرض...

لا بأس. لم يكن بوسعك فعل أي شيء عندما تلقَّت سفينتكِ إشارة استغاثة مع عدم وجود سفن أخرى في الجوار لتستقبل المكالمة. قال أحد الحاضرين هنا: "هذا ليس شائعًا، ولكنه ليس نادرًا أيضًا". ماذا يعني ذلك حتى؟ أعتقد أنه كان يعني أنه رغم لا محدودية الكون، تقع طرق السفر على إحداثيات ثابتة ومعلومة؛ لذا تحدث أشياء من هذا القبيل في بعض الأحيان.

سألت عمَّا إنْ كان بإمكانهم تمديد رحلتنا قليلًا حتى لا أُجبَر على الانتظار طوال الأشهر الثلاثة على الأرض، لكنهم قالوا إنَّ ذلك غير ممكن. الجدول الزمني للسفينة ثابت، ولا يوجد خيار آخر، سأضطرُّ فقط إلى الانتظار لمدة ثلاثة أشهر بعد هبوطنا.

كنت أنظر من النافذة، شاعرًا بالاكتئاب، عندما رأيت سفينة تجارية متصلة بسفينتنا. كانت صناديق الوجبات الخفيفة وأكياس الطرود تُنقل بين السفينتين. حدَّقتُ في السفينة التجارية مدَّةً من

الوقـت، ولكـن فجـأة عُـدت إلى صـوابي. سـألت إلى أيـن تتجـه، وشرح لي أحدهـم أنهـا سـفينة تمـرُّ عـلى سـفن الـرُّكَّاب، حتـى تبيـع البضائـع. سـألت عـن اليـوم المحـدد لعودتهـا إلى الأرض، وهـل تصدِّقـين؟! كان بعـد ثلاثـة أشـهر بالضبـط! وكأننـي فـزت باليانصيـب.

تسـبَّبت في بعـض الجلبـة عندمـا قلـت إننـي سـأنتقل إلى السـفينة الأخـرى. لم أسـتطع رؤيـة أيـن تكمـن المشـكلة.

سـألتُ: "لمـاذا لا يمكننـي تغيـير السـفن؟ هـا هـي السـفينة التـي أرغـب في الانتقـال إليها".

جـار قبطـان السـفينة: "قـد تبـدو لـك تلـك السـفينة ثابتـةً، لكننـا نتحـرَّك حاليًّـا بسرعـة 293000 كيلومـتر في الثانيـة. الأعاصـير التـي تدمِّـر المبـاني السـكنية تنطلـق بسرعـة عـشرات الكيلومـترات فقـط في الثانيـة في أقـصي تقديـر". كان فـارعَ القامـة لدرجـة أنـه فاقنـي طـولًا، وبـدا وكأنـه محـارب لا يعـرف الرحمـة. أتمنـى أن أريـكِ وجهـه. كان ليتأقلـم مـع الحيـاة في أحـد سـهول منشـوريا حيـث سـيقضي وقتـه هنـاك في قطـع رؤوس النـاس مـن عـلى صهـوة حصـان يعـدو... لـو كان قـد وُلِـد فقـط في العـصر المناسـب.

سـألت لمـاذا لا يسـتطيع النـاس الانتقـال ذهابًـا وإيابًـا بـين السـفينتين في حـين تسـتطيع الأشـياء الجامـدة. قـال إنهـم لا يسـتطيعون فحسـب. سـألته لمـاذا لا، قـال: لأنـه لم يحـدث مـن قبـل قـطُّ.

رفضـت الاستسـلام وواصلـت قائـلًا: "الأرض تـدور حـول الشـمس بسرعـة ثلاثـين كيلـو مـترًا في الثانيـة، والشـمس تـدور حـول المجـرة بسرعـة مائتـين وعشريـن كيلـو مـترًا في الثانيـة. مجرَّتنـا تُحلِّـق تجـاه عنقـود مجـرى

العذراء[1] بسرعة ستمائة كيلو متر في الثانية. لكن ذلك لا يهدِّد وجود المباني السكنية على الأرض، أليس كذلك؟".

رغم مجهوداتي الضنينة، ظلَّ يُصرُّ قائلًا إنه لا ذِكرَ للأمر في التعليمات.

ما حلمت قطُّ في أبشع كوابيسي أنني سأضطرُّ إلى العيش ثلاثة شهور أخرى من دونكِ. شرحت للقبطان أنني عريس في طريقه إلى عروسه، وأنه لو كان عليَّ الانتظار لثلاثة شهور إضافية، فلربَّما سأنكمش مقهورًا وأموت. أخبرته أنه لو قتلني الانتظار، فسأصبح روحًا عزباء، هائمة، توَّاقة للانتقام، تجُول الكونَ بشعور عدم ارتياح أبديٍّ، وتطارده في أحلامه كل ليلة.

لحسن الحظ، لم يَبدُ أنه قد فهم كلمة واحدة ممَّا قلتُ.

فقط بعد أن غيَّرت السفن الفضائية، تساءلتُ إن كنتُ قد اقترفت خطأ. كانت قاعة زفافنا محجوزة في ذلك التاريخ، وقد دفعت عربونًا ضخمًا .

مَن يعرف إن كانت الرسالة بأننا نحتاج إلي تأجيل الزفاف مدة ثلاثة شهور ستصل إليهم؟ وماذا بوسعنا أن نفعل لو رفضوا إرجاع العربون إلينا؟

يعتريني القلق بشأن المستأجرين الذين أجَّرتُ لهم شقتي على الأرض. كان الاتفاق أن يعيشوا هناك مدة أربعة سنوات ونصف ثم يُخلوا الشقة. لكن لو ذهبوا من وراء ظهري، وادَّعوا حقَّهم في ملكية

(1) عنقود مجرى العذراء: تَجمُّع عظيم للمجرَّات يبعد عن مجرَّتنا نحو تسع وخمسين مليون سنة ضوئية بالمقارنة بقُطر مَجرَّة درب التَّبانة الذي يبلغ نحو 110 ألف سنة ضوئية. ويوجد هذا التجمع في كوكبة العذراء. ويحوي التجمُّع نحوَ 1300 وربما 2000 من المجرَّات. (المترجم)

الشـقة لأننـي لم أرجـع في التاريـخ الـذي حدَّدتُـه؟ عـليَّ أن أهـرول إلى البيـت مبـاشرة بمجـرد هبوطـي في الميـناء الفضـائي.

عـلى مـتن السـفينة، لا تشـعرين بأنـك تتحرّكـين. لا ريـاح أو ضوضـاء. والنجـوم تميـل دائمًـا إلى أحـد الجوانـب، وتمـرق كلمـح البـصر عـبر النافـذة. كل نجـوم الكـون تتـلألأ في مـكان واحـد. هنـا، الكـون بأكملـه، الأرض، ومنـزلي، وأصدقـائي يمرقـون أمامـي بسرعـة الضـوء، في حـين ينتابنـي إحسـاسٌ أننـي -أنـا- أقـف في سـكون تـام. الزمـن بـدوره يقـف سـاكنًا بالنسـبة إليَّ.

قـال أحدهـم مـرة إن المـكان والزمـان في الواقـع الـشيء ذاتـه. هـذا يعنـي أن السـفر إلى زمـنٍ مختلـفٍ يضاهـي السـفر إلى مـكان مختلـف.

عـاش أبي حياتـه كلهـا في بلدتـه الأم، لكـن قرابـة الوقـت الـذي مـات فيـه، تـراءى الأمـر لـه وكأنـه جـاب العـالم بأكملـه. وقـد فعـل ذلـك في الحقيقـة. إذ بحلـول الوقـت الـذي رحـل فيـه، كانـت بلدتنـا مكانًـا مغايـرًا تمامًـا عـن ذاك المـكان الـذي وُلِـد فيـه. شُـيِّدَت المبـاني ورُصِفـت الطرقـات، واسـتوت الجبـال، وانحرفـت مسـارات الأنهـار. حرّكهـا الزمـن إلى مـكانٍ مختلـف كلِّيًـا. مَـن بوسـعه حقًّـا أن يقـول إنَّـه عـاش في مـكان واحـد طيلـة حياتـه؟

سـألني القبطـان العجـوز لسـفينة الفضـاء التجاريـة، فأخبرتـه عنـكِ. سـألني كيـف بمقـدوري أن أظـلَّ مغرمًـا بـكِ بعـد الانتظـار كل تلـك المـدة. شرحـت لـه أننـي كنـت أنتظـر خمسًـا وعشريـن سـنة مـن حيـاتي قبـل أن ألقـاكِ.

كلَّـما فكَّـرتُ في المسـألة، ازداد شـعوري بروعـة الأمـر؛ لم يبـقَ الكثـير. أنـا متيقِّـن أنـكِ سـتكونين تمامًـا كـما أتذكَّـركِ. ولـن تكـوني قـد تغـيَّرتِ ولـو قليـلًا.

قال القبطان وهو يصبُّ لي كأسًا أخرى: "لا يملكون ذَرَّةً من تأنيب الضمير، أولئك الرجال الذين يستقلُّون هذه السفن". كان كل شيء على ما يرام حتى تلك اللحظة، لكن عندما أردف: "لا يملكون أصدقاء أو أسرة، وحتى لو كان لديهم، لا يحبونهم كثيراً..."، تركته فقط ورجعت إلى قمرتي.



رسالته الـ 3
شهر و3 أيام في الرحلة
بعد 4 سنوات و8 شهور بتوقيت الأرض.

آسف يا عزيزتي.

آسف جدًّا، لم أعرف حقًّا أن الأشياء ستؤول إلى ذلك المطاف.

قال القبطان إنه ارتكب خطأ، وأخفق في حسابات التَّسارُع والزمن. سأل أحدُهم كم من الوقت سيستغرق تصحيحُ هذا الخطأ، فقال إنه بالنسبة لنا لن يستغرق الأمر سوى بضع دقائق. ثم أضاف أن وصولنا إلى الأرض سيكون بعد ثلاث سنوات بتوقيت الأرض. عاد إلى داخل قمرته بتعبير جامد على وجهه، مثل قبطان طائرة أعلن للتَّوِّ عن تأخيرٍ لمدة عشر دقائق بسبب سوء الأحوال الجوية. بدأ التجار بملابس عربية وهندية الطراز ينهضون واحدًا تلو الآخر، ويرجعون إلى قمراتهم دون حتى أدنى أمارة عبوس. بدوا وكأنهم يفكِّرون، "ثلاث سنوات، هاه؟ هذا ليس سيئًا، اعتقدت أنها ستكون خمسًا على الأقل".

بعد مدَّة وجيزة، حضرَت مضيفة لتوزيع ورق رسائل، وطلبت منَّا أن نكتب إلى عائلاتنا أو أصدقائنا المقربين. عندما سألت: "ألا تستخدمون البريد الكمِّي أو شيئًا من هذا القبيل؟" أوضحت لي أن الأجزاء الوحيدة من السفينة التي صنعت في القرن الحادي والعشرين

هـي الهيـكل والمحـرّك. حتـى نظـام التحذيـر مـن الريـاح الشمسـية يعمـل بآليـة مشـابهة لعمـل منبـه زنـبركي. أضافـت: "عندمـا يتعلّـق الأمر بـالآلات، فـإن أبسـطها يـدوم مـدّةً أطـول".

سـألت كيـف سِتُرسَـل رسـالتي، فقالـت إنهـا سـتتحول إلى شـفرة مـورس أو شيء مـن هـذا القبيـل، ثـم تُنقَـل إلى أثـير الفضـاء الخارجـي. السـفن التـي تمـرُّ في الجـوار سـتلتقط الإشـارات، وتضخِّمهـا، وترسـلها مـرة أخـرى. سـتعاود السـفن التـي اسـتقبلت الإشـارات المضخَّمـة إرسـالها، وهكـذا تمرِّرهـا حتـى تصـل لوجهتهـا. فكَّـرت: واو، يـا لهـا مـن طريقـة مؤكَّـدة للنجـاح! لمـاذا لم تفكـر خدمـة البريـد مطلقًـا في إلقـاء الرسـائل مـن شـاحنة مسرعـة إلى أخـرى؟

أخـبرت المضيفـة أننـي قـد حجـزت قاعـة زفـاف، وأن عروسـتي كانـت بالفعـل في طريقهـا إلى هنـاك، مسـافرة في تلـك اللحظـة بسرعـة 4.37 سـنة ضوئيـة حتـى تصـل في الموعـد المتَّفَـق عليـه. كيـف بحـقٍّ الجحيـم بوسـع عريـسٍ أن يتأخَّـر عـن زفافـه ثـلاث سـنوات؟! رسـمت المضيفـةُ تعبـير "يـا لـك مـن مسـكين" عـلى وجههـا، لكـن لم يَبـدُ أنهـا تهتـم حقًّـا. ربَّتـت عـلى كتفـي، وقالـت: "إن كان لديـك موعـد هـام، فمـن الأحسـن أن تسـتقلَّ سـفينةٌ تديرهـا شركـة ضخمـة ببوليصـة تأمـين شـاملة".

اسـتيقظتُ عـشر مـرَّات في الليـل. مـاذا لـو لم تصـل رسـالتي إليـكِ؟ مـاذا لـو اسـتلمتِها وغـيَّرتِ رأيـكِ بشـأن زفافنـا مدفوعـةً بالغضـب؟ مـاذا لـو غضبـتِ وغـيَّرتِ رأيـكِ فعـلًا ولكنـكِ لم تكـترثي بكتابـة ردٍّ؟ مـاذا لـو كتبـتِ ردًّا ولكننـي لم أسـتلمه؟

في كل مـرة أسـتغرق فيهـا في النـوم، يـراودني الحلـم نفسـه: أهبـط عـلى الأرض لأجـدك قادمـة نحـوي رفقـة أحـد أصدقـائي وطفـل بـين ذراعيـك. ثـم تقولـين: "رسـالة؟ لم أسـتلم أي رسـالة"، ثـم تبدئـين في الضحـك. ثـم

أجـد نفـسي في حانـة مـا مـع أصدقـائي. كلهـم يثرثـرون بعيـدًا عنـي، وأنـا أجلـس في الزاويـة وحـدي، أتجـرَّع كؤوسًـا مـن السـوجو.

لا تضحكي! أعني ذلك. ما الشيء الأكثر إثارة للشفقة من ذلك؟

أتوسَّل إليك يا حبيبتي.

انتظريني.

ثـلاث سـنوات فحسـب، أرجـوكِ. ثـلاث سـنوات فقـط. أَعِـدُكِ أننـي سـأكون حَنونًـا معـك مـا تبقَّـى مـن حياتنـا معًـا. مـا قولـكِ، هـا؟

رسالته الـ 4
شهر و25 يومًا في الرحلة
بعد 7 سنوات و8 شهور بتوقيت الأرض

تلقَّيتُ رسالتكِ!

إذًا فقد وصلتكِ رسالتي بعد كل شيء. كانت مفاجأة حقيقية. لأكن صريحًا، وصول رسالتي إليك أكثر دهشة حتى من استلامي ردَّكِ، هنا على متن هذه السفينة العتيقة. كان كلانا محظوظين، أليس كذلك؟ رغم أنه يبدو من الغباء قول هذا في تلك الظروف؟

ليس لديَّ أي فكرة عن العمليات التي مرَّت بها رسالتكِ، لكنني تلقيتها في صورة بريد صوتي. كان من الغريب الاستماع إلى كلماتك يتلوها صوتُ رَجُل. بدا الأمر وكأنه لم يفهم محتوى ما كان يقرؤه، كما لو كان ينظر فقط إلى الرموز المكتوبة وينطقها. كان من الصعب استيعاب ما يقول؛ لذلك استمعت إلى الرسالة مرارًا. ثم، بمجرد أن استوعبتُ المعنى؛ استمعت إليها أكثر.

أفهمُ. كل هذا بسببي. لا شيء من هذا كان خطأكِ. في حالتكِ، فعلتِ الشيء الصحيح بتغيير السفن. أما أنا فقد غيَّرتُ السفن لأنني لم أستطع تحمُّل الانتظار ثلاثة أشهر أخرى حتى أراكِ. لكن بالنسبة لكِ، الأمر سيستغرق ثلاث سنوات.

قلتِ إنكِ بمجرد هبوطك على الأرض تقريبًا، صعدتِ إلى السفينة التالية المغادِرَة. أنَّك كنتِ في عجلة من أمركِ، فأخذتِ أول تذكرة سفر تُمكِّنك من المغادرة، وصعدتِ على متن سفينة بحثية ذاهبة للتنقيب في الفضاء بدلًا من سفينة ستكون محضَ "مدار انتظار". هذه السفن البحثية عتيقة جدًّا الآن، والكثير منها لا يزال يعمل رغم أنها تجاوزت بسنوات طويلة تاريخ انتهاء خدمتها حيث يُفترَض أن تُباع كخردة.

حمدًا للرب أنكِ تمكَّنتِ من الاحتماء بعد الحادث، حتى لو كانت المنشأة التي لجأتِ إليها بعيدًا عن الطرق المعتادة.

لا تبكي، يا حبيبتي. في كثير من الأحيان في الرسالة كان هناك صوت تأوُّهٍ غريب، وتساءَلتُ طويلًا عن ماهيَّته. في نقطة ما في أثناء تسجيل رسالتكِ، لا بُدَّ أن الآلة نسخت بكائك بهذه الطريقة.

إحدى عشر سنة حقًّا؟!

أستمعُ إلى رسالتك مرة أخرى. هذا ما يمكنني سماعه.

أنا بخير. مجرَّد خدوش قليلة. لكن توفي أحد أفراد الطاقم وهو يُصلح السفينة. ومع ذلك، فهم يقولون لولا فرد الطاقم ذاك، لما نجحنا في الوصول إلى ذلك المدى.

يقول قبطان السفينة إن ناقلات الشحن أو السفن البحثية -فقط- هي التي تمرُّ بهذه المحطة الفضائية. ويمكنهم أن يأخذوا عددًا مُعيَّنًا فقط من الأشخاص معهم؛ لذلك كان علينا إجراء قرعة. جاء الرقم الذي سحبته بخيارين. يمكنني الانتظار هنا لمدة شهرين آخرين ثم ركوب سفينة ضوئية للعودة إلى ألفا سينتوري، أو استقلال ناقلة

شحن ستصل إلى هنا الشهر المقبل، حيث سأسافر على متنها في حالة السُّبات المُحفَّز[1] إلى الأرض.

سألت متى ستصل ناقلة الشحن إلى الأرض. قالوا: بعد أحد عشر عامًا من الآن. أخبرني القبطان أن أستقلَّ السفينة الضوئية وأرجع إلى ألفا سينتوري. أن الأرض بعد إحدى عشرة سنة من الآن ليست مكانًا سيرغب أيٌّ أحد في أن يعيش فيه. أن الأرض ستكون غير صالحة للسُّكنى حتى للأشخاص الذين أمضوا حياتهم هناك طوال حياتهم، ناهيك بالعائدين بعد سنوات طويلة من الحياة في كواكب أخرى.

قلت إن عليَّ الذهاب إلى الأرض على أي حال. ضحك جميع الرُّكَّاب الآخرين عندما شرحت لهم أن خطيبي سينتظرني. وفقًا لهم، لا يوجد رجلٌ واحد على قيد الحياة ينتظر أحد عشر عامًا حتى يتزوَّج بامرأة.

أعلم أنه قد يبدو غريبًا... لكنني لست ذاهبة إلى هناك فقط لأنني أعتقد أنك ستكون في انتظاري.

بحلول الوقت الذي ستتلقَّى فيه هذه الرسالة، سأكون بالفعل في سُباتٍ عميق. اكتُبْ ردًّا على رسالتي. سأكون قادرة على قراءة أي شيء ترسله عندما أستيقظ. مهما قرَّرتَ القيام به، سأحاول ألا أنجرح. لقد اتَّخذتُ قراري، وستكون أنتَ قد اتَّخذتَ قرارك.

آه.. آه.. آه.

لا، هذا ليس صحيحًا.

لا توجد كلمات يمكن أن تصف كم أرجو أن تنتظرني. الأمر يفوقني لدرجة أنني لا أقوى حتى أن أرجوه. لذلك سأخلد إلى النوم...

---

(1) سفينة فضائية يقضي فيها معظمُ أو كلُّ طاقم السفينة الرحلة (عادة تكون طويلة) في نوع من السُّبات المحفَّز كوسيلة لادِّخار الطاقة. والسُّبات هو حالة من انخفاض النشاط الفسيولوجي في الجسم، وعادة عن طريق انخفاض درجة حرارته ومعدَّل الأيض. يمكِّن السُّباتُ الإنسانَ من البقاء على قيد الحياة خلال فترات عدم توافر الغذاء (المترجم).

بتلك الطريقة، ستتوقَّف الأفكار المؤلمة.

هـل سـتأتي لمقابلتـي بغـضِّ النظـر عـن أي شيء؟ مهـما كان قـرارك، مهـما كانـت الحالـة التـي سـتكون فيهـا عندئـذ، لا أمانـع. أعتقـد أننـي سـأكون حزينـةً جـدًّا لـو لم يكـن هنـاك أحـد ينتظـرني عنـد وصـولي. لـو لم تكـن هنـاك في المينـاء الفضـائي سـأذهب إلى قاعـة الزفـاف. حتـى لـو كنـتُ بمفـردي، أسـتطيع أن أذهـب وأمـارس لعبـة التخيُّـل.

ثم تنتهي الرسالة بصوت جافٍّ يتأوَّه طويلًا. آه.. آه.. آه.

أنـا آسـف يـا عزيـزتي، أنـا آسـف جـدًّا. لكـن لا يمكننـي الانتظـار أحـد عـشر عامًـا.

نحــن بالفعــل متأخِّــران مــدة ثــلاث ســنوات. مــرَّت ســبع ســنوات ونصـف بتوقيـت الأرض. حتـى لـو عـدتُ الآن، فليـس هنـاك مـا يضمـن أن شـقتي أو وظيفتـي سـتظل موجـودة. بمجـرد انقطـاع سُـبُل الاتصـال بأحدهــم لمــدة ثــلاث ســنوات؛ تصبــح قيمتــه أدنى مــمًّا لــو كان ميتًــا. لـو أفـرَغَ أعمامـي حسـابي المـصرفيَّ وتقاسـموا الأمـوال مـع بنـات وأبنـاء أعمامـي معتقديـن أننـي ميِّـت، فـلا يمكننـي أن أجعلهـم يعيدونهـا. لـو ادَّعـى المسـتأجر أن شـقتي ملـكٌ لـه، فـلا يوجـد شيء يمكننـي قولـه. لـن يكـون غريبًـا لـو تعـرَّض أربـاب عمـلي للإفـلاس، مـع الأخـذ في الاعتبـار كيـف كان وضـع الاقتصـاد عندمـا غـادرتُ. ولـو أن الشركـة قـد بِيعـت لمشترٍ جديـد، فلـماذا يكلِّفـون أنفسـهم عنـاء إعـادة موظـف قديـم مثـلي للعمـل؟

خـلال إحـدى عـشرة سـنة، لا، بـل ثمـاني عـشرة سـنة! خـلال ثمـاني عـشرة سـنة، سـيكون أصدقـائي قـد كـبروا في السـن، ولـن يكـون لـديَّ أحـدٌ لأتسـكَّع معـه. وأيـن بحـق الجحيـم يمكننـي الاسـتفادة مـن معرفـةٍ عفـا عنهـا الزمـن بثـماني عـشرة سـنة في أي مهنـة؟ كل شيء أعرفـه سـيصبح عديـم الجـدوى. لا حاجـة لتخمـين مـا إنْ كان العاملـون العاديـون في

شركات إمـدادات قطـع غيـار السـفن الفضائيـة سـيزالون قـادرون عـلى كسـب رزقهـم أم لا. بعـد ثمـاني عـشرة سـنة دون أدنى معرفـة بمـا يحـدث في العـالم، مـاذا يمكننـي أن أفعـل لكسـب رزقـي، وتدبُّـر أمـور حيـاتي؟ أنـا آسـف. أرغـب في العـودة إلى الديـار. هـذا ليـس صوابًـا. بالطبـع يمكننـا اللقـاء بعـد إحـدى عـشرة سـنة مـن الآن، لكـن مـا فائـدة الزفـاف لـو كان العريـس حُثالـة، مُفلسًـا ومتـشرِّدًا؟ أظـن أن كلًّا منَّـا ليـس مُقـدَّرًا لأن يكـون في علاقـة مـع الآخـر. لا أعـرف مـا الـشيء الخاطـئ الـذي حـدث أو متـى بـدأ، لكـن كل شيء آل إلى فـوضى.

يجـب أن تحافظـي عـلى صحتِّـكِ. اعتنـي بنفسـكِ. يقولـون إن للسُّـبات المُحفِّـز أثـره عـلى الجسـم. عندمـا تَصِلـين إلى الأرض، سـأغدق عليـك بالطعـام الجيـد. سـأكون هنـاك لمقابلتـك. يمكننـي أن أَعِـدُكِ بذلـك القَـدرِ. سـأكون هنـاك، لـن أنـسى.

أحبكِ.

رسالته الـ 5
شهران في الرحلة
بعد 7 سنوات و9 شهور بتوقيت الأرض

كيف حالكِ؟

لم تَرَيْ الرسالة الأخيرة بعدُ، أليس كذلك؟

نعم، بالطبع لم ترينها. سوف يستغرق ذلك بضع سنوات أخرى. لكنك ستفعلين.

ستكونين قد قرأت الرسالة الأولى قبل شروعكِ في قراءة هذه الرسالة.

أنا... حسنًا.. عُدتُ الى الديار. في الواقع، رجعت فقط إلى الميناء الفضائي على الأرض. لم أستطع الرجوع إلى المنزل. حسنًا، لم أستطع الذهاب إلى الميناء أيضًا. عَلِقتُ داخل السفينة لمدة أسبوع، ولم أتمكّن من وضع قدمي على الأرض. أخضعونا لجميع أنواع الاختبارات. التعقيم بالبخار، واللقاحات، وحتى فحص السلامة العقلية. ملأت عشرين صفحة من الاستمارات، وكان عليّ أن أقوم بذلك ثلاث مرات. عندما قلت: "لقد ملأت هذه سَلَفًا"، صرخوا فيّ. يبدو أن هناك ثلاثين قسمًا مختلفًا يعمل على تقييم حالات الواصلين. أظهر التلفزيون الموجود على متن السفينة الأخبارَ فقط، وعبر قناة تلفزيونية واحدة

فقـط. تعطَّلَـت جميـع بوابـات الإنترنـت أيضًـا؛ لذلـك لم أتمكَّـن مـن الوصـول إلى إيميـلاتي.

بعـد أسـبوع مـن بقـائي مُجبرًا عـلى مـتن السـفينة في الميناء الفضـائي، اندفـع شـاب جـريء، لا يـزال غضًّـا وتنقُصـه الخـبرة، إلى الداخـل، يتبعـه مجموعـة مـن الجنـود، وبـدأ يتكلـم. كان حـادَّ المـزاج كـما لـو كان يعـاني مـن آلام في المعـدة. ومـا انفـكَّ يتحـدث عـن أن كل هـذا بسـبب الجيـل القديـم، النـاس مثلنـا؛ كسـلنا وتقاعسـنا الـذي أوقـع البـلاد في مثـل هـذه الفـوضى. اعتقـدت أن هـذا كان مبالَغًـا فيـه. مـرَّت سـبع سـنوات فقـط.

وفقًـا لهـذا الشـاب، اسـتولت جماعـة إرهابيـة عـلى سـيول. لكـن المدينـة كانـت لا تـزال آمِنـةً. لم أسـتطع فهـم مـا كان مـن المفـترض أن يعنيـه ذلـك. قـال إن القـوات الوطنيـة الباسـلة ستُوقِف التَّمـرُّد قريبًـا، لكـن لا يمكـن التعامـل معنـا كـما يسـتلزم الأمـر إن نحـن دخلنـا الميـنـاء؛ لذلـك يجـب أن نغـادر، ونعـود لاحقًـا. سَرَت ضَجَّـة كبـيرة وسـط النـاس الذيـن يطالبـون بالنـزول والرجـوع إلى منازلهـم، لكـن الشـاب الغاضـب والوفـد المرافـق لـه غـادروا فحسـب.

بعـد ذلـك بقليـل جـاءت امـرأة مـن الصليـب الأحمـر أو "حقوقيـون مـن أجـل الديمقراطيـة" أو مـن منظمـة مـا، وأخبرتنـا عـن انـدلاع انقـلاب عسـكري. كان الحـزب الـذي خـسر الانتخابـات قـد أعلـن الأحـكام العُرفيَّـة، وسـيطر عـلى مجلـس النـواب، لكـن المواطنـين كانـوا يقاومـون. عندمـا سـأل أحدهـم عـن دور الأمـم المتحـدة، أوضَحَـت أن أمريـكا قـد أعلنـت إفلاسـها العـام المنـصرم، وكان العـالم بـأسره في حالـة انهيـار اقتصـادي في أعقـاب ذلـك؛ لـذا فـإن الوضـع العـام لم يكـن عظيـمًا.

قالـت إنـه لـو عُدنـا بعـد عـشر سـنوات تقريبًـا، سـيكون الاقتصـاد العالمـي غالبًـا في حالـة أفضـل، وسـتكون الأمـور أكـثر اسـتقرارًا. قالـت لنـا أن نتحـرَّك في أسرع وقـت. أنَّ هـذه فرصتنـا الأخـيرة للهـروب، حيـث مـا

تـزال البـلاد آمنـة نسـبيًّا". لـو انتظرنـا لمـدة أطـول وصـدر إعـلان يقيِّـد حركـة المـرور في الموانـئ الفضائيـة، فسـتكون السـبل قـد تقطَّعـت بنـا حقًّـا.

استطعت أن أسـتحوذ عـلى انتبـاه موظفـة الإعانـة، وشرحـت لهـا أننـي حجـزتُ قاعـة زفـاف. سـألتها أن تـرى إن كان بوسـعي اسـترداد العربـون الـذي دفعتُـه، لكنهـا طرفـت بعينيهـا إليَّ عـدة مـرات، ثـم رحلـت.

مهـلًا، أتعرفـين؟ في حـين أقلعنـا مـن الميـنـاء الفضـائي، لم تخطـر ببـالي سـوى أمنيـة واحـدة: ألَّا تصلـك الرسـالة الأخـيرة التـي أرسـلتها إليـكِ!

كان يجـب أن أنتظـر بضعـة أيـام قبـل إرسـالها، حتـى أعـود فعـلًا إلى الأرض، وأسـتوضح الموقـف أولًا.

مـا الـذي كان مُلِحًّـا حتـى أضطـرَّ للـرد عـلى الفـور؟ رد لـن تتسـلَّميه إلَّا بعـد بضـع سـنوات قليلـة عـلى أي حـال.

لـكان مـن الرائـع لـو لم أرسـلها. ولـكان لـديَّ عُـذرٌ أقدِّمـه إليـكِ لتبريـر رجوعـي للمنـزل في سـاعة متأخِّـرة بعـد قضـاء الليـل في شرب الكحـول بعـد العمـل: "أوه، مـا الصعوبـة في انتظـاري بضـع سـاعات بـين الحـين والآخـر؟! هـل نسـيتِ بالفعـل أننـي انتظرتـكِ لمـدة أحـد عـشر عامًـا كاملـة".

أحـلام اليقظـة مثـل هـذا الحلـم تجعلنـي أشـعر بتحسُّـن. ولكـن بعـد ذلـك أتذكَّـر أن السـفينة قـد أبحـرت بالفعـل، ورسـالتي قـد أُرسِـلت، فيتملَّكنـي الاكتئـاب مـرة أخـرى.

كنـت أتسـاءل عـمًّا إن كان بإمـكاني بطريقـةٍ مـا ابتـزاز قبطـان سـفينتكِ حتـى يعـدم الرسـالة قبـل وصولهـا إليـكِ. لكـن بعـد ذلـك سـمعت أنـه ذكاء اصطناعـي. كيـف يمكـن للمـرء ابتـزاز كمبيوتـر؟ ربمـا يمكننـي أن أحـاول التحـدث بلُطـفٍ معـه، مـع وعـدٍ بتزويـده بشرائـح ذاكـرة جديـدة.

تعلمين، يا عزيزتي، ألن يكون الأمر مضحكًا حقًّا إن هبطنا في الميناء في التوقيت ذاته؟ في اللحظة التي أراك فيها، سأحتضنك بشدة، وأخبرك أنني أحبُّكِ، وأتوسَّل إليكِ حتى تغفري لي. وللاحتفال بهذه المناسبة، دعينا نضرم نارًا ونرسل كلَّ أثر لرسائلنا إلى السماء في صورة دخان.

رسالته الـ 6
4 أشهر من بداية الرحلة
بعد 13 سنة و9 شهور بتوقيت الأرض

مضى وقت طويل.

انتظري، لـن تعـرفي ذلـك، أليـس كذلـك؟ سـمعت أنـه لم تصلكِ رسـالتي الأخـيرة. عـادت إليَّ رسـالة تفيـد بـأن المسـتلمة كانـت في سُـباتٍ عميـق. ستُجمَع أي رسـائل وتُعطَـى لـكِ جميعًـا دفعـة واحـدة عندمـا تسـتيقظين. قائـدك هـذا ينجـز الأشـياء حقًّـا. أنـتِ في أيـدٍ أمينـة.

عـدتُ إلى الأرض. أبكـرَ قليـلًا مـن السـنوات العشر المخطـط لهـا. كانت السـفينة كلهـا في حالـة اضطـراب عـارم. باتـت الإمـدادات شـحيحةً بعـد مغادرتهـا الأرض في عجالـة آخـر مـرة. كانـت الشـاكية الأعـلى صوتًـا حتـى الآن سـيدة قالـت إن بشرتهـا سـتتلف إنْ لم تسـتطع شراء مخـزون كافٍ مـن مرطِّـب البـشرة المفضَّـل لديهـا. وهـدَّد أحدهـم بمقاضـاة شركـة التأمـين عـلى السـفينة، واسـتمرَّ رجـل آخـر في الحديـث عـن صداقتـه مـع عضـو مجلـس نـوَّاب مُنتَخَـب للـدورة الثالثـة عـلى التـوالي. عندمـا احتـجَّ النـاس، ذهبـت وصرخـت مـع الغوغـاء. كنـتُ قَلِقًـا بشـأن كل أنـواع الأشـياء، بالطبـع؛ شـقتي وحسـابي المـصرفي ووظيفتـي. جهـزت الكثـير مـن الوثائـق؛ كان مجـرد فرزهـا جميعًـا عمـلًا شـاقًّا. وثيقـة إثبـات الهويـة، وثيقـة إثبـات

محل الإقامة، فواتير الإيجار التي لم يدفعها مستأجر شقتي. أعددت أيضًا أوراقًا لاستعادة أصول ممتلكاتي في حال سرقها أي شخص.

لم يكن القبطان في عجلة من أمره. في الواقع، بدا أنه لم يكن مهتمًّا بالرجوع على الإطلاق. بالتفكير في الأمر الآن، ربما تلقَّى الطاقم معلومة سرِّيَّة بطريقة أو بأخرى.

في النهاية، عدنا إلى الميناء الفضائي بعد سِتِّ سنوات بتوقيت الأرض، مع أن الأمر لم يستغرق سوى شهرين بالنسبة لنا.

كلَّما دَنَونا من الأرض، شعرنا بشيء غريب. لم أستطع رؤية كوريا. استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن أُدرِكَ السبب. لم تكن ثمة أضواء. في الليل، كانت شبه الجزيرة الكورية متلألئة دائمًا، كما لو كانت مرشوشةً بغبار الذهب. لكنها كانت الآن مظلمة. كما لو لم يُشعِل أحد الأضواء. كما لو لم يكن هناك أحد على الإطلاق.

عندما هبطنا، قُذِفت من مكاني إثر ارتجاج السفينة بعنف. عندما اشتكى الركاب، الذين كانوا بالفعل على حافة الانفجار، قال القبطان إن مدرج الهبوط كان في حالة من الفوضى. هبط الناس من السفينة، وهم يتمتمون بأشياء مثل "عذر أقبح من ذنب" و"يا له من هراء"، لكن المدرج بالفعل كان في حالة من الفوضى. نَمَت الأعشاب بكثافة في بقع من التربة وسط حارات مدرج الميناء الفضائي. مالت اللافتة الصدئة في الميناء، مهدِّدة بالسقوط.

انتظرنا بجانب السفينة، لكن لم تصل أي حافلة. بدأ الناس في المشي إلى قاعة الانتظار، لكن الأرض كانت ملأى بالطين اللزج. تحدَّث أحدهم عن الصيانة الرديئة للميناء.

كانت قاعة الانتظار فارغة. في الداخل، كان كل شيء مُغطًّى بطبقة من الغبار البُنِّيِّ، وغمرت المياه الأرضية المتداعية. انتشرت الأعشاب المائية في البركة الكبيرة، مع تفقيس الحشرات وتكاثُرها. السيدة التي

كانت تصرخ حول مكان وجود متجر السوق الحرة من أجل مرطِّب البشرة، وقفت فاغرةً الفم.

رجع ذهني إلى التفكير في أن السفر عبر الزمن لا يختلف عن السفر عبر المكان. كان ذلك عندما صدمتني الحقيقة المروِّعة. لا أستطيع العودة إلى المنزل. المنزل الذي غادرته عند انطلاق رحلتي قد تبخَّر، تركته ورائي في مرحلة ما من الماضي. لا سبيل للرجوع.

كان الجميع متسمِّرين هناك في حالة ذهول، ممسكين بأمتعتهم عندما سقط شخصٌ بجانبي على الأرض. لم أستطع أن أفهم لماذا سقط على هذا النحو في حين لم يكن هناك شيء حتى يتعثَّر فيه. الجميع بدا مثلي. حتى بدأت البِركةُ تتحوَّل إلى اللون الأحمر. ثم سقط الشخص الثاني.

في خِضَمِّ كل الصراخ والصراع، مضى الوقت ببطء شديد، ثم في لحظات مُعيَّنة راح يجري بسرعة كبيرة، لدرجة أنني لم أتمكن من استيعاب أي شيء. ركضتُ واختبأت. دفعت الناس وركلتهم جانبًا. حتى بعد أن استعدت صوابي، شعرت أنني لا زلت مهزوزًا. لمدة طويلة بقيت ساكنًا حتى بعد أن ران الصمت. عندما زحفت أخيراً خارجًا من مخبئي، كانت ثمة جُثَث مبعثرة في كل مكان.

علا صوتٌ يأمر مَن لم يُصَب بأذًى بمساعدة الجرحى. اندفعت في الأرجاء مثل شبح. السيدة التي كانت تبحث عن مرطِّب، تئنُّ وتتأوَّه بينما أغيِّر ضماداتها. ثم سكتت فجأة، وأدركت أنها ماتت.

مثل المرة السابقة، جمعنا أشخاص مُسلَّحون معًا، وألقى رجلٌ خطابًا. على ما يبدو لو لم يأتوا لإنقاذنا لكنَّا جميعًا قد قُتلنا. حسنًا، عادِلٌ بما يكفي. غضب الرجل وقال إن الناس من الماضي كانوا جاهلين بما يحدث. أطلقت المجموعة على نفسها اسم "ميليشيا مدنية"،

وطلبوا منّا عدم الرجوع لأن هناك عصابات من اللصوص تجوب الميناء الفضائي، وتنقضُّ على المسافرين المطمئنِّين.

قال لنا الرجل إننا محظوظون. لكنني لم أستطع أن أرى كيف. على ما يبدو، كانوا الوحيدين الذين يبحثون عن الحمقى القادمين من الماضي. وبهذا، أغاروا على حقائبنا والسفينة بأكملها، واستولوا على كل شيء. مع ذلك، ربما كانوا حقًّا أشخاصًا صالحين. تركوا وراءهم الأشياء التي توسَّل الناس إليهم ألّا يأخذوها. بالكاد تمكَّنتُ من الاحتفاظ بخاتم الموسيقى الذي اشتريته من أجلكِ. شرحتُ للرجل الذي كان يمرُّ علينا بحقيبة، أن الجوهرة ليست حقيقيَّةً؛ مجرد لعبة. ضغطت على الخاتم لتشغيل أغنية، فدوَّى مقطع الأغنية "عزيزتي، كم أحبكِ...". شخر الرجل، ورمى الخاتم في وجهي، ومضى.

تبعته. لم أستطع أن أحمل نفسي على سؤاله عن مسألة قاعة الزفاف، لكنني تلعثمت قائلًا له إن ناقلة شَحنٍ ستصل في غضون خمس سنوات، وطلبتُ منه البحث عنها. نظر إليَّ مرة أخرى وقال إنها لن تأتي. تغيَّر مسار جميع السفن التي تلقَّت الأخبار. قلت إن خطيبتي لن تعرف ذلك لأنها نائمة. سأل: "لماذا هي نائمة؟" ثم ابتعد قبل أن أتحدث.

تجوَّلنا جميعًا مدة طويلة مثل موظَّفين مُسِنِّين مُسَرَّحين من عملهم في عملية إعادة هيكلة. غادر قِلَّة من الناس قائلين إنهم ذاهبون إلى منازلهم. كانت حقائبهم الممزقة تخشخش من ورائهم.

أصلحنا الراديو في السفينة، واستمعنا إلى الأخبار. كان نوعًا من الراديو حيث يتعيَّن عليك تركيب هوائي وضبط التردد، وهو نموذج لم أره إلَّا في المتاحف. ومع ذلك، في مثل هذه الحالة، كان هذا الشيء الوحيد الذي أفلح.

سمعنا عن حدوث انفجار في منشأة نووية في الجنوب. أعدَمَت قيادة الأحكام العرفية مجموعةً من الفنيين النوويين، وفي اليوم التالي وقع حادث ضخم. أُغلِقت وسائل الإعلام لمدة شهر في أعقاب ذلك، واختبأ جميع المتخصِّصين الآخرين. مع وجود اثنتين وعشرين محطَّة طاقة نووية أخرى في البلاد ورحيل كلِّ مَن كان يديرها منذ مدة طويلة، قالوا إن محطة أخرى قد تنفجر في أي لحظة. أُعلِنت شبه الجزيرة الكورية منطقة كوارث، وأصدرت دول أخرى قرارات تحظر السفر إلى المنطقة بأكملها.

أعلن القبطان وطاقمه أنهم ذاهبون إلى نظام شمسي آخر. أخبرتهم أن عليَّ العودة إلى هذا الميناء في غضون خمس سنوات، وأن عروسي في طريقها إلى هناك. بالطبع، ذكرت حجز قاعة الزفاف أيضًا. أنني سلَّمت سلفًا دعوات الحفلة إلى أصدقائي.

أظنُّ أن القبطان اعتقد أنني أبدو مثيرًا للشفقة. سمح بفصل مركبة فضائية صغيرة عن جسم السفينة وقال إنه يمكنني الحصول عليها. يبدو أنها مصنوعة في حوالي القرن العشرين. علَّق القبطان: "البساطة تعني المتانة".

كانت المركبة بحجم حُجَيرة تقريبًا، وتراءت مناسبة حتى يعيش فيها شخص واحد. قال القبطان: "لن تكون قادرًا على الصمود طويلًا داخل هذا الشيء؛ لذا اقطَعْ مسافةً قصيرة بها ثم استَقِرَّ في مكانٍ ما". قلت إنني سأكون بخير. عندما كنت عاطلًا عن العمل، بقيت منعزلًا في غرفتي لمدة شهرين ألعب ألعاب الكمبيوتر. وهكذا، وبدون أن ينبس ببنت شفة، وضع القبطان يده على كتفي وأجلسني.

فتح مفكِّرةً وبدأ في رسم المخطَّطات، وشرح ما كان عليَّ القيام به. بهذه المركبة الضيقة، لا يمكنني السفر إلى نظام نجمي آخر. قال: "سيكون الأمر أشبه بمحاولة عبور المحيط الهادئ على متن زورق".

اعترضتُ قائلًا إنه ليس عليَّ الذهاب إلى نظام نجمي آخر. لم أستطع أن أقول سوى: "زوجتي المستقبلية في طريقها..."، عندما قاطعني: "أيًّا يكن ما تقول يا بني". شرح أن تسريع هذه المركبة يعتمد على الرياح الشمسية وبطارية شمسية. أخبرني أن أسلك طريق مدار المشترى إذ إن قوة الجاذبية ستساعد على دفع السفينة للأمام. ثم حسَب مقدار الدفع الذي ستمنحه لي. وحسب أيضًا مقدار السرعة الذي بإمكان هيكل المركبة، لا داعي لذِكر جسمي أيضًا، احتماله. مع أخذ كل شيء بالاعتبار، فإن قوة الدفع القصوى ستساوي مقدار تسارُع الجاذبية. لم أستطع تذكُّر معنى "تسارع الجاذبية"[1]. قال القبطان: "نحو عشرة مترات في الثانية، في حين سرعة الضوء حوالي ثلاث مائة ألف كيلو متر في الثانية". جلست هناك متسمِّرًا في مكاني يعلو وجهي تعبير جامد تمامًا. ستستغرق الرحلة سنتين آخذًا في الاعتبار عدد مرَّات التسريع والإبطاء.

كان القبطان مُصمِّمًا أنني لن أستطيع فعل ذلك. أنه من المستحيل شحن حمولة عامين من الطعام داخل المركبة. وحتى لو أفلحت في ذلك، فسوف يتعفَّن قبل الأوان. وستعجز المركبة عن الإقلاع، وهي محمَّلة بمقدار عامين من الطعام على أيَّة حال.

(1) في علم الفيزياء، يوصف تَسارُع الجاذبية أو تسارُع الثُّقالة على أنه تسارُع جسم نتيجة قوة الجاذبية، إذ يتسارع أي جسم في حقل الجاذبية بنفس المعدل، بغضِّ النظر عن كتلة الجسم. وعلى سطح الأرض، يقال بأن جميع الأجسام تسقط بتسارُعٍ يقع بين 9.78 و9.82 m/s^2 اعتمادًا على دائرة العرض، مع الاصطلاح على القيمة القياسية. (المترجم).

رسالته الـ 7
سنة وشهر بعد الرحلة
بعد 14 سنة و6 شهور بتوقيت الأرض

آسف لأنني استغرقت طويلًا حتى أكتب إليكِ.

بصراحة، احتجتُ وقتًا طويلًا لأعرف كيف أرسل رسالة على الإطلاق. بدا الأمر غريبًا في البداية، لكن بمجرد فهم المبادئ العامة، أعتقد أنه من الممكن إرسال رسالة حتى لو كانت الحضارة البشرية بأكملها قد تلاشت.

انطلقتُ بالمركبة في البداية دون إعادة تفكير في الموضوع. ثم عندما استهلكت نصف إمداداتي من الطعام، رجعتُ إلى الأرض. فتَّشتُ في المتاجر المهجورة، وجمعت الأطعمة المعلَّبة، ثم عُدتُ إلى الفضاء. فعلت ذلك عدَّة مرَّات.

صدِّقيني، مع الحالة التي كنت فيها آنذاك، كان هذا أقصى ما يمكنني فعله.

حاولت الذهاب إلى بلد آخر أيضًا، لعلَّ وعسى. قالت امرأة التقيت بها هناك إن حقيقة عدم إسقاط القراصنة مركبتي كان ضربًا من الحظ السعيد الذي لا يمكن أن يتحقَّق أكثر من مرة كل قرن. قلت: "ماذا تقصدين؟ لم يمرَّ قَرنٌ حتى منذ انطلاق رحلات السفر

مـا بـين النجـوم لأول مـرة". قالـت إنـه لا بُـدَّ أن سـبب ذلـك أن مركبتـي كانـت صغـيرة جـدًّا، وربمـا لم يدركـوا حتـى أنهـا سـفينة عـلى الإطـلاق. يـا لـه مـن شيء لتقولـه.

ومـع ذلـك، بفضـل هـذا اللقـاء، ظفـرت بآلـة صانِعَـة الطعـام. الطريقـة التـي تعمـل بهـا تشـبه إلى حـدٍّ مـا طابعـة ثلاثيـة الأبعـاد. تقنيـة لم تكـن موجـودة حتـى قبـل عقـد مـن الزمـان. أيًّـا كان مـا تضعـه داخـل الآلـة؛ الأوسـاخ أو الحجـارة أو أي شيء آخـر، يخضـع للتفكيـك إلى المسـتوى الجزيئـي ثـم يُعـاد تجميـع الجزيئـات. عندمـا يصبـح جاهـزًا، يخـرج مـن الآلـة شيءٌ صالـح لـلأكل، أشـبه بطعـام الـكلاب.

عندمـا أعطتنـي المـرأة صانعـة الطعـام، قالـت إننـي مـن نوعيـة البـشر المحظوظـين الذيـن لا يظهـرون إلا مـرة أو مرتـين كل ألـف عـام. وأضافـت أنـه إنْ لم يكـن حدسـها صحيحًـا، فسـأموت بالتأكيـد في رحلتـي التاليـة. سـألتني: "بمـاذا كنـت تفكـر عنـد ركوبـكَ سـفينة صغـيرة كهـذه، والسـفر في الفضـاء؟"، عندمـا أجبـتُ أننـي لم أفكِّـر في أي شيء عـلى الإطـلاق، قالـت إنهـا خمَّنَـت ذلـك.

في المـرة الثالثـة التـي عُـدت فيهـا إلى الأرض، عـثرت عـلى سـيارة وقُدتُهـا إلى مـكان عمـلي القديـم. كانـت الشـوارع هادئـة لكننـي شـعرت أننـي أتعـرَّض للهجـوم. كانـت الطريـق مـلأى بأخاديـد واسـعة داكنـة وتـراءت واجهـات المتاجـر أشـبه بمحاجـر عيـون فارغـة تحـدِّق في وجهـي. تجوَّلـت زمـرة مـن الـكلاب في الشـوارع، وتصرَّفَـت وكأنهـا لم تُـروَّض مـن قبـل أبـدًا. عـوت بشراسـة، كـما لـو كانـوا يثبتـون لي أن الـكلاب لا يمكـن أن تتـصرَّف بطريقـة أخـرى.

احتجـت إلى جهـاز لجمـع جزيئـات الفضـاء الشـاردة. انتـشرت مـن حـولي جزيئـات الهيدروجـين والأوكسـجين والكالسـيوم والصوديـوم، والمـاء، ومـواد عضويـة، بكميـات بالغـة الصِّغَـر. لكـن لـو جُمِعـت بسرعـة الضـوء،

فستتراكم وتتكدَّس. لذا لا بُدَّ أن أعبر الفضاء بسرعة كافية. استنتجت أن بوسعي التفكير في الأمر كأنه أشبه بمكنسة عملاقة. ذهبت إلى ورشة حتى أجلب الأجزاء التي أحتاج إليها، وتأكَّدتُ من كل الأسماء، وشغَّلت الآلات في مكان عملي القديم باستخدام مولِّد الطوارئ. لا أعرف بشأن أي شيء آخر، لكن كتيب إعدادات المصنع كان لا يزال محفوظًا ويُمكن فتحه بكلمة سِرٍّ وضعتها أنا. كان عليَّ أن أصنع الجهاز بسيطًا بقدر الإمكان حتى أستطيع إصلاحه بمفردي.

بينما كنت أعمل، رأيت من النافذة على مبعدَةٍ ناطحةَ سحابٍ بدأت في الميل. في البداية ظننتُ أن جسدي كان منحنيًا، ثم انتشر الغبار وانهار المبنى الضخم دون صوت. مثل تهدُّم قلعة رملية في المدِّ الصاعد، مثل سقوط شجرة ميتة جافة.

غمغمتُ وأنا أشاهد المنظر: "هلَّا نظرت إلى ذلك؟!". في الماضي عندما كان هذا المبنى في طور الإنشاء، قال الناس إن المبنى لن يستمرَّ أكثر من عشر سنوات.

فكَّرت في تلك المرة عندما زرنا المنزل الريفي الذي ترَكَته عائلتكِ فارغًا بضع سنوات. في خلال فترة قصيرة، أصبح هذا المنزل قبيح المنظر. كان المرحاض مسدودًا، وتشقَّقَت أنابيب الصرف والتدفئة، وانفجَرَت. كانت الأماكن التي تسطع فيها الشمس جافَّة ومفتَّتة، في حين أن الأماكن التي لم تصل إليها كانت لَزِجَة بالعفن.

يبدو أن المنزل قد شاخ بفعل الوحدة والإهمال حتى صار قشرةً صدئة كأنما يقول: ما الفائدة من الصمود والمواصلة عندما تكون الحياة وحيدة هكذا؟ كما لو أنه خلال عامين فقط، عاش ما يضاهي عقدين من الزمان بمفرده.

قلتِ لي وأنت تربِّتين على إطار الباب الذي بهت لونه: "أخبرتكَ؛ إذا لم يكن هناك أي أحد يعيش في منزل، فسيكون هذا مصيره في وقت قصير جدًّا. كان يجب أن أكون هنا من أجله".

شعرت وأنت تربِّتين على إطار الباب، كأنكِ تمسِّدين شَعري أنا. كما لو كنتِ تتحدَّثين إلى ذاتي السابقة التي كانت وحيدة جدًّا قبل أن ألتقي بكِ. إلى ذاتي تلك التي لطالما كانت بمفردها.

***

انقضت الآن ثلاثة أشهر منذ أن انطلقت بالمركبة آخر مرة.

استغرق الأمر ثلاثة أشهر حتى أعود إلى رشدي. والآن وقد استعدتُ قدرتي على التفكير السليم، أدركت مدى جنون الشيء الذي فعلته.

أخبرتك، أليس كذلك، أنني قضيت ذات مرة بضعة أشهر وحدي في غرفتي دون الخروج منها أبدًا.

أعتقد أنني أعرف الآن. لم تكن تلك الفترة فعليًّا حياة بمفردي. لم أعِش بمفردي من قبل حقًّا. حتى وأنا منعزل في غرفتي، كان الناس يزيلون القمامة التي تركتها خارج الغرفة، ويفرغون خزَّان الصرف الصحي. أداروا محطات الطاقة وربطوا خطوط الكهرباء، وتفقَّدوا صمامات الغاز واستبدلوا الماء في المبرِّد ونظفوا المصارف. وفي مكان آخر غلوا الشعيرية ووضعوها في طبق أمام باب غرفتي من أجلي، ثم عادوا ليجمعوا بقايا الطعام والأطباق الفارغة ونظفوها واستخدموها مرة أخرى. لم أعِش بمفردي أبدًا، ولا مرة واحدة. كيف يمكن حقًّا العيش بمفردك؟

حينذاك كانت مجرد حقيقة العيش تعني أنني لست وحدي.

في كل مرة أستيقظ أفكر: لا يمكن أن يحدث هذا. سأموت. إن لم أمُت اليوم، فسأموت غدًا.

لا يمكنني الحفاظ على الطعام في معدتي بعد الآن. أتقيّأ كل شيء كلما حاولت تناول الطعام. أرتطم بالجدران وأصرخ، "يجب أن أعود! فلينقذني أحدهم!"، ولكن حتى لو أردت العودة الآن، فلا يزال يتعيَّن علي قضاء المدة نفسها التي كنت فيها بالخارج هنا بالفعل، في إبطاء سرعة المركبة.

كل شيء على ما يرام.

كل شيء على ما يرام. إنها سنتان فقط.

بسببي، لأنني فعلت شيئًا غبيًّا؛ أنتِ قادمة إلى هذه الحقبة الخطرة وأنت تجهلين ماذا ستجدين. ماذا لو أتيتِ دون أن تعرفي ماذا تتوقَّعين، فقط حتى يحدث لكِ شيء مريع مثلما حدث لي؟

رسالته الـ 8

3 سنوات وشهرين في الرحلة

بعد 19 سنة وشهرين بتوقيت الأرض

ذهبت إلى الميناء الفضائي في اليوم الذي كان يُفترض أن تَصِلي فيه.

فكَّرتُ أنه لو ظهر أمامي عصبة من قطَّاع الطرق أو الخارجين عن القانون فسأُقتل في لحظةٍ، لكن لم يأتِ أحد.

في غضون ذلك، لا بُدَّ أن فيضانًا قد حدث أو شيء من هذا القبيل؛ إذ كان الميناء مُغطًّى بالتراب، وأصبح سهلًا بريًّا. على التراب نَمَت نباتات حبق الماء وحشيشة الجبل غزيرةً وخضراء. ذكَّرني هذا المشهد بالمرة التي ذهبت فيها إلى مكتب الحي لتقديم شكوى بسبب عدم قدومهم للقيام بأعمال الإصلاح بالسرعة الكافية بعد اندلاع فيضان في قريتي القديمة. لم أدرك من قبل أن هناك جدولًا مائيًّا صغيرًا يخترق منتصف الميناء مباشرة. أظنُّ أن مسار الماء حتى تلك اللحظة كان يُعاد توجيهه إلى البحر بواسطة مضخَّة أو شيء من هذا القبيل. كانت قاعة الانتظار مغطاة بالكرومات الزاحفة، وتراءت لي أشبه بربوة صغيرة.

كانت النوافذ كلها مكسورة أو مهشَّمة الزجاج، مجرد إطارات فارغة. لكن، ورغم كل ذلك، لا تزال توجد أغلفة بسكويت مبعثرة، وآثار للأماكن حيث كنَّا نجهِّز وجبات الطعام هناك قبل خمس سنوات. اضطررت إلى الضحك.

لم تأتي.

انتظرت طوال الليل، واليوم التالي كله لكنكِ لم تأتي.

استلقيت في الحقل المجاور للميناء الفضائي، وراقبت النجوم تظهر ثم تتلاشى. شاهدت بحرًا من النجوم يطفو متجاوزًا حدود الأرض. تخيَّلتُ لو أنني على متن قارب عملاق. وهو ما كان صحيحًا بقدر ما. فكَّرت، لا بأس. لو كانت رحلة تستغرق حوالي ساعة، فليس من الغريب أن يتأخر المرء عشر دقائق. وقياسًا إلى ذلك، من الطبيعي أن يصل المرء في رحلة تستغرق عشر سنوات، متأخرًا بسنة.

لم أنتظر سنةً كاملةً. لكنني انتظرت أربعة شهور وثلاثة أيام. نِمتُ في السفينة، وأعددت وجبات من التربة باستخدام آلة صنع الطعام الكهربائية.

لم تأتي.

لكن لسبب ما لم أكن حزينة. حسنًا، لم أكن سعيدًا أيضًا.

فقط هادئ. شعرت وكأنه تحوُّل طبيعي وحتمي تمامًا للأحداث. إنْ كنت ظهرت من وسط عيدان الحقل الطويلة، فربما كنت لأقول شيئًا مثل، "واو. مَن كان يعلم أن مثل هذا الشيء المنافي للعقل يمكن أن يحدث حقًّا؟ إنه لأمر غريب جدًّا. سيتعيَّن عليك العودة من حيث أتيت، والخروج مرة أخرى بعد مدة وجيزة حتى أصدق أن هذا حقيقي".

بعد ذلك أقلعتُ بالسفينة.

ما كان لديَّ سبب حقيقي للمغادرة. لم يَعُد لديَّ أي سبب بعد الآن للسفر إلى المستقبل. لكنني لم أستطع تصور ما سأفعله لو بقيت. على الأقل إنْ ذهبت إلى المستقبل، فسيكون التلوُّث قد خفَّ، وستكون

البيئـة أكـثر ملاءمـة للعيـش. لم أفكـر فيـما هـو أبعـد مـن ذلـك. لم أمتلـك الأعصـاب للتفكـير عـلى الإطـلاق حقًّـا.

فكَّـرتُ أن أيَّ مـكان مـا عـدا هنـا، سـيكون جيـدًا. مـكان لـن يُذكِّـرني بـأي مـن هـذا. بمـا في ذلـك أنـتِ.

رسالته الـ 9

5 سنوات وشهران من بداية الرحلة

بعد (ربما حوالي) 74 سنة بتوقيت الأرض

آسف. مضى وقت طويل منذ آخر مرة كتبت فيها إليكِ، لكنكِ تعرفين، عندما أرسلت آخر رسالة، كنتُ في حالة نفسية سيئة. لم أرغب في التفكير بكِ. أظن أنني -لتحرِّي الدقة- لم أمتلك الطاقة للتفكير على الإطلاق. في بعض الأحيان، شعرت بالخيانة في خِضَمِّ تَصوُّراتي لدرجة أنني صَرَرت على أسناني، وفي أحيان أخرى كانت ثمة شطحات في خيالي جعلتني أشعر برغبة في البكاء.

في لحظة أفكر أنك ربما لم تكوني قادرًا على إرسال الرسائل. أو ربما لا تزالين تكتبين إيميلات إلى عنوان بريدي القديم. ثم في اللحظة التالية يعتريني الغضب من حقيقة أنكِ لم ترسلي أي كلمة. في لحظة أفكر، ربما لم تتلقَّ أيًّا من رسائلي. في اللحظة التالية أكون غاضبًا مرة أخرى، معتقدًا أن ذلك -ولا بُدَّ- مستحيل. وبعد ذلك أشرع بالبكاء مرة أخرى.

سأعترف. لمدة طويلة، حاولت النجاة فحسب.

تفقَّدتُ أشيائي ذات يوم ووجدت كل تلك الوثائق التي جهَّزتها سلفًا مثل دفتر الحسابات الذي كتبته والأوراق القانونية التي جمعتها معًا. لا بُدَّ أن ذلك أثار إحساسًا معينًا بداخلي. مزَّقتُ الوثائق جميعًا

إلى قصاصات، ثم أطلقت العنان لدموعي. لا بُدَّ أنني فقدت الوعي بعد ذلك.

ذات يوم تبوَّلتُ فوق جدران المركبة. تركت قطرات البول في الهواء، تطفو من حولي. تسلَّلَت إلى داخل أنفي وفمي، وتناثرت في جميع الفجوات الموجودة في المركبة. كنتُ عاجزًا تمامًا، مثل مريض سرطان في أيامه الأخيرة.

ثم مرضت حقًّا. كل ما يدخل جوفي، أتقيَّؤه مباشرة بطريقة أو بأخرى. لم أستطع التعامل مع الأمر. شعرت وكأن كياني كله ينسكب خارجي. وأنني سأتلاشى قريبًا. بالكاد تمكَّنتُ من التَّنفُّس، لكن في كل مرة أستنشق فيها، كان الهواء ملوَّثًا بالبول. فقط عندما بدأت قطرات منه تتراكم في أنفي وتسدُّ قصبتي الهوائية، عُدتُ إلى رُشدي. رحت أتلمَّس طريقي إلى لوحة القيادة، وشغلت المُسرِّع. عندما سرى تأثير الجاذبية، سقط البول على أرضية المركبة مثل المطر. كل شيء كان يطفو في الأرجاء تهادى على الأرض. غِبتُ عن الوعي متكوِّمًا في مكاني.

لا أعرف لماذا عِشتُ. لكن عند التفكير في الأمر، لا أعرف أيضًا لماذا كنت أحاول الموت. حسنًا، هذه هي طبيعة الموت، أن يعزف المرء عن فعل أي شيء على الإطلاق؛ مثل تلك المدينة المهجورة. عليكَ أن تفعل شيئًا، أي شيء، لتبقى على قيد الحياة. يجب أن تمتلك نوعًا من الإرادة، ولا تستسلم.

عانيت من حمى شديدة، وفقط عندما بدأت في التعافي، تذكَّرت أنني كنت أسافر بسرعة الضوء. ما هي المدة التي غبت فيها عن الوعي؟ ساعة؟ يوم؟ شهر؟ سنة؟ كم من الوقت مرَّ بالخارج؟ لم يُخبرني المشهد المحيط بي بأي شيء. هززت الساعة التي أعطاني إيَّاها القبطان العجوز، لكن تروس الساعة لم تَدُر بشكل صحيح. كفَّت الساعة الغبية عن العمل. لم تكن هناك طريقة لمعرفة الوقت.

أبطأت المركبة من سرعتها، وعندما ظهرت الأرض في مرمى بصري، تحوَّل الإحساس السيئ بداخلي إلى رعب. بدت الأرض كالقمر. مظلمة ووعرة السطح كأنَّه لم يكن هناك وجود للحياة عليها قط.

فقط بعد أن اقتربت، أدركت أن السطح الكئيب الخشن المنظر كان في الواقع غيومًا داكنة. كانت الأرض كلها مغطاة بالغيوم. لم تكن ثمة طريقة لمعرفة المكان الذي يجب أن أهبط فيه. كانت مجرد دوامة هائلة من سُحُب سوداء.

بعد برهة قصيرة، أدركت أنني كنت أصرخ. عندئذ أرحت رأسي فوق لوحة القيادة وبكيت. عندما كنت صغيراً، شاهدت انهيارًا أرضيًّا يحدث بالقرب من الباحة الخلفية لمنزلنا. ابتلع التراب منزلًا آخر عن بَكرَة أبيه. لحسن الحظ لم يكن هناك أحد بالداخل في ذلك الوقت، لكنني صرخت وأنا أشاهد ذلك يحدث. قالت أمي إنها اضطرَّت إلى إمساكي بقوة بين ذراعيها مدة ساعة تقريبًا قبل أن أهدأ. لطالما صرخت في وجه الأشياء التي تختفي. في مواجهة الأشياء التي تُخرَّب، تتفكَّك، تشيخ، يعفو عليها الزمن، تتحلَّل، تموت، تنهار. رثيت الأشياء التي ضاعت في ضربة واحدة وحشية، دون إمكانية استعادتها أبدًا.

خطرت الفكرة في بالي أن ثمة حربًا قد اندلعت. قنبلة رهيبة داخل معمل أبحاث انفجرت، وارتفع رمادها إلى طبقة الستراتوسفير من الغلاف الجوي، ثم ظل الرماد الذي ارتقى إلى هناك يغطي الأرض. أو ربما كويكب أو جسيم غريب ضخم قد ارتطم بالأرض. سمعت في مكان ما أنه سيكون لمثل هذا الارتطام تأثير مشابه. أو...

لماذا أنا هنا؟ لماذا يمكنني رؤية شيء كهذا؟

أريد أن أرجع إلى المنزل. حاولت أن أتخيل أنني دخلت آلة زمن، وأحظى الآن بإطلالة على المستقبل. يمكنني فحسب أن أقول لنفسي:

"أهـه، إذًا هكـذا سـيبدو المسـتقبل" ثـم سـأرجع إلى زمـاني، وأتباهـى بذلـك أمـام أصدقـائي:

"لن تخمِّنوا أبدًا! لقد ذهبت وألقيت نظرة على المستقبل؟".

"ماذا؟ حقًّا؟! اليانصيب! هل تحقَّقتَ من أرقام اليانصيب؟".

"أوه، اللعنة، لقد نسيت النظر إليها".

"كيف يمكنكَ أن تكون غبيًّا إلى هذه الدرجة؟".

لكـن لا يمكننـي الرجـوع بالزمـن. كيـف يمكننـي ذلـك؟ لـو رجعـت إلى المنـزل، هـل سـيكون في انتظـاري شيء لأفعلـه عـلى أي حـال؟ ثمـة قاعـة زفـاف قـد حجزتهـا. كنَّـا نخطِّـط للـزواج. مـاذا يجـب أن نفعـل حتـى يتوافـق ميعـاد وصولنـا؟

توجَّهـتُ نحـو الميـنـاء الفضـائي. عندمـا اخترقـت المجـال الجـوي، وهبطـت، أمكننـي رؤيـة سـطح اليابسـة. خطـر ببـالي أن أغـادر مجـدَّدًا دون الهبـوط، لكننـي تخيَّلـتُ الكثـير مـن السـيناريوهات المروعـة ففكَّـرت أنـه سـيكون مـن الأفضـل أن أشـاهد مـا حـدث حقًّـا.

كان الوقـت نهـارًا، لكنـه لم يكـن مختلفًـا عـن منتصـف الليـل. كان الميـنـاء مدفونًـا تحـت الثلـج، وكانـت عاصفـة جليديـة تحـوم في الأفـق مثـل عاصفـة رمليـة بيضـاء؛ لـذا لم أسـتطع أن أتبـيَّن شـيئًا. تشـكَّل الجليـد عـلى طـول السـاحل؛ لذلـك كان مـن المسـتحيل التعـرف عـلى التضاريـس القديمـة. خوفًـا مـن تجمُّـد مُحـرك سـفينتي مـن شـدة الـبرد؛ فكَّـرتُ في الإقـلاع ثانيـة.

ثم توقَّفتُ.

لمحـت آثـار هبـوط سـفينة. ذابـت بقعـة ضخمـة مـن الثلـج عـلى شـكل سـفينة، أقـلَّ ذوبانًـا وأكـثر كثافـة مـن الثلـج حولهـا، واتخـذت شـكل يشـبه وعـاء ضخـمًا مضغوطًـا في الجليـد. كانـت الريـاح العاتيـة والثلـج

المتشكِّل حديثًا يغطيانها بسرعة. لا بُدَّ أنها موجودة هنا منذ وقت ليس ببعيد. أسابيع قليلة على الأكثر، ربما بضعة أيام، أو قبل قليل فحسب.

ركضتُ تجاهها، وقدماي تغوصان بعمق في الجليد مع كل خطوة، ونبشت بيدي داخل الحفرة. كأنني لو حفرت بعمقٍ كافٍ سأجد السفينة. أثناء الحفر رأيت المزيد من الآثار. بدا الأمر وكأن السفينة نفسها قد هبطت في وقت سابق. وهبطت مرات أخرى كثيرة قبل ذلك.

شققتُ طريقي عبر الثلج مثل رجل مجنون يحاول الوصول إلى مكان معين. غاصت قدماي، وحاصرتني الثلوج، وسقطت أرضًا. صرخت باسمكِ بكل ما أوتيت من قوة، لكنَّ العاصفة الثلجية الهادرة ابتلعت صوتي. وراء الضباب المعتم، اصطفَّت ناطحات سحاب مثل حشد من الأشباح.

لا ضمانة أنها كانت سفينتكِ. لكن لا ضمانة في المقابل أنها لم تكن.

كنت قد هرولت إلى داخل سفينتي لأكتب هذه الرسالة. سأشدُّ الرحال إلى الميناء الفضائي هذه المرة بعد عشر سنوات من الآن. لو أنَّكِ نظرتِ إلى مكان وزمان هذه الرسالة، ستكونين قادرة على تحديد التوقيت. إن استلمتِ هذه الرسالة، فأرجوكِ، تعالي إلى الميناء.

سأكون في انتظاركِ.

رسالته الـ 10
7 سنوات وشهران من بداية الرحلة
بعد (كما أظن حوالي) 84 سنة بتوقيت الأرض

لم تأتي.

صادفت في المقابل سفينة نسيت أمرها تمامًا. يبدو أنهم أتوا بعد تلقي رسائلي. تعرفين، أول سفينة استقللتها؟ تلك التي قلت أنها كانت أشبه بمدينة صغيرة. السفينة المزوَّدة بمقاهٍ وسوق للسِّلع المستعملة. استطعت التعرف عليها، لكنها كانت مختلفة بشكل ما. غطَّت عوامل الزمن السفينة بقشرة غريبة مثل الطحالب أو العفن. كانت مصفرَّة ومتعفِّنة ونَتِنة الرائحة قياسًا بما كانت عليه عندما استقللتها. عندما شاهدت أناسًا على متنها، تذكَّرت ما قاله أصدقائي لي قبل رحلتي الأولى. "تعرف، الأشخاص الذين يسافرون ما بين النجوم يصبحون إمَّا مسترخيين حقًّا أو مجانين حقًّا. أعتقد أن أولئك الناس يأتون تحت تصنيف "مجانين". لا يعني ذلك أنني أفضل حالًا.

حتى قبل أن أخرج من مركبتي، كان الناس غاضبين بالفعل. أعتقد أنه لا يمكن لأحد أن يتخيَّل قدرة إنسان على قيادة مثل هذه المركبة الصغيرة بمفرده طيلة الطريق حتى هنا. لا أقصد بـ"هنا" هذا المكان، ولكن هذا الزمان. أنا متأكِّد من أنهم جميعًا كانوا مقتنعين بأنهم

سـيقابلون سـفينة أشـبه بـ"مجمـع تجـاري ضخـم" زاخـرة بالشـعيرية الجاهـزة للتسـخين، واللحـم المجمَّـد، وغيرهـا مـن الإمـدادات.

جـرَّني النـاس خـارج مركبتـي، وقلبـوا محتوياتهـا رأسًـا عـلى عقـب. اقتلعـوا أجزائهـا، وانتزعـوا الأسـلاك، وفحصـوا مـؤشرات الأجهـزة، والأدراج، وكل شيء، ثـم قذفـوا بـكل شيء في الثلـج. عندمـا حاولـت منعهـم، ضربـوني. في كل مـرة حاولـت فيهـا منعهـم، تعرَّضـتُ للـضرب. في النهايـة توقَّفـتُ في مـكاني فحسـب. لكـن هـذا لا يعنـي أنهـم كفُّـوا عـن ضربي. بمجـرد أن فحصـوا كل شيء وقلبـوا السـفينة مـن الداخـل إلى الخـارج، بـدا أن غضبهـم قـد تضاعـف. فاحـت مـن المركبـة بأكملهـا رائحـة البـول، ولم يجـدوا أي شيء صالـح لـلأكل.

ربمـا توقَّعـوا في أسـوأ السـيناريوهات التـي تخيَّلوهـا، سـفينة حربيـة ضخمـة، وكانـوا مسـتعدِّين لقتـال مَـن فيهـا، لكـن الـشيء الوحيـد الـذي كان عليهـم التغلـب عليـه الآن هـو أنـا فحسـب؛ لذلـك بـدا أنهم يشـتعلون غضبًـا. كنـت عـلى يقـين مـن أننـي سـأموت، لكـن ربمـا اعتقـدوا أن قتـلي لا فائـدة منـه. إنْ مـتُّ، لـن يتمكنـوا مـن مواصلـة ضربي. ولـن يكـون مـن الممتـع ضربي بمجـرد أن يغمـى عـليَّ ولا أسـتجيب؛ لذلـك تركـوني وشـأني.

حبسـوني في زنزانـة داخـل السـفينة الكبـيرة، حيـث قابلـت القبطـان مـرة أخـرى. أتعلمـين، ذلـك الرجـل الـذي قلـت لـكِ إنـه بـدا وكأنـه يعيـش في العـصر الخطـأ. يبـدو كـما لـو أنـه وجـد زمانـه المثـالي. بـدا الآن وكأنـه أسـدٌ عجـوز نجـا في وسـط غابـات السـافانا. كان رشـيقًا ونحيـلًا وواثـق النفـس بدرجـة جعلتنـي أشـعر بالذهـول. وشـت عينـاه أنـه تـرك مسـألة نجاتـه حتـى يقرِّرهـا شيء مثـل العنايـة الإلهيـة.

يبـدو أنـه قـرأ كل رسـائلي. اطَّلـع عـلى كل رسـالة منهـا، في حـين أقـف هنـاك. خفـق جسـدي بقـوة لدرجـة أننـي لم أسـتطع التحـرك. فيـما يقـرأ، كان يكتـم ضحكتـه. أوضـح أنـه بسـبب عـدم تمكُّنـه مـن مشـاهدة أي

مسلسلات تلفزيونية هذه الأيام، كان الاستماع إلى رسائلي مصدرَ سرور نادر له. طلب مني حتى أن أكتب المزيد من الرسائل. ارتجفت، وقد داهمتني فكرة غامرة بأن عليَّ أن أسحق ابن العاهرة ذاك مرة واحدة وإلى الأبد. في رأسي، رحت أختلق سطورًا من كتاب مصوَّر هزلي على غرار: "لقد عرَّى أعمق نقاط ضعفي وسبَّب لي الإهانة. يجب أن أدمِّره". أنت تعرفين هذه النوعية من الأشياء. سألني كيف استطعت الصمود حتى هذه اللحظة بمفردي، وعندما لم أجبه، بدأ يخنقني. ثم أرخى قبضته وكأنه شعر بالرضا أن حياة وموت إنسان في يده. كان تعبير وجهه لا يُطاق.

عندما سألته لماذا لم يذهبوا إلى نظام نجميٍّ آخر في حين كانت بحوزتهم مثل هذه السفينة الكبيرة، أخبرني أنهم ذاهبون إلى الوطن- كوريا. عندما أجبت أن الوطن لم يَعُد موجودًا، قال إن ذلك لا يهم؛ ما زالوا سيعودون. إن كل شخص آخر على متن السفينة، أراد الرجوع إلى دياره. لكنني كنت أعلم أنه من المستحيل أن يقدر أي شخص يتحكَّم في المصير النهائي للآخرين؛ قرار حياتهم وموتهم بين يديه، أن يعرف حقًّا ما يريدونه.

سمح لي بالخروج من الزنزانة لألقي نظرة في أرجاء السفينة. أنا متأكِّد من أن السماح لي بالذهاب منحه القدر نفسه من المتعة التي كان سيحصل عليها من قتلي إذ مارس سلطته عليَّ. بقيتُ على متن السفينة معتقدًا أنه بمجرد أن تلتئم جراحي سيتعيَّن عليَّ المغادرة مرة أخرى. عندما ذهبت إلى الطبيبة المتواجدة على متن السفينة، وطلبت منها تضميد جراحي، تراءى لها الأمر سخيفًا، لكنها تساعدني على أي حال. كنت أعلم أنها ستساعدني لأن مَن كانوا على متن السفينة لم يضربوني لأنهم تصوروا أن بوسعهم جني أي شيء من ذلك. ضربوني فقط حتى يمارسوا سلطتهم عليَّ. لو كنت على متن تلك السفينة أيضًا، فمَن يدري ما كنت لأقترفه في حقِّ مسافر وحيد.

فكَّرت كيف كان عدم حضوركِ للقائي ضربًا من الحظ.

وداهمتني فجأة حقيقة أنني الآن لن أتمكن من مقابلتك مطلقًا.

أدركت أنه لو كان بوسعك أن تَصِلي إلى هذا الحد، فلا بُدَّ أنكِ في سفينة كبيرة حقًّا. وأنه لو كنتِ على متن سفينة كبيرة، فلن تتمكَّني من إجبارها على الذهاب أنَّى تشائين. مركبة بهذا الحجم لن تغيِّر مسارها لمجرد السماح لكِ بمقابلة رجل واحد، لا سيما شخص في مثل هذه الحالة الشائنة وكأنه شحاذ.

لا يمكنك المجيء لمقابلتي.

نحن أشبه بإنسانَيْن يدعوان من أجل أن يصادف كلٌّ منَّا الآخر في حين نندفع في اللحظة ذاتها على امتداد نهر واسع بلا حدود يتدفق في اتجاه واحد. لا نهاية للنهر، ولا توجد طريقة للسفر ضد التيار.

قال أحد العلماء الذين عاشوا في القرن العشرين ذات مرة إن وجود كائنات فضائية أمرٌ أكيد، ولكن لا يمكننا مقابلتهم. لا تكمن المشكلة في عدم القدرة على عبور الفضاء، بل لأن الوقت الذي يستغرقه السفر يحجب المسافة بين نجم وآخر. الطريقة التي شرح بها الأمر كانت مُضحِكة. أنه رغم أن الأرض موجودة منذ 4.5 مليار سنة، إلا أن البشرية وُلِدَت فقط قبل مليوني سنة، ومرَّت عشرون ألف عام فقط منذ أن بدأنا الجلوس في الأرجاء لتناول وجبات الطعام وإجراء محادثات مفيدة؛ لذلك حتى يتكبَّد فضائي عناء القدوم ولقائنا من أجل احتساء فنجان من الشاي، سيتعين عليه السفر لمسافة طويلة والوصول إلى نقطة اللقاء خلال إطار زمني قصير جدًّا.

في حين تناوب رُكَّاب السفينة الضخمة على الذهاب إلى الشاطئ والعودة من هناك في طابور كالبطاريق، ملقين بشباكهم في المياه ومحضرين ما اصطادوه، رجعت إلى مركبتي التي كانت في حالة مُزريَة. جمعت كل شيء ألقوه في الأرجاء، وبدأت في تركيبه معًا. لحسن الحظ،

أشرقت الشمس، وإلّا لكانت كومة الأشياء قد تجمَّدَت في مكانها، وتحوَّلَت إلى حفريات.

بينما يمضي الوقت، بات لديَّ جمهور. أحضروا حتى الأجزاء التي لم أمتلك ما يكفي منها. عندما احتجت إلى مُكوِّن، ذكرت اسم المادة اللازمة. أحضروا حتى ألعاب الأطفال وانتزعوا الأزرار من الملابس حتى أستعملها. من بين أولئك الأشخاص، كان هناك بعض مَن أوسعوني ضربًا سابقًا حتى فقدتُ وعيي. لم نتبادل أيَّ كلمة. مَن يعرف، لو تبدَّلت الأدوار، ربما كنت لأنضم إليهم في الضرب. ربما كنت لأشترك بكل ما أوتيت من قوة، محاولًا أن أترك انطباعًا جيدًا.

عندما ملؤوا مخزن طعامهم، صعدت على متن مركبتي أيضًا.

عندما أغلقت كوَّة المركبة، اعتقدت أنني سمعتكِ تقولين لي: "يجب أن تذهب معهم. ستكون قادرًا على العيش مدَّةً أطول قليلًا". شعرت أنك تمسكين بيدي لحظة إغلاقها الكوة. "لا يهمُّ إلى أي مدى ستمضي قدمًا، لا يمكننا أن نلتقي. يجب أن تفعل ما بوسعك للبقاء على قيد الحياة".

رددتُ بحدَّةٍ على صوتك بأن القبطان قد اعترض رسائلي كلها. لهذا السبب كان ذهابي معهم مستحيلًا.

رسالته الـ 11
8 سنوات و8 شهور من بداية الرحلة
بعد 145 سنة (تقريبًا) بتوقيت الأرض

عندما رجعت، كانت الأرض متجمِّدةً تمامًا ما عدا منطقة محدودة حول خطِّ الاستواء. انقشعت الغيوم، لكن اكتشفت أن غطاء من السحب السبب ورائها.

سمعت ذات مرة أن الأرض في الواقع تكاد تكون كوكبًا جليديًّا. أن البشرية تشبه إلى حدٍّ كبير نباتات بعمر افتراضي لا يتجاوز يومًا واحدًا، تزدهر خلال صيف قصير جدًّا. وسمعت أن فصل شتاء طويل نسبيًّا يمكنه أن يكون سببًا في قدوم عصر جليدي. إنْ تساقطت ثلوج أكثر قليلًا من العام السابق، وزادت مساحة الرقعة الصقيعية قليلًا، فسيخفض الثلج المتزايد قليلًا درجة حرارة الأرض جزئيًّا، ثم في العام التالي ستتساقط ثلوج أكثر قليلًا من العام السابق في دورة متكرِّرة لا تنتهي.

تلك الغيوم المظلمة بمقدورها حجب أشعة الشمس مدة عام. وذلك يكفي لإحداث عصر جليد.

سيتراجع الخط الساحلي وتتشكل الأنهار الجليدية. خريطة الأرض التي عرفناها ذات يوم ستتغير ملامحها بالكامل. ستتغير تيارات المد

والجـزر وسـتلتهم التيـارات المتغـيرة اليابسـة بطرائـق مختلفـة. سـتدفع الأنهـار الجليديـة الجديـدة اليابسـة وتغـيرٍّ التضاريـس بحيـث تتحـوَّل جغرافيـا الأرض إلى الأبـد، وبشـكل لا رجعـة فيـه. الزحـف البطـيء للأنهـار الجليديـة مـن شـأنه أن يسـحق كل آثـار الحيـاة البشريـة بكتلتهـا الثلجيـة التـي تـزن مئـات الملايـين مـن الأطنـان. البقايـا المثـيرة للشـفقة التـي قـد تنجـح في الصمـود بـين الأعشـاب والأعـواد المائيـة سـتتحول جميعهـا إلى غبـار.

أبطـأت مـن سرعتـي بمـا يكفـي فقـط لأتأكَّـد مـن عـلى مبعـدة أن ذلـك مـا حـدث فعليًّـا، ثـم زدت مـن سرعتـي مـرة أخـرى. فكـرت، ربمـا سـأرجع عندمـا تكـون حـرارة الأرض قـد ارتفعـت قليـلًا.

لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا على أي حال.

رسالته الـ 12
9 سنوات وشهرين في الرحلة
بعد 170 سنة (تقريبًا) بتوقيت الأرض

أنا في انتظارِك.

حتى لو لم يكن بوسعي العثور عليكِ في أي مكان. حتى لو كنت قد استقررت قبل سنوات طويلة على سطح نجم قصيٍّ، وقابلتِ رجلًا طيبًا، وأنجبتِ منه عشرة أطفال، وعِشتِ أيامكِ محاطة بعائلة حنونة. أو ربما كنت تسافرين عبر مسار ضوئي بعيد في انتظار تعافي الأرض. حتى لو، بطريقة أو بأخرى، كنت تخرجين للتَّوِّ من سفينة في نظام نجمي بعيد، وتتذكرينني مثل ذكرى قديمة من أيام شبابك. "آه، أجل، تعرَّفتُ على رجل يشبه هذا ذات مرة. لكن لا بُدَّ أنه مات منذ زمن طويل، في خط زمني آخر".

تتطلَّب النجاة يومًا آخر عمل يوم كامل. لو نفضتُ يدي عن الأمر، حتى ولو لبضع ساعات، يتمدد الزمن إلى ما لا نهاية. يساورني هذا الهاجس: في اللحظة التي أفقد فيها السيطرة على الزمن المتمدد إلى ما لا نهاية، ستكون تلك نهايتي.

ضبطت المنبه بحيث يرن على فترات منتظمة. بغضِّ النظر عن الساعة في الخارج، أنام في التوقيت نفسه، وأستيقظ في التوقيت نفسه. أتمرَّن في الساعة ذاتها كل يوم، وأتناول القدر ذاته من الطعام في

مواقيـت ثابتـة أيضًـا. في نهايـة المطـاف، لا أحـد هنـا ليعالـج جسـمي لـو انهـار. لا تـزال المركبـة تُصـدر صريـرًا مـن مـكان مـا. أنـا متأكِّـد مـن أن الرطوبـة التـي تسـبَّبت فيهـا عندمـا كنـتُ أتبـول في كل مـكان لا تـزال تُسبِّب مشـاكل في هيـكل السـفينة. لـو شرعـت في محاولـة إصلاح عطـل مـا، يضيـع يـوم بأكملـه. أدرس كتيـب تعليـمات عمـل السـفينة يوميًّـا. في النهايـة، لـن يقـرأه أحـد نيابـة عنـي.

بـدأت أزرع النباتـات في المركبـة. ببـذرة واحـدة، تسـتطيع أن تحصـل عـلى مئـات البـذور خـلال شـهور قليلـة. أحتـاج إلى الأوكسـچين الطبيعـي الـذي تنتجـه. في البدايـة مـات معظمهـا، لكـن يبـدو الآن أنهـا جميعًـا قـد تأقلمـت إلى حـدٍّ كبير مـع الظـروف داخـل السـفينة. وهـو مـا يعنـي أننـي مؤخَّـرًا صرت قـادرًا عـلى تنـاول شيء بجانـب الطعـام الـذي تنتجـه آلـة صنـع الطعـام مـن الـتراب.

ذات يـوم، اسـتيقظتُ شـاعرًا أننـي لا أسـتطيع التنفـس. فكـرت: يجـب أن أفتـح نافـذة. كان عـليَّ أن أفتـح نافـذة وأسـمح بدخـول بعـض الهـواء. خيَّـم الليـل بالخـارج. لا بُـدَّ أننـي قـد نمـت حتـى سـاعة متأخـرة حقًّـا. ثـم أدركـت: أوه، اللعنـة، اليـوم يـوم الزفـاف. أمامـي الكثـير مـن الأمـور لأسـتعدَّ لهـا. ذهبـت حتـى أفتـح النافـذة. لم تنفتـح. أي نافـذة خرقـاء لا تمتلـك مقبضًـا؟! وهكـذا أخرجـت مفتـاح الربـط الـذي كنـت أحتفـظ بـه في جيبـي. فكَّـرتُ: سـيتعيَّن عـليَّ أن أهشـم النافـذة لأفتحهـا. كنـت متأكـدًا مـن أننـي سـأموت لـو اضطـررت إلى احتـمال دقيقـة أخـرى والنافـذة اللعينـة مغلقـة. كـم مـضى عـلى آخـر مـرة هُوِّيَـت فيهـا السـفينة؟ فاحـت مـن المـكان رائحـة عـرق وبـول قـذرة. كنـت عـلى وشـك أن أهشِّـم النافـذة عندمـا أمسـكت يـدي بالأخـرى التـي كانـت تلـوح بمفتـاح الربـط. ظللـت محنـيَّ الظَّهـر مُـدَّةً، متشـبِّثًا بتلـك اليـد المرتعشـة حتـى جمعـت شـتات نفـسي. سـمعتكِ تقولـين: "أنـا هنـا. أنـا في انتظـاركَ".

ما كنت لأقدر على استعادة سيطرتي لو لم تراودني تلك الخاطرة.

لـذا فقـد أنقـذتِ حيـاتي. مهـما كان عمـركِ الآن، وسـواء كنـتِ ميتـة بالفعـل أو لا تزالـين حيـة في مـكان مـا، تسـافرين عـبر مجموعـات لا نهائيـة مـن النجـوم.

رسالته الـ 13
9 سنوات 7 شهور من بداية الرحلة
بعد (ربما) 223 سنة بتوقيت الأرض

عندما كنت نائمًا، بدأت المركبة تهتز. بدا الأمر وكأنه ليس قاصرًا على سفينتي، بل وكأنما النظام الشمسي بأكمله يرتجُّ بشدة. نظرت من النافذة ورأيت نيزكًا ضخمًا يصطدم بالأرض. لا بُدَّ أنه كان يندفع بسرعة مخيفة، لكن بسبب ضخامته بدا وكأنه يسير ببطء. حتى من هذه المسافة البعيدة، كان بإمكاني رؤية المحيطات تفور من جرَّاء قوة التصادم. انتشر الماء الذي انفجر، وفاض فوق المناطق المحيطة به، وفي لحظة، غلى وشكَّل ريحًا حمراء ساخنة اجتاحت اليابسة. لكن الأرض بدت صغيرة جدًّا لدرجة أنني لم أشعر بأي شيء.

عندما كان ذلك الكوكب مليئًا بالبشر، كان بإمكانهم فعل شيء حيال ذلك.

بينما كنت أحدِّق فيها مباشرة، أصبحت الأرض كرة من اللهب. بهذا المعدل، كان الغلاف الجوي بأكمله سيحترق. وستتبخَّر المحيطات كلها. لن يبقى شيء على قيد الحياة...

ثم استيقظت.

ولكن حالما استيقظت، لم أستطع معرفة أين بدأ الحلم، وأين انتهى. عندما كان يراودني حلم يبدو حقيقيًا جدًّا، أفكر في أي جانب كان الحلم غير قابل للتصديق تمامًا، وبعد ذلك أفكر، آه، هذا صحيح، يجب أن يكون الجانب غير المعقول هو الحلم، لكن في هذه الأيام لا يمكنني التمييز بين الحقيقة والحلم.

كانت الموسيقى تتدفَّق من الخاتم الذي تركته فوق المنضدة. فكرت: الخاتم يغني. لا بُدَّ أن ذلك حلم. عندما نظرت حولي، كان العرسان المنتظرون الذين صعدوا على متن السفينة نفسها يشخرون، وكلهم متكدِّسون جنبًا إلى جنب فوق الأرضية. تدلَّت أزهار وشرائط من الجدران، ولافتات مكتوب عليها كلمات "على وشك الزواج" معلَّقة هنا وهناك.

خرجت من الغرفة لألقي نظرة داخل سفينة الركاب الأشبه بمدينة صغيرة. كان الناس يتجوَّلون وهم مهندمون وكأنهم ذاهبون في نزهة صيفية. بدوا جميعًا متحمِّسين وسعداء. فكرت: آها! إنه مجرد حلم. حمدًا للرب أنه مجرد حلم. على السقف العالي للسفينة، بجانب وجه القبطان الذي ينظر إلينا، عُلِّقَت لافتة نيون متوهجة كُتِب عليها "نحن عائدون إلى الوطن". لذلك بالطبع فكرت، انتظِرْ لحظة، هذا مستحيل.

وجدتكِ تجلسين ضمن زمرة من الناس، تبدين تمامًا كما كنتِ عندما رحلتِ. لا، بل تمامًا كما بدوتِ عندما التقينا أول مرة. تمامًا كما لطَّختُ دونما قصد ملابسكِ التي اشتريتها حديثًا بالآيس كريم أثناء عملي في وظيفتي ذات الدوام الجزئي.

أنا الذي انفجرت في البكاء بعد ذلك، خائفًا من أنني سأضطرُّ إلى التخلي عن راتبي بالكامل كتعويض. وأنتِ التي أخذتِني إلى الحمام،

قائلة: "لا تقلق، يمكننا إخفاء الحادث برُمَّته عن مديرِكَ". عملنا معًا للتخلص من بقعة الشوكولاتة التي بدت وكأنها لن تنمحي أبدًا.

"يا إلهي! انظروا إلى ذلك الرجل هناك".

اكتست وجوه الأشخاص الذين كانوا يجلسون معكِ بالصدمة عندما رأوني. "العريس يبدو أكبر بكثير. أوه، ماذا يمكنها أن تفعل الآن! الأمر مُحرِج".

لا تعرفين كيف تتصرفين، فتنكّسين رأسكِ.، تهمس في أذنيكِ المرأة التي كانت تبحث عن مرطِّب، الآن توجد ضمادات ملطخة بالدماء، ملفوفة حول بطنها: "ذلك الشاب الذي وقعتِ في غرامه قد رحل الآن. حتى لو قابلتِه، فهو ليس الشخص ذاته. الزمن شيء وحشي، كما تعلمين".

شققت طريقي بين الناس، وأمسكت بيدكِ وشَدَدتكِ حتى تنهضي. "عليكِ أن تخرجي من هنا. وتبتعدي عن هؤلاء المهرِّجين. هؤلاء الناس عالقون في الماضي. لم يكبروا ولم يشيخوا يومًا واحدًا".

لقد كبرت. كل يوم أشيخ يومًا. كل شهر، أشيخ شهرًا. كل عام أشيخ عامًا. عشت والزمن يتراكم داخل جسدي. وهذا يعني أنني مناسب لكِ تمامًا. أصبحت شخصًا أكثر ملاءمة لكِ ممَّا كنت عليه قبل عشر سنوات. أصبحت شخصًا جيدًا أكثر مقارنة بما كنت عليه قبل مئات السنين. غدًا سأصبح شخصًا أكثر ملاءمة لكِ مقارنة باليوم. في العام المقبل، سأصبح أكثر ملاءمة من ذلك بكثير.

عندما فتحت عيني، كنت داخل مركبتي. كنت طافيًا مع كل شيء آخر موجود هناك. فقط الخاتم الذي يعزف أغنية كان التفصيل الوحيد المشابه للحلم.

أغمضت عيني وفتحتهما مرة أخرى. عندما فتحت عيني، كنتِ هنا معي. كنتِ مستلقية فوقي. حسنًا، اعتمادًا على الطريقة التي تنظرين بها إلى الأمر، يمكنكِ القول إنني أنا الذي كنت مستلقيًا فوقكِ.

تحدَّثتِ معي. "دعنا نحظى بطفل هنا والآن".

ضحكت: "هنا؟!".

همستِ في أذني: "في هذا العالم الذي يتدفَّق بسرعة الضوء. في عالَمٍ حيث الزمن لا يمر. لن يعتقد الطفل أنه أمر غريب على الإطلاق. تيار الزمن هذا سيكون دارنا. سيكون ذلك كل ما يتعيَّن عليه معرفته. على النقيض، سيعتقد أن المسارات الزمنية الأخرى التي تتدفَّق ببطء غير طبيعية. لن يخاف أو يشعر بعدم الانتماء إلى المكان مثلنا في كل مرة يصل فيها إلى مسار زمني جديد. تمامًا مثلما لم تجد أنت غرابة عندما انتقلت من عمر العشرين إلى الحادية والعشرين. سيعتقد أن العيش ألف أو ألفَيْ سنةٍ طبيعي تمامًا. لن يحزن بشأن الزمن الفائت. لن يبكي من مشاهدة الأشياء تختفي. سيعتقد أن ذلك طبيعي وحتمي. لن يضطرَّ ابننا إلى تلمُّس طريقه كالتائهين مثلما نفعل. لن يتجول في الأنحاء مُقيَّدًا بمفاهيم الجاذبية. سيحلِّق إلى حدود لا متناهية. ستُتاح له الفرصة لرؤية ما عجزنا نحن عن رؤيته".

أجل، سيكون ذلك مذهلًا.

لو أننا فقط نستطيع اللقاء.

رسالته الـ 14

10 سنوات وشهران من بداية الرحلة

لا توجد أدنى معرفة بتوقيت الأرض

كنت بالخارج أحاول إصلاح جناح السفينة عندما انطلق جهاز الإنذار. كان ذلك يعني أن الرياح الشمسية تقترب. حتى بعد سماعي للإنذار، كنت أتطلَّع إلى الفضاء بالخارج وأنظر إلى مجموعة نجمية تتهاطل.

قلت لجهاز الإنذار: "حسنًا، حسنًا". لم أكن أنوي الموت. علمت أن لديَّ خمس دقائق كاملة، ويمكنني بسهولة الاحتماء خلال ذلك الوقت. لا، لست متأكدًا. كنت أحدِّق في النجوم فحسب. فكَّرت في عددٍ لا يُحصَى من الحياة المتوهِّجة هناك على الجانب البعيد من الزمن.

رجعت إلى السفينة بعد أربع دقائق. دخلت كبسولة الملجأ في غضون دقيقة واحدة، وغلبني النعاس من فوري. لا أعرف ماذا حدث بعد ذلك، لكن عندما حاولت الخروج، كان الباب مقفلًا.

لم أبكِ. فكَّرت فحسب: سيكون من الغباء أن أموت عالقًا هنا. تذكَّرت كل المرات السابقة التي كان من الممكن أن أموت فيها، فكَّرت أنني كنت سأكون أفضل حالًا لو كنت قد متُّ حينها. لكنني لا

أعتقد أن الموت كان سيكون سهلًا مهما كانت الطريقة التي يحدث بها. ثم نِمتُ مرة أخرى.

بمجرد أن استغرقت في النوم، كنتِ أمامي. عندما رحَّبت بكِ بـ"أنتِ هنا!"، بدأتِ فجأة تحكين لي ما حدث. قلتِ: "ذهبت إلى الكنيسة في اليوم الذي اتَّفقنا عليه. أين كنتَ؟ بحق الجحيم ما الذي كنت تفعله طوال هذا الوقت؟ لم يُهِن أي رجل عروسه بهذه الطريقة من قبل أبدًا".

استعملت كل طاقتي في محاولة مواساتكِ.

عندما استعدتُ رشدي حقًّا، ساعدكِ ذلك على أن تصبحي هادئة أيضًا.

قلتِ: "ثبِّت حقيبة أدواتك إلى ساقك، تتذكر؟ ثبِّتها بشريط لاصق".

"أوه، نعم. لا أفكِّر على نحوٍ صحيح حقًّا".

عندما مددت يدي إلى أسفل، قلتِ: "لا تُسقِطها. لن تتمكن من العثور عليها مرة أخرى هنا".

باستخدام مفكِّ البراغي، عثرت على الفجوة الموجودة في الباب، ووجدت المزلاج الذي سقط في مكانه على الجانب الآخر.

تمامًا مثلما حاولت أنا وأنت تنظيف بقعة آيس كريم الشوكولاتة عن ثيابك، تلامَسَ رأسانا وتعرَّقنا بغزارة في أثناء عملي على فتح الباب.

قلتِ: "المزلاج عالق حقًّا. ماذا لو انكسر مفكُّ البراغي أوَّلًا؟".

أجبتكِ: "هذا ممكن. لكنني أريد أن أفكر في ذلك بعد حدوثه. لو اعترانا القلق بشأن ذلك مقدَّمًا، فسنفكر بلا داع في الأمر مرتين".

كان ذلـك عندمـا أدركـت أننـي كنـت أكـرِّر بالضبـط مـا قلتِـه أنـتِ في ذلـك اليـوم كلمـة بكلمـة. تذكّـرتُ أيضًـا كيـف حدقـتُ بـك ببلاهـة عندمـا قلـتِ ذلـك. وكيـف، في تلـك اللحظـة بالـذات، وقعـتُ في غرامـكِ.

قلتُ: "ذلك مضحك".

سألتني: "ما هو المضحك؟".

"رغم أننا مفترقان بتلك الطريقة، فإنني أغدو شبهكِ أكثر فأكثر".

أجبتنـي وأنـت تحدِّقـين إلى المـزلاج عـبر الفجـوة في البـاب: "لسـنا مفترقـين. نعيـش في التيـار الزمنـي نفسـه حتـى لـو لم نكـن معًـا، فنحـن نعيـش في الزمـن نفسـه. نشـيخ معًـا، نكـبر في العمـر معًـا".

أطلقتُ ضحكة خاوية.

"تمامًـا مثلـما كنـا نعيـش في سـفينة الفضـاء التـي نسـميها الأرض. في سـفينة الفضـاء الهائلـة تلـك، ومـع تدافُـع المجـرات مـن حولنـا، نـأكل وننـام ونشـيخ".

تمتمت: "ليس صحيحًا".

"كنـا نسـافر معًـا حتـى قبـل أن نلتقـي. الأمـر فقـط أن السـفينة كانـت ضخمـةً إلى حـدٍّ مـا".

صرخـت: "هـذا ليـس صحيحًـا! أنـت لسـتِ هنـا. حتـى لـو كنـتِ هنـا، فلـم يكـن لديـكِ نيَّـة لمقابلتـي. لـو لم يكـن الأمـر كذلـك، لكنـتِ تركـتِ مـن أجـلي إشـارةً معيَّنـة، بطريقـة أو بأخـرى. لَكَتَبـتِ رقـم هاتـف أو شـيئًا فـوق كومـة مـن الحجـارة في مـكان مـا في الميناء الفضـائي حتـى أتمكَّـن مـن رؤيتـه مـن السـماء. أو حاولـت الوصول إلى إحـدى القنـوات الإذاعيـة، وقدَّمـتِ التماسًـا عـن شـخص مفقـود...".

بـدا الأمـر كـما لـو كنـتِ قـد قـرَّرت إطبـاق فمـكِ، ثـم أخـذت تختفـين مـن أمـام عينـي. عندئـذ انفتـح المـزلاج.

خرجت من الكبسولة، غارقًا في العرق.

خطر ببالي أنه من الآن فصاعدًا، لن أتمكن من رؤيتك مرة أخرى أبدًا، ولا حتى في مخيِّلتي. بمجرد أن فكَّرتُ في ذلك، بدأت أفقد أي إرادة بداخلي لمواصلة العيش. حاولت أن أحارب هذا الشعور وأن أنكره. كان الأمل في مقابلتك هو كل ما جعلني أستمر.

انتهى.

أنا فقط عرفت ذلك.

قُضي الأمر.

عرفت ذلك فحسب. انتهيتُ.

فكَّرتُ في العودة إلى الديار.

لم أعتقد أنني سأتمكن من العيش لمدة أطول. كنت وحيدًا بشدة، ووحدي في كل هذا بصورة مُوحِشة. سأصبح خرابًا مثل منزلكِ الريفي. حتى إنني فكرت، "فلتَنْتَهِ الأمر الآن". لكن بعد ذلك فكَّرتُ، إنْ كنتُ سأنهي كل شيء، فالأجدى أن أرجع إلى الوطن، وأقوم بذلك هناك.

عندما خطرت لي هذه الفكرة، تجسَّدَت في ذهني صورة مكان معيَّن. يبدو أنه سيكون مناسبًا كمثوى أخير.

رسالته الـ 15

لم يتبقَّ شيء يُمكِنكِ تسميته ميناء فضائي. وصلت إلى هناك من خلال حساب خطوط الطول والعرض. امتدَّت غابة خضراء كثيفة من أشجار التَّنُّوب على طول الساحل. كانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها مثل هذه الغابة الواسعة والجميلة.

حتى لو حاولتِ المجيء، لا أعتقد أنكِ ستتمكَّنين من العثور على الميناء الآن. حتى هذه اللحظة، لا تزال تخالجني أفكار من هذا القبيل.

في النهاية قمت بهبوط اضطراري. تغيَّر وضع الأرض كثيراً. كان الساحل في موقع غريب، ومستوى اليابسة مرتفعًا جدًّا. أدرت الدفَّة نحو البحر لتخفيف تأثير الهبوط، لكن مستوى سطح البحر كان أخفض بكثير ممَّا كنت أتوقع. لو لم أهرع إلى كبسولة الملجأ، لانسحق جسدي مع السفينة. ولو لم تتحطَّم آلية القفل في الكبسولة في الخريف، لبتُّ محاصرًا بداخلها مرة أخرى، ومتُّ.

صعدت إلى الشاطئ، وواصل جسمي الارتعاش مدة طويلة، ثم أفرغت من جوفي كميات كبيرة من مياه البحر كنتُ قد ابتلعتها. شاهدت سفينتي تغرق تحت الماء.

فكَّرتُ: كل شيء على ما يرام.

نعـم، كل شيء عـلى مـا يـرام. لقـد وصلـت إلى هـذا الحـد. هـذا أكـثر مـن كافٍ.

عَلِـق الرَّمـل بحـذائي المبلَّـل؛ مـمَّا صعَّـب عـليَّ المـشي. انتزعـت حـذائي، وبـدأت السـير حـافي القدمـين. انتـشر ضبـاب أبيـض حـول أرضيـة الغابـة، واخترقـت أشـعة الشـمس الضبـاب، قويـة وسـاطعة. قطـرات مـن النـدى تشـكَّلَت عـلى صـورة حبَّـات خـرز عنـد أطـراف أصابعـي. من بـين الأغصان، طـار سرب مـن الطيـور الزرقـاء مـع رفرفـة جماعيـة للأجنحـة. مفزوعـة مـن الصوت، انطلـق قطيـع كبـير مـن اليحمـور، واثبـة عـبر الغابـة. كانـت جميعهـا نَشِـطَة وذات ألـوان زاهيـة ومفعمـة بالحيـاة. بـدا الأمـر كـما لـو أنــه لم يزعجهــا أي بــشر قــطُّ طــوال حياتهــا وكأن لســان حالهــا "ممَّــن ســنحتاج الاختبــاء؟" كانـوا جميعًـا بألـوان مُبهِجـة كألـوان الطـاووس.

في رأسي، اقتلعـتُ. غابـة التَّنُّـوب وأعـدت السـهل الفـارغ الـذي كان هنـاك مـن قبـل. هـذا الحقـل من الأعشـاب الـذي لم يكـن يسـتطيع أن يمدَّ جـذوره عميقًـا في الأرض لأن الأسـفلت لا يـزال عالقًـا تحتـه. السـهل الزاخـر بزهـور الأقحـوان العملاقـة وزهـور الكشـاتبين. أزلـت ذلـك أيضًـا، وفكَّـرت في قاعـة الانتظـار. انتزعـت الكرومـات المتشـابكة التـي كانـت تلتـوي فـوق الجـدران كلهـا، ورفعـت الشرفـة المتسـاقطة إلى حيـث كانـت في السـابق. أعـدت طـلاء الجـدران؛ حيـث تشـقَّق الطـلاء بالكامـل، ومسـحت الميـاه عـن الأرض التـي كانـت عبـارة عـن بِركـة ضخمـة. وأعـدتُ النـاس. فكَّـرت في أنـاس يقتربـون ويتحدثـون بصخـب. وأنـاس ينتظـرون.

فكرت في نفسي وأنا أنتظر.

اهتـزَّت سـاقي وانهـرت أرضًـا. بعـد أن مكثـت متكوِّمًـا بتلـك الكيفيـة مـدة طويلـة، نهضـتُ وسرتُ مـرة أخـرى. عندمـا لم أسـتطع المـضي أكـثر، كنـت أفقـد الوعـي بجانـب جـذع شـجرة، وأنـام. مـع شروق الشـمس،

أنـام، وفي الليـل أمـشي. لأن القيـام بذلـك كان أفضـل للحفـاظ عـلى حـرارة جسـدي.

في حـين توغَّلـتُ أكـثر، بـدأ حطـام المدينـة يظهـر شـيئًا فشـيئًا. كانـت المدينـة كلهـا مـلأى بالأعشـاب المائيـة، ولكـن لا تـزال ثمـة آثـار لهـا باقيـة.

مبنـى تلـو الآخـر، بـدأت أعيـد نصـب المبـاني المتهالكـة والمتصدعـة في مخيِّلتـي. ركَّبـت النوافـذ حيـث انفجـرت وصقلتهـا وطليتهـا مـرة أخـرى، وأشـعلت الأنـوار. شـغلت المحـركات في السـيارات المهجـورة عـلى جانبـي الطريـق. ضبطـت إشـارات المـرور المنحرفـة في وضـع مسـتقيم، وأعـدت لصـق الأرقـام عـلى ظهـر حافلـة، وشـغَّلت كشـافاتها الأماميـة. فكَّـرت في النـاس وهـم يخرجـون مـن الحافلـة في موقـف الحافـلات.

فكَّرت في نفسي، أنتظر أمام الموقف.

رأيتـك تنزلـين مـن الحافلـة ووجهـك مدفـون في كتـاب. رأيتـك تحاولـين التَّكهُّـن بمكانـك، بعـد أن كنـتِ منخرطـة تمامًـا في القـراءة وتنظريـن في الأرجـاء ثـم وقَعَـت عينـاكِ عـليَّ. اقتربـتِ وتعبـير بالـسرور يعلـو وجهـكِ.

مـررتُ بمنتـزه ترفيهـي حيـث وقـف تمثـال جالِـبٌ للحـظ دون أي عيـون في رأسـه. تجمَّعـت الميـاه في أرجوحـة عـلى شـكل سـفينة ڤايكينـج، وانسـكبت براعـم الأعشـاب المائيـة عـلى جانبـي القـارب المعلَّـق. مشـيت عـلى طـول قضبـان القطـار حيـث نبتـت الأزهـار الحمـراء. مـررت عـبر نفـق قطـار أنفـاق مغمـور بالميـاه حتـى نصفـه. تبـدَّى أمامـي قطـار أنفـاق، تدفعـه الميـاه، ومـن داخلـه، شرع الـركاب المغمـورون تمامًـا بالمـاء، بالخـروج تتقاطـر الميـاه الموحلـة مـن ملابسـهم.

تترجَّلـين مـن القطـار أيضًـا، تائهـة في أفـكاركِ. قلقـة مـن أنـكِ ربمـا تكونـين قـد نزلـتِ في المحطـة الخطـأ، تجولـين بعينيـك حولـكِ حتـى أتوجـه إليـكِ، في ملابـسي القديمـة الملطخـة بالزيـت، وأربـت عـلى خـدكِ.

الضيـوف في سـيارة مغطّـاة بالكرومـات المزهـرة. يترجّلـون منهـا، وينفضـون العشـب وأوراق الشـجر عـن ملابسـهم. يقطفـون الأزهـار، ويحملونهـا بـدلًا مـن مظاريـف نقـود التهنئـة، ويدخلـون المبنـى المغطـى بالطحالـب واللبـلاب وأزهـار مجـد الصبـاح.

أنـتِ هنـاك، واقفـة في المدخـل. تَثِبـين مـن سـاق إلى أخـرى، قائلـة: "كيـف لي أن أتحـرك في هـذا الفسـتان!". حالمـا تلاحظينني أقـترب ضمـن الضيـوف، تلوِّحـين إليَّ.

"أنتَ متأخِّر!".

أقـول وأنـا أنفـض الرمـل عـن قدمـيَّ الحافيتـين: "أجـل، هـذا صحيـح. أعتقـد أننـي كنـت متوتـرًا؛ فهـذه المـرة الأولى لي".

تجمَّدتُ في مكاني.

الكنيسة التي رتَّبنا لعقد قراننا فيها كانت ماثلةً هناك أمام عينيَّ.

فوجئت بشدة؛ كل ما يمكنني فعله هو التحديق من حولي.

كانـت الكنيسـة المبنـى الوحيـد الـذي لا يـزال قائمًـا، بمفـرده، في وسـط مدينـة خَرِبَـة. وكأنـه يقـول إن كل تلـك المئـات مـن السـنين لم تكـن شـيئًا؛ كأنـه يضحـك في وجـه كل تلـك الأعاصـير والأمطـار والثلـوج والحـروب، وكأنهـا لا تمتلـك فرصـة أمامـه. كـما لـو أن ذلـك المبنـى قـد اجتـاز تيـارًا مختلفًـا تمامًـا مـن الزمـن. كان رثًّـا ومتهالـكًا، وانهـار أحـد أركان السـقف، لكنـه ظـلَّ ثابتًـا.

صعـدت السُّـلَّم وضغطـت عـلى إطـار البـاب الـذي كان مسـودًّا وقـد طالتـه يـد الزمـن. كان عـليَّ لمسـه لأنـني اعتقـدت أنـني ربمـا مـا زلـت أتخيَّـل. عندهـا فقـط فكَّـرت فيـكِ وأنـت تضربـين إطـار بـاب المنـزل الريفـي. فكَّـرتُ في مـا قلتِـه.

المباني التي لا يكفُّ الناس عن دخولها والخروج منها تبقى قائمة.

منـازل يفتـح فيهـا أحدهـم الأبـواب ويغلقهـا، ويهـوِّي المـكان، ويفـرش الملاءات، ويسـتلقي للنـوم ثـم يسـتيقظ، ويشـعل الموقـد ويطبـخ وجبـة، ويزيـل الغبـار وينشـف المـاء. تصمـد.

عندها فقط تذكَّرت رسالتكِ.

استمعت إليها مـرارًا؛ مـا لا يقـلُّ عـن خمسـين مـرة. كيـف لم أفكـر في ذلـك حتـى الآن؟ مـا الـذي قلتـه في النهايـة...

إنْ لم تكن هناك في الميناء...

سـقط شيء يشـبه بطاقـة مـن أعـلى البـاب. يبـدو أنهـا قديمـة جـدًّا لدرجــة أن حبــال القــماش التــي اسـتُخدِمت لتعليقهــا قــد قُطِعــت. التقطتهـا. كانـت عتيقـة ومتعفِّنـةً، لكـن أمكننـي تمييزهـا. كانـت الإطـارات الجلديــة التــي أعطيتُهــا لأصدقــائي. بيــدي المرتجفــة، التقطــت الصــور بالداخــل. خلــف الصــورة الأولى التــي التقطتهــا في ذلــك اليــوم، كانــت صـورة أخـرى بـدت وكأنهـا التُقِطـت في الكنيسـة في يـوم كان مـن المفـترض أن يكـون يـوم زفافنـا.

بـدا الأمـر كـما لـو أنهـم اسـتمرُّوا في القـدوم حتـى بعـد ذلـك أيضًـا. لا تـزال توجـد المزيـد مـن الصـور التـي التقطوهـا مـع أحبَّتهـم، أو أطفالهـم. كانـت توجـد أيضًـا صـورة لرجـل مُسِـنٍّ يرقـد عـلى سريـر، ويرسـم بأصابعه علامـة النـصر في مواجهـة الكامـيرا. كان مكتوبًـا عـلى ظهرهـا: سـأموت قبلـكَ أيهـا الرعديـد.

تهمســين في أذني: "إنْ لم تكــن هنــاك في الميـنــاء، ســأذهب إلى قاعــة الزفـاف. حتـى لـو كنـتُ بمفـردي، يمكننـي الذهـاب وألعـب لعبـة التخيُّـل".

السـجادة المتعفِّنـة تـصرُّ تحـت قدمـي العاريتـين مثـل الثلـج المضغـوط. في كل مـرة كنـت أخطـو فيهـا، يتصاعـد منهـا غبـار أبيـض مثـل دخـان

البخـور. كانـت الكـراسي صدئـة ومتهالكـة، لكنهـا كانـت متراصَّـة في صفـوف.

لَفَتـت انتباهـي طبقـات وطبقـات مـن قطـع الـورق الباهتـة المعلقـة عـلى الحائـط خلـف المذبـح. ربمـا كانـت ذات يـوم ورقًـا ملوَّنًـا، لكنهـا كانـت كلهـا رماديـة الآن. هنـاك، بخـط اليـد، بالحـبر، كُتِبـت أشـياء متشـابهة مـرات كثـيرة.

أنـا في انتظـارِكَ... لقـد مـررت ثانيـة بالمـكان... لا زلـت هنـا... لا تنسَـني... أنـا في انتظـارِكَ.

تعثَّرت.

اسـتعدت تـوازني، وواصلـت المسـير. تحوَّلَـت الورقـة إلى غبـار بـين أصابعـي. يبـدو أن كل قصاصـة عُلِّقـت في وقـت مختلـف. بعضهـا قبـل مئـات السـنين وأخـرى قبـل عقـود. بـدا وكأن هنـاك فاصـلًا زمنيًّـا بضـع سـنوات بـين كل قصاصـة ورق وأخـرى.

مشـيت بمحـاذاة الجـدار، وأمسـكت بالسـتارة المعلقـة هنـاك. انهـارت دفعـة واحـدة. خلفهـا، كانـت الأوراق والأشرطـة الملصقـة عـلى الحائـط ممزَّقـة كـما لـو أن أحدهـم قـد قطعهـا في موجـة غضـب. عـلاوة عـلى ذلـك، رسـم أحدهـم بعبـوة رشٍّ: مـاذا تفعلـون بحـق الجحيـم. لقـد رحـل. لا بُـدَّ أنـه مـات منـذ مليـون سـنة.

وقفـت أمامهـا مـدة طويلـة. مزَّقَـت الكلـمات قلبـي حتـى صـارت الدمـاء عاجـزة عـن المـرور مـن خلالـه. انهـرت عـلى الأرض وجلسـت هكـذا مـدَّةً طويلـة.

تمتمـت أن ذلـك كان للأفضـل. في قـرارة نفـسي، قلـت بالطبـع شـيئًا مختلفًـا. لكـن مـع ذلـك، كانـت كلـماتي أن ذلـك كان للأفضـل. كان مـن الأفضـل أنـكِ استسـلمتِ.

مكثت هناك ما لا بُدَّ أنه كان ساعات، ثم، عندما كنت على وشك النهوض، رأيت قصاصة من الورق عالقة على الستارة المتساقطة. لفتت انتباهي لأنها كانت صفراء.

كانت صفراء فعلًا.

حقيقة بقاء اللون تعني أنه لم يبهت بسبب نفاذ ضوء الشمس عبر النوافذ. ربما عُلِّقَت هذه الورقة قبل مدة وجيزة. تذكَّرت الكتب على الرَّفِّ بجانب نافذة غرفتي عندما كنت صغيراً. تحوَّلَت الأغلفة تقريبًا إلى اللون الأبيض قبل مرور بضع سنوات حتى.

انتزعت الورقة عن الستارة. لم يكن ذلك يسيراً. هذا يعني أن بقايا المادة اللاصقة لا تزال موجودة. هل يمكن أن تكون قد عُلِّقت هناك العام الماضي؟ قبل شهر؟ البارحة؟

قبل لحظات؟

عندما انخفضت الشمس، سطعت مباشرة من خلال النوافذ. أطلقت حزمةً فضية من النور داخل المبنى وأصبح كل شيء بداخله مرئيًّا. أشياء مثل الأرضية التي كُنِسَت، والمذبح الذي كان مُغطًّى بورق جديد، والمزهرية الموضوعة فوقه، وآثار شخص أشعل نارًا، وصولا إلى إناء النيكل الفضي الذي وُضِع بشكل أنيق فوقه. استطعت الآن رؤية آثار أقدام شخص جاء وذهب، وحتى آثار فرش ملاءات.

هبَّت عاصفة من الرياح عبر الباب المفتوح، وتطايَرَت قصاصات الورق القديمة الباهتة بحفيفٍ حتى تهادت على الأرض. عندما غاصت أشعة الشمس إلى أسفل أكثر، توهَّجَت الحروف فوقها بلون ذهبيٍّ متلألئ.

أنا هنا...

أنا في انتظارك.

2

في طريقي إليكَ

رسالتها الـ 1
يوم واحد من بداية الرحلة
يوم واحد بتوقيت الأرض

كيف حالكَ؟

أنا في طريقي إليكَ الآن.

كتبت لكَ ذلك، وأنزلت القلم الرصاص لحظة ثم نظرت خارج النافذة. أنا أنتظر في الواقع صعود الجميع على متن السفينة. يمكنني رؤية طابور لا نهائي من الأشخاص بالخارج، يحملون حقائبهم على ظهورهم أو فوق رؤوسهم. أطفال يعبثون، وآخرون منهكون فحسب، يُمسكون بأيدي آبائهم، تبدو الغرابة على وجوههم، وهم يصارعون النوم. زوجان مُسِنَّان يستند كلٌّ منهما على الآخر عند المدخل، اليد في اليد، وأشخاص في مثل عمري أيضًا يتناولون وجبات خفيفة ويدردشون، ويتجادلون حول هذا وذاك. في زاوية أخرى، حشد من الناس يتبادلون العناق، ويتشاركون وداعًا طويلًا.

لم أستطع إحضار الكثير معي. لم أرغب في المخاطرة بأن يُمسك بي بينما أحاول تمرير الأشياء غير المسموح بها خلسة. لكنني تمكَّنتُ من حزم قارئ كتب إلكترونية. إنه رخيص حقًّا، مع شاشة بحجم وجه الساعة. صغير جدًّا بحيث لا يمكن القراءة منه، ولكن لا بأس من الاستماع إلى الكتب الصوتية بواسطته. حمَّلتُ على ذاكرته حوالي مائة

عمـل مـن الكلاسـيكيات؛ لـذا يجـب ألَّا أشـعر بالملـل في الشـهرين اللذيـن سيسـتغرقهما الوصـول إليـكَ.

أعتقـد أنـك سـتُفاجَأ جـدًّا بالحصـول عـلى رسـالة مكتوبـة بخـط اليـد مني- فوجئـت أيضًـا عندمـا أعطتنـي المضيفـة قلمًا رصاصًـا وورقة. سـألتها: "لمـاذا هـذا؟"، فقالـت: "يمكنـك الكتابـة بـه حتـى في حالـة عـدم وجـود جاذبيـة". أشـارت بيدهـا كأنهـا تكتـب مـن أعـلى إلى أسـفل، وأضافـت: "كـما تعلمـين، إنْ حاولـتِ الكتابـة بقلـم حـبر جـاف فلـن يفلـح ذلـك، لكـن القلـم الرصـاص سـيعمل"؛ لذلـك قلـت، لا، لا، هـذا ليـس مـا أثـار استغرابي، وسـألتها لمـاذا يسـتخدمون الـورق عـلى الإطـلاق. قالـت: "حسـنًا، التكنولوچيـا تتغيَّر دائمًـا"، لكننـي مـا زلـت لم أفهمهـا؛ لـذا أوضحـت أنـه بغـضِّ النظـر عـن مـدى سـهولة صنـع جهـاز مراسـلة، سـيوجد دائمًـا أشـخاص لا يمكنهـم اسـتخدامه. كبـار السـن والأطفـال، أشـخاص مـن أنظمـة نجميـة أخـرى، وأحيانًـا الفقـراء أيضًـا. لكـن كل شـخص يسـتطيع كتابـة رسـالة، بغـضِّ النظـر عمَّـن يكونـون.

لـذا، عـلى مـا يبـدو، إنْ كتبـت عـلى هـذه الورقـة؛ فسـوف يلتقطـون صـورة لهـا ويرسـلونها لا سـلكيًّا، وحيثـما يلتقطونهـا سـيحوِّلونها بالشـكل الـذي يرونـه مناسـبًا حتـى يتلقاهـا المسـتلم في النهايـة. لـذا ربمـا حوَّلـوا رسـالتي إلى ملـفٍّ صـوتي بحلـول الوقـت الـذي سـتصل فيـه الرسـالة إليـك.

نهرتنـي إحـدى المضيفـات الآن عندمـا أمسـكت بي أتجـوَّل داخـل السـفينة، وأتفقَّـد كل شيء. كان الأمـر محرِجًـا حقًّـا؛ لذلـك أنـا حبيسـة غرفتـي الآن. أنـت تعـرف طَبعِـي. يجـب أن أتفقَّـد محيطـي بمجـرد وصـولي إلى مـكان جديـد. لا أسـتطيع الاسـترخاء حتـى أؤمِّـن مكانًـا للاختبـاء، وطريقًـا للهـروب. عندمـا تعيـش مـع عائلتـي... هـذه بالطبـع العـادة التـي تكتسـبها مـن جـرَّاء ذلـك.

أندهش في كل مرة يتحدث فيها الذكاء الاصطناعي المُساعد. يستخدم الجُمَل التي تخطر ببالي في لحظة كتابتي. من الجنون أن أحدهم لا يزال يستخدم ذلك السيناريو في برمجة الذكاء الاصطناعي على كتابة الرسائل.

جميعنا نشعر بالضجر بالفعل. أنا ورفقائي في الغرفة الآن في منتصف لعبة "الطهي والتنظيف". هل تعرفها؟ كنت ألعبها طيلة الوقت عندما كنتُ صغيرة. لكن هي لعبة للفتيات؛ لذا ربما لم تسمع بها من قبل. عندما يجتمع كتَّاب سيناريو محادثة الذكاء الاصطناعي، يلعبون هذه اللعبة كما لو أن حياتهم تعتمد على الفوز.

في حالة أنك لم تلعبها من قبل، دعني أشرح لك قواعدها: شخصان يعطيان أمرًا إلى نظام ذكاء اصطناعي في التوقيت نفسه. يأمره أحدهم بإنجاز مهام التنظيف ويأمره الآخر بطهي وجبة، ويفوز الجانب الذي يحدِّد الذكاء الاصطناعي أمرَه له كأولوية. نفَّذَت أنظمة الذكاء الاصطناعي المبكِّرة الأوامر دائمًا بالترتيب الذي أُعطيت به لها، لكنها في هذه الأيام تُجري مداولات وتحليلات أكثر تعقيدًا. على سبيل المثال يُعطي الذكاء الاصطناعي الأولويَّةَ لأوامر مثل "التنظيف بحلول الساعة السابعة والنصف هذا المساء" على الأوامر البسيطة، مثل "تحضير العشاء". النطاق الزمني المحدَّد يعطي الآلة إحساسًا بالإلحاح. في الواقع، ثمة أشخاص يقولون إن الدراية بالفوز باللعبة تشبه الدراية بجعل الأزواج يقومون بالأعمال المنزلية. حتى إن ثمة شائعة أن اللعبة مصمَّمة حتى تتمكَّن الفتيات من التدرُّب بأكثر الطرق فعالية على إقناع أزواجهن المستقبليين بفعل أشياء تتعلق بالأعمال المنزلية.

من الصعب تصديق أنني في مكان ما بعيد جدًّا لدرجة أنني يجب أن أطير أربع سنوات وأربعة أشهر واثني عشر يومًا بسرعة الضوء للوصول إليك. وهو ما يعني أن عليَّ حتى ألتقي بكِ أن أسافر مسافة تسعة تريليون ونصف كيلو متر مضروبة في أربعة حتى أصل

إلى عائلتي، ثم أقطع ثلث تلك المسافة مجددًا لأصل إليكَ. بالطبع، يظل الزمن ثابتًا عندما تصل سرعة السفينة إلى سرعة الضوء؛ لذا فإن تلك السنوات ستتراءى لي وكأنها شهران. الشهر الذي يستغرقه تسريع السفينة إلى سرعة الضوء والشهر الذي يستغرقه تبطيء السرعة.

أتذكر أنني أخبرتك أنني يجب أن أذهب أولًا إلى ألفا سينتوري. قلت إنني سأرافق عائلتي في هجرتهم، ثم سأعود مباشرة إلى الأرض للقائكَ. شرحت أنه نظرًا لأن أي شخص يسافر إلى نظام شمسي آخر يحصل على تصريح إقامة في الكواكب الخارجية، فسيكون من الأسهل بالنسبة لي العثور على وظيفة مناسبة عند عودتي؛ أن هناك الكثير من المزايا عندما يتعلَّق الأمر بالضرائب وأشياء من هذا القبيل؛ كان هذا يعني فقط تدبُّر شؤون حياتي هناك مدة أربعة أشهر.

قلتَ لي: "هذا من منظوركِ"، مُحدِّقًا في وجهي وأنت تحصي الفترة الزمنية على أصابعك. "أمَّا أنا فسأضطر إلى الانتظار تسع سنوات- ثماني سنوات وثمانية أشهر أكثر من شهوركِ الأربعة".

"نعم". أغمضت عيني، في انتظار ما ستقوله.

كنت أتوقَّع شيئًا مثل: "لقد وجدتِ حقًّا طريقة ذكية للانفصال عني. في هذه الحالة، أنا أُحرِّر نفسي من التزامات هذه العلاقة. سأذهب للبحث عن شخص جديد".

لكنك لم تفعل. بدلًا من ذلك، أتيت في اليوم التالي بمجموعة من المنشورات عن الزواج ما بين النجوم، وقلت إنَّكَ إذا ادَّخرتَ المال مدة أربع سنوات ونصف تقريبًا، فستتمكَّن من شراء تذكرة لأخذ ما يطلقون عليه "مدار الانتظار". أوضحت أنها عبارة عن سفينة تدور حول الشمس بسرعة الضوء حتى يتمكَّن الركاب من الوصول إلى الزمن نفسه الذي يسافر فيه الأشخاص من النجوم الأخرى.

"سيتعيَّن عليَّ الانتظار ما يزيد قليلًا عن أربع سنوات ونصف".

حالما نطقتَ هذه الكلمات، عانقتُكَ، وشرعت في البكاء.

أخبرتني أنه سيكون ذلك رائعًا حقًّا. بهذه الطريقة أو تلك، كانت التكنولوچيا تتحسَّن عامًا بعد آخر، وتقنيات عظيمة سوف تستمر في الظهور. قلت إن السفر بضع سنوات في المستقبل كان رهانًا مضمونًا أكثر من الحصول على بوليصة تأمين.

يبدو أنك فهمت.

فهمت أنني احتجتُ بشدة إلى أن أترك عائلتي على الجانب الآخر من العالم.

تركي عائلتي في النظام الشمسي ذاته لن يُجدي. هاتيك الأيام، يستطيع الناس اللقاء في الزمن الحقيقي عبر الإنترنت حتى من الجانب الآخر من العالم. الابتعاد عنهم حقًّا وفعليًّا، يقتضي مني تركهم في بُعدَيْن مكاني وزمانيٍّ مختلفين. حتى لو كانوا سيلاحقونني بسرعة الضوء، فسيستغرق ذلك أعوامًا. مع تلك المسافة الشاسعة بيننا، حتى لو دخل أبي في حالة من الهياج، وراح يصرخ: "أخبريني، أين أنتِ الآن؟"، وأجبته أنا: "يا إلهي، حسنًا..."، فسيستغرق تبادُل مثل هذه الرسائل ثماني سنوات وثمانية شهور وأربعة وعشرين يومًا.

كثيرًا ما أفكر في تلك المرة بعد مدة وجيزة من بدء رؤية أحدنا الآخر حين واصلتُ إلغاء موعد لقائي معكَ في اللحظة الأخيرة، وانقطع عن التواصل معكَ أيام متتالية. اعتقدت أنك ستفقد الاهتمام بي كالآخرين. ولكن ذات يوم، أرسلت لي رسالة نصِّيَّة: "هيا، لنلتقِ. لا يهمني كيف سيبدو مظهركِ".

قلت إنك ستنتظر.

بعد أيام قليلة، عندما ذهبت أخيرًا إلى المقهى، كنت جالسًا على مائدة قرب الباب، وتبدو في حالة مزرية. بصراحة تراءيتَ لي كأنك

قضيتَ الأيام القليلة السابقة نائمًا في الشارع. وما كان منظري أحسن حالًا. كنت أعتمر قُبَّعة، وأرتدي معطفًا وواقيًا للعين، وقد لففت وشاحًا حول نصف وجهي اتِّقاء لهذا الطقس القائظ. تمكّنتُ من تغطية الكدمات على جسمي بالثياب. لكن خدي المنتفخ وعيوني المتورمة كانت ولا بُدَّ جليّةً للناظرين. كنت أرتعد خوفًا في ذاك اليوم. كرهتك واستأت منك لأنك كنت مُلِحًّا في رغبتك في رؤياي، لأنك أظهرت صبرًا لم يترك لي خيارًا سوى الخروج رغم حالتي المثيرة للشفقة.

لكنك على عكس ما توقَّعتُ، لم تمطرني بالأسئلة على الإطلاق. مضيت في الحديث عن أشياء مثل طرائق لتقليص التورم، وعلاجات قديمة مُجرَّبة للكدمات، ثم غلبكَ النوم فوق أريكة المقهى أثناء محادثتنا.

قلتَ لي في المرة التالية التي التقينا فيها: "تعرفين، العائلة ليست مسألة ضخمة. فعندما يتعلق الأمر بالعائلة، يمكنكِ دائمًا بناء عائلة جديدة. لهذا اخترع العالم هذا الشيء العظيم المسمَّى بالزواج. نظرًا لأن متوسط عمر الإنسان المتوقَّع يطول باستمرار، فسوف نعيش حتى نبلغ من العمر مائة عام. ولو عشتُ معكِ من الآن حتى بلوغنا ذلك العمر، فسوف أكون عائلتَكِ لمدَّةٍ تعادل أربعة أضعاف المدة التي قضيتها مع عائلتكِ الأولى"، ثم مازحتَني: "لذا هيا فلنُعجِّل بالزواج! فلنتزوَّج فور استطاعتنا ذلك".

لهذا أنا في الطريق إليكَ الآن.

حتى أكون عائلة أربعة أضعاف المدة التي كُنتُها مع عائلتي الأصلية، رفقة الشخص الذي اخترته أنا.

انتظِرني.

رسالتها الـ 2

شهر واحد في الرحلة

سنة و4 أشهر لاحقًا بتوقيت الأرض

أنا مستاءة جدًّا.

غدوتُ دراميَّةً تمامًا، وأرسلت إليكَ رسالة من شأنها أن تدفعك إلى البكاء، والآن هذا. ذلك ليس عادلًا إلى أبعد حدٍّ. أنا آسفة يا حبيبي. آسفة حقًّا.

استمع إليَّ. ما حدث أننا وصلنا إلى سرعة الضوء ثم قالوا إنهم تلقَّوا إشارة استغاثة. تعرَّضَت سفينة مجاورة لكارثة، وانجرفت بعيدًا عن مسارها. تلت القبطان البثَّ اللاسلكي وصوتها منخفضٌ بشكل غير طبيعي: "وفقًا للوائح التي تنظِّم العلاقات ما بين النجوم؛ سنبدأ الآن في تشغيل المكابح، والتوقُّف لتنفيذ عمليات الإنقاذ". بصراحة، أصدَرَت القبطان إعلانًا من جانب واحد دونما حتى محاولة الحصول على موافقتنا! في ذلك الكون الفسيح كله، لماذا تعرَّضَت هذه السفينة للمشاكل بالقرب من موقعنا؟

أنا لا أقول إنه لا ينبغي لنا أن إنقاذ السفينة المنكوبة- أعرف، أعرف أنه الميثاق الأخلاقي لروَّاد الفضاء. وليس الأمر كما لو كان بإمكانهم فقط الاتصال برقم النجدة في هذا البحر المفتوح والممتدِّ إلى ما لا نهاية. المشكلة أننا كنَّا نطير بسرعة الضوء؛ لذلك بغضِّ

النظر عن مدى سرعة القبطان في إبطاء السرعة، سيستغرق الأمر شهرًا للتَّوقُّف، وشهرًا كاملًا آخر لتعجيل السرعة مرة أخرى.

هذان شهران! انتظر، بتوقيت الأرض... ثلاثة أشهر!

حتى دون أن أدرك ما كنت أفعله، تشبَّثتُ بأحد المضيفين الذي كان يمر بالجوار واحتججت: "هل سمعت هذا الصوت العالي الآن؟ هذا صوت تحطُّم خطوبتي. أنا عروس ذاهبة إلى حفل زفافي، وقد كتبتُ بالفعل لخطيبي أفضل رسالة يمكنك تخيُّلها. ماذا ستفعل حيال ذلك؟"، بعد أن استمع إليَّ بعدم اكتراث، أجرى المضيف مكالمة بأحدهم، وقال: "لدينا راكبة هنا لديها حفل زفاف قادم أكثر أهمية من حياة ثلاثين شخصًا. من فضلك اعتنوا بها جيدًا". ثم ظهر رجلان قويَّا البنية من العدم، وحملاني مثل قطعة خفيفة من الأمتعة، وأعاداني إلى غرفتي.

حقًّا! ماذا فعلت لأستحقَّ ذلك؟ أردت فقط أن يعترفوا بحقيقة أننا جميعًا نقدِّم تضحيات هنا!

بعد قليل جاءت مضيفة أخرى بتعبير صارم على وجهها. قالت إنه سيتعيَّن علينا مشاركة غرفتنا عندما يصل الناجون على متن السفينة، وطلبت من جميع الركاب التوقيع على استمارة موافقة. عندما سألت عن عدد الأشخاص الذين سيأتون، قالت إنه سيأتي ثمانية. ثمانية أشخاص آخرون، في غرفة تتَّسع لأربعة أشخاص!

لذا سألت عمَّا سيحدث إنْ لم أوافق، فقالت فحسب: "لا يوجد شيء يمكننا القيام به حيال ذلك"، ثم أغلَقَت فمها مثل سمكة بطلينوس، ووقفت هناك في منتصف الغرفة. واو، لم تكن تستخدم سكينًا، لكنها كانت سرقة كاملة. سرقة!

بمجرد رحيلها، نفَّست أنا وزملائي في الحجرة عن إحباطنا معًا مدة طويلة. كيف يمكن أن يفعلوا هذا بنا؟ كلنا أناس طيبون! دفعنا جميعًا

تكلفـة الرحلـة بطريقـة عادلـة تمامًـا! لمـاذا علينـا أن نتحمَّـل الضربـة؟ جعَلَنـا هـذا الاسـتنزافُ العاطفـيُّ نشـعر بالجـوع؛ لذلـك ورغـم أن سـاعة تنـاول الطعـام قـد فاتـت، طلبنـا الكثـير مـن الأطعمـة الحـارَّة، والتهمنـا الطعـام كـما لـو أننـا لم نتنـاول وجبـة منـذ أيـام. ثـم شـغَّلت قـارئ الكتـاب الإلكـتروني، وبـدأت الاسـتماع إلى "فاوسـت" لـ"جوتـه". بغـضِّ النظـر عـن القصـة، اعتقـدت أن الاسـتماع إلى شيء مألـوف وقديـم سيسـاعدني عـلى تهدئـة أعصـابي.

آسفة يا حبيبي. آسفة حقًّا.

تركتُـكَ بمفـردكَ لمـدة أربـع سـنوات ونصـف. والآن سـأجعلك تنتظـر ثلاثـة أشـهر إضافيـة. دون أن يبـدر منـي أي خطـأ، سـوف ينتهـي بي الحـال متأخِّـرةً عـلى حفـل زفـافي بالتحديـد مـن بـين كل المناسـبات الهامـة في حيـاتي، ولـن تكُـفَّ أنـتَ أبـدًا عـن تذكـيري بذلـك.

اغفـر لي هـذه المـرة فقـط. سـأقدم لـك دفـترًا بـه عـشرون قسـيمة أمنيـات بمجـرد وصـولي إلى هنـاك... تمـام؟ مـاذا عـن ثلاثـين؟

"فاوست" هذا رَجُلٌ مضحك.

التفكـير في أنـه سـيقبل بالمـوت بـكل سرور، وسـيدع الشـيطان يقيِّـده، و يُلقِـي بـه في عـذابٍ أبـديٍّ فقـط لـو كان بوسـعه أن يقـول "آه، انتظِـر قليـلًا! أنـت محبـوب جـدًّا!" إلى شـخصٍ مـا أو لحظـة مـا، مـرة واحـدة فحسـب في حياتـه؛ لـو كان بمقـدوره الإحسـاس بمثـل هـذه الفرحـة، حتـى لـو كانـت عابـرة. مـا الـذي جعلـه متطرِّفًـا جـدًّا؟ هـل بلـغ حالـة مـن اليـأس التـام؟ أم أنـه كان متلهفًـا للحيـاة أكـثر مـن المـوت؟

أعتقد أن العالم سيكون قد تغيَّر كثيرًا بحلول الوقت الذي أرجع فيه.

هـذه الطريقـة التـي سـارت بهـا الأمـور مـن قبـل أيضًـا. سـواء كانـت مبـاني أو متاجـر أو حتـى شـوارع، لا يصمـد أي منهـا أكـثر مـن بضـع

سنوات. المتجر الذي ظهر في اليوم السابق سيغلق أبوابه في اليوم التالي، وسيختفي المبنى الذي كان موجودًا في الشهر السابق قبل مرور شهر آخر. كما لو أن البلد بأسره كان مُحاصَرًا في دوامة من كراهية الذات، تدفعه إلى تمزيق نفسه باستمرار. حتى عندما يتعلق الأمر بالأشياء العتيقة، الأشياء التي يمكن الاحتفاء بها.

العيش في مكان كهذا اقتضى منّا تطوير عادة عدم التَّعلُّق بأي شيء. كيَّفنا أنفسنا على عدم الشعور بالندم أو الحزن مهما فقدنا. لم يتبقَّ من هذه الأشياء الآن سوى ذاكرتنا.

أتعرف ماذا، يا حبيبي، عندما أفكِّر في الأرض، لا يوجد شيء واحد يمكنني الزعم أنه مِلكي. تركت منزلي وعائلتي وكل متعلقاتي ورائي، كل شيء، على الجانب الآخر من الكون. عندما أعود إلى الأرض، من المحتمل أن تختفي أيضًا جميع الشوارع والمباني التي كنت أعرفها.

مع ذلك، لا تعتريني ذَرَّة خوف واحدة.

خطرت لي هذه الفكرة. أن منزلي ليس مكانًا، بل شخص. وهذا الشخص هو أنتَ. أنتَ بيتي، وحيث أتوق أن أكون...

تجرَّأت الآن وقلت لك شيئًا رومانسيًا حقًّا، عليك أن تسامحني على تأخُّري.

أنا في طريقي إلى المنزل الآن.

انتظِرني.

رسالتها الـ 3
4 شهور و10 أيام من بداية الرحلة
بعد 4 سنوات و9 شهور و10 أيام بتوقيت الأرض

مرحبًا يا حبيبي! مرحى!

تلقيتُ رسالتك بمجرد وصولنا إلى الميناء الفضائي.

عزيزي، أيها المسكين. غيَّرتَ السفينة في محاولةٍ منك للتوفيق بين موعد وصول كلٍّ منَّا، ولكن سارت الأمور بشكل خاطئ، وستتأخَّر ثلاث سنوات؟! كان عليك أن تبلي بلاء أحسن من ذلك!

عندما سمعتُ بما حدث معكَ، انفجرت ضاحكة وفكَّرتُ، واو! إنه حقًّا يرتقي بمستوى أدائه. بحثتُ عن سفينة أخرى على الفور، وعثرت على سفينة تستعدُّ للإقلاع. حالفني الحظ!

يا له من عالم رائع! كل ما يتطلبه الأمر هو رحلة على مركبة ضوئية، وبغضِّ النظر عن مدى انحراف موعد لقائنا عن مساره المفترض، يمكنك تصحيح ذلك. سواء كان التأخير ثلاث سنوات أو مائة سنة، من المستحيل ألَّا نلتقي في نهاية المطاف.

ينتابني شعور بديع الآن. تألمت جدًّا عندما علمتُ أنك ستنتظر بسببي ثلاثة أشهر أخرى، لدرجة أنني فقدت الكثير من الوزن، لكنك الآن من ستتأخر كثيرًا. بحلول الوقت الذي نلتقي فيه، سأكون قد

انتظرت عامين وتسعة أشهر أكثر منك، من يوم زفافنا المحدَّد. عليك أن تكون طيِّبًا معي حقًّا في المستقبل يا زوجي!

لا تقلق حيال أي شيء. حللتُ بنفسي كلَّ تَعقيدٍ نَجَم عن التأخير!

اتصلتُ بقاعة الزفاف، وتواصَلتُ مع أصدقائك. صُدِموا قليلًا من الأخبار التي تفيد بأننا سنتأخر ثلاث سنوات، لكنهم جميعًا قالوا إنهم سيكونون هناك. يبدو أنهم التقوا بالفعل في القاعة في التاريخ الأصلي، وقضوا وقتًا ممتعًا.

أبلغت المستأجرين في مسكننا، وعدَّلنا شروط العقد. رئيسك في العمل لم يتلقَّ الأخبار جيدًا، للأسف. ولكن مع ذلك، الموظف الذي كان يملأ مكانك الشاغر سعيد الآن بتمديد عقده.

جاءت رسالتكَ إليَّ كتسجيل صوتي. حمَّلتها على قارئ الكتاب الإلكتروني، واستمعت إليها مرات عديدة، حتى الآن. في كل مرة أصل إلى الجزء الذي تتوسَّل فيه إليَّ وتترجَّاني، "انتظريني... لو سمحتِ... سأكون حنونًا معكِ لبقية حياتنا معًا"، أضحك بشدة لدرجة أنني أعجز عن التنفس.

أتعلم يا حبيبي؟

لأَكُن صادقة معكَ: لا أمانع في تأخُّرِك قليلًا. هذا يعني أنه ستفصلني ثلاث سنوات أخرى عن عائلتي. آه يا حبيبي كيف عرفت بالضبط ما أردت؟ لو كان بإمكاني فقط أن أمنحكَ قبلة كبيرة.

كما تخيَّلت، تغيَّر كل شيء على الأرض حقًّا. باتت السيارات كلها على الطرقات عربات ذاتية التشغيل. لحسن الحظ، لم أزعج نفسي سابقًا بالحصول على رخصة قيادة! توجد حارات منفصلة مخصَّصة للكراسي المتحركة أيضًا، وفي الميناء الفضائي يوجد روبوت مُترجِم للغة الإشارة. كنت أقرأ الأخبار اليوم، ومن الواضح أنهم سيبدؤون في تقديم التعليم العالي المجاني من العام المقبل.

كنت على حقٍّ. الأمور تتحسَّن شيئًا فشيئًا. بعد ثلاث سنوات من الآن ستغدو الأحوال أفضل.

السفينة التي استقللتها سفينة أبحاث تقوم باستكشافات چيولوچية. سمعت أنهم أيضًا يزوِّدون المحطات الفضائية المجاورة بالمؤن أثناء سفرهم في الأرجاء لجمع عيِّنات تُربة من الكويكبات. أعادوا تخصيص بعض المقصورات أيضًا لاستيعاب الركاب. يستمر عدد المسافرين في الفضاء في التنامي عامًا بعد عام، لكن عدد السفن لا يتزايد؛ لذا تأخذ هذه السفن الركاب على متنها عن طريق استغلال ثغرات في القانون. لا تأمين على حياة الركاب، لكن تذكرتي كانت رخيصة جدًّا.

كل شخص على متن السفينة إمَّا باحث أو بائع متجوِّل- أنا المسافرة العادية الوحيدة. سألوني لماذا ركبت هذا النوع من السفن، وهكذا أخبرتهم أنني في طريقي للزواج. انفجروا جميعًا ضاحكين. ناولني بائع سمك جافٍّ، في منتصف العمر، قطعةً من سمك البولاك المجفَّف، وقال إنه لا يوجد رجُلٌ سينتظر كل هذا الوقت، إن هذا الرجل الذي تعاهدت معه على اللقاء لا بُدَّ وقد استقر مع إنسانة أخرى بالفعل.

استفزَّني كلامه، وقلت بانفعال إن مَن سأتزوجه ليس أيَّ رجُلٍ، بل "رَجُلي". كل ذلك بينما أقضم السمك المجفَّف! شعرت بالحرج الشديد لأنني جعلت من نفسي فُرجَة، وبعد ذلك أخفيت وجهي في مقابل الجدار.

مع أنني قصدت ما قلته. أنت لستَ أيَّ رَجُل. أنت رَجُلي. وأنا لستُ أي امرأة. أنا امرأتك. وهكذا، نحن مختلفان عن أي من الآخرين.

لماذا يشعر الناس بالحاجة لقول مثل هذه الأشياء؟ أشخاص لم يلتقوا بنا من قبل ولا يمتلكون أي اهتمام حقيقي بنا، يتجولون

في كل مـكان، وهـم يطلقـون نصائـح سـطحية، كـما لـو أنهـم أصبحـوا أنبيـاء، وتلقَّـوا كلمـة الـرب، كـما لـو أنهـم ذهبـوا وحصلـوا عـلى مؤهـل في التدخُّـل في حياتنـا. بغـضِّ النظـر عـن مـدى تميُّـز الشـخص أو ذكائـه، الحيـاة الوحيـدة التـي يعرفهـا المـرء حـق المعرفـة هـي حياتـه.

مَقَـتَ أبي كلَّ رَجُـل تقـرَّب منـي. وثـار عندمـا أخبرتـه أننـا سـنتزوَّج. ألقـى بـكل شيء في غرفـة نومـي في الشـارع، وأخـبرني أننـي سـأرجع إليـه، أبـكي وأتوسَّـل المغفـرة بمجـرد أن أتـذوَّق مـرارة الحيـاة كلهـا، وأتخبَّـط في بؤسـها. الآن، أتسـاءلُ عـن الأسـاس الـذي ارتكـز عليـه حتـى يتوقَّـع لي هـذا المصير بالتحديـد، في حـين أنـه في الحقيقـة مَـن جعـل أمـي تمـر بـكل ذلـك.

الآن بعـد أن وصلـت إلى هـذا الحـد، أعتقـد أننـي فهمـت. مـا كان أبي يكرهـه كثـيراً وبحُرقـة، هـي ذاتـه.

بخـلاف نفسـكَ، لا يوجـد مَـن يعرفـك حتـى الصميـم؛ وبالتـالي لا يوجـد مَـن يكرهـك أكـثر مـن نفسـكَ. تمامًـا كـما لا يوجـد أحـدٌ يمكنـه أن يحبَّـكَ أكـثر مـمَّا تحـب نفسـكَ.

يجب أن يكون هذا السبب في أنه كرهني كثيراً لأنني من صُلبِهِ، وأشبهه.

لا ينبغـي أن تتحـدَّث أبـدًا عـن المـاضي. كأن تتمنـى لـو كان والـداك قـد فعـلا شـيئًا مـن أجلـك عندمـا كنـتَ أصغـرَ سـنًّا، أو التفكـير بحـسرة أنـه كان مـن الممكـن أن تكـون أفضـل حـالًا لـو كنـتَ قـد فَعلـتَ هـذا أو ذاك في مرحلـةٍ مـا مـن حياتـك. تكلَّـم فقـط عـمَّا يحـدث الآن أو سـيحدث في المسـتقبل.

دأبـت عـلى أن تقـول لي مـن حـين إلى آخـر: "لا يوجـد مـاضٍ. كل هـذا مجـرد وهـم".

عندمـا سـألتك أن تفسِّر لي وجهـة نظـرك، حككـتَ رأسـك كـما لـو كان مـن الصعـب عليـك شرح ذلـك.

"فكِّري في الأمر. كل ما نعتقد بالخطأ أنه ماضٍ، لا يعدو كونه الحاضر. كل شيء يحدث في الحاضر"...

أعتقد أنني أفهم أخيرًا ما يعنيه ذلك الآن.

نظرًا لأن الماضي يتدفَّق مبتعدًا في نهر الزمن، والمستقبل لم يأتِ بعد، كل ما له وجود هو الحاضر، هذه اللحظة الآنية التي تظهر، ثم تختفي مثل وميض ضوء. الجروح القديمة التي تلسع القلب في الواقع عبارة عن مواد كيميائية يفرزها الدماغ في أثناء اجتراره الذكريات.

كنتَ على حقٍّ، ليس هناك ماضٍ. الماضي موجود فقط في الذكريات، والذكريات تُستَدعى إلى الحاضر. لا يوجد مستقبل بعد أيضًا، وهذا بدوره مجرد شيء أفكر فيه الآن.

حسنًا إذًا، لن أفكر في هؤلاء الأشخاص بعد الآن. سأفكر فقط في الأمور الجيدة، وسأصنع حاضري من كل ما هو جيد.

لا أنفكُّ أفكِّر في اللحظة التي سأقول فيها: "لقد عدت!"، وأركض نحوك في الميناء الفضائي، مباشرة بين ذراعيك. عندما أتصوَّر ذلك فحسب، أشعر أن حاضري كله متوهِّج.

أوه نعم، قلت إنكَ اشتريت خاتم موسيقى تنبعث منه أغاني الحب؟ ذلك رائع. يجب أن تضعه في إصبعي في حفل الزفاف. سينفجر ضيوفنا كلهم ضحكًا لرؤية ذلك المشهد.

منزلي، المكان الذي أتوق أن أكون فيه. أنا في طريقي إلى المنزل الآن. نَمْ جيدًا.

أحبُّكَ.

رسالتها الـ 4
5 شهور و26 يومًا من بداية الرحلة
7 سنوات و8 شهور و24 يومًا بتوقيت الأرض

يا إلهي.

عزيزي ماذا عليَّ أن أفعل؟

التقطت قلمي الرصاص مرة أخرى بعد بكاء طويل.

أرسلت لكَ رسالة منذ مدة، لكنني أكتب رسالة أخرى الآن. مضيفات السفينة في حالة ارتباك شديد، لدرجة أنني أشكُّ في أنهن ربما لم يرسلن الرسالة حتى.

يوجد الكثير من الناس حولي، والمضيفات يواصلن المجيء والذهاب؛ لذلك لا يمكنني البكاء بقدر ما أحتاج. بعض الناس فاقدو الوعي، وثمة رجل ينزف من معدته، ولن تتوقف المضيفات عن فتح الباب دون استئذان لطرح أسئلة لا طائلَ من ورائها ثم يختفين. عندما اشتكيت من ذلك، قلن إنَّ السبب أنهم فقدن صوابهن أيضًا. إنْ كانت المضيفات غير قادرات على التركيز، فأي أمل تبقَّى للركاب؟

أنظر من النافذة وألاحظ جانبًا كاملًا من السفينة ممزَّقًا. على ما يبدو، احتكَّ كويكب مُسنَّن بنا. فقط عدد قليل من المقصورات في السفينة آمنة الآن. عليك حتى أن ترتدي بدلة فضاء حتى تخرج

إلى المرحاض، لكن ارتداء واحدة يستغرق ثلاثين دقيقة، وحتى ذلك يجب أن يكون بالتناوب. لذلك عليك أن ترفع يدك نصف ساعة قبل أن تشعر حتى بالرغبة في قضاء حاجتك، ولكي تفعل ذلك عليك أن تحجز تذكرةً لدخول المرحاض قبل حوالي ساعة. سخيف، أليس كذلك؟

قبل قليل، جاء القبطان واشتكى طويلًا من الدمار الذي لحق بالسفينة من جرَّاء هذا التصادم بالكويكب، ثم خرَجَ مرة أخرى. بفضل ذلك، عرفت كل شيء عن حجم أملاكه، وعدد أطفاله، وكم لديه من مدخرات. مضحك، أليس كذلك؟

السفن الوحيدة التي تمرُّ بهذا الطريق هي سفن الشحن أو سفن بحثية أخرى. حتى مع تلك السفن، كان علينا أن نجري قرعة من أجل تقرير مَن سيذهب ومتى. مع حظِّي، الخيارات الحقيقية الوحيدة مركبة ضوئية متَّجهة إلى ألفا سينتوري، والتي ستصل في غضون شهرين، أو سفينة شحن متَّجِهة إلى الأرض، والتي ستصل إلى هنا بعد شهر من الآن.

باستثناء أن السفينة الذاهبة إلى الأرض ليست مَركبةً ضوئيَّة، بل سفينة شحن؛ لذلك سوف يستغرق الأمر إحدى عشرة سنة للوصول إلى الأرض.

إحدى عشرة سنة...

إحدى عشرة سنة كاملة.

وإنْ صعدتُ على متن تلك السفينة، فمن الواضح أنه لا يوجد مكان لتناول الطعام أو النوم أو الذهاب إلى المرحاض على متنها؛ لذا سأضطر إلى الذهاب إلى حجيرة السُّبات المحفِّز المخصَّصة للناجين من الكوارث، والنوم حتى يحين ميعاد الهبوط.

أحدهـم يبـكي مـرة أخـرى، أمامـي مبـاشرة. ويمكننـي سـماع شـخص آخـر يـصرخ مـن مـكان مـا. تسـتمر المـرأة في منتصـف العمـر الراقـدة بجانبـي عـلى السريـر في شـدِّ البطانيـة كلهـا، قائلـة إنهـا تشـعر بالـبرد. طلبـت منـي العـزوف عـن تلـك الأفـكار السـخيفة بالذهـاب إلى الأرض والعـودة إلى ألفـا سينتوري. قالـت إن هنـاك الكثـير مـن الأشـخاص الذيـن انتهـى بهـم الحـال لحومًـا مجمَّـدة بعـد حـادث مؤسـف في خِضَـمٍّ عمليـة السُّبات. وأنـك لا بُـدَّ وقـد غـادرت، أنـك لا بُـدَّ وقـد رحلـت بالفعـل منـذ مـدة طويلـة بالفعـل...

إحدى عشرة سنة.

لا، في الواقع ثماني عشرة سنة وثمانية أشهر...

لا أستطيع أن أطلب منكَ العودة على متن سفينة أخرى.

الآن لـن يكـون لديـكَ أي مدَّخـرات لدفـع الأجـرة، وحتـى لـو اقترضـتَ كل مـا بوسـعكَ مـن أحـد البنـوك، كيـف يمكـن لزوجـين حديثـي الـزواج أن يكونـا بـلا منـزل أو أي مـكان للعيـش فيـه في حـين يتعـيَّن عليهـما سـداد فوائـد القـرض قبـل أي شيء؟ ومَـن الـذي سـيوظف شـخصًا لديـه فجـوة زمنيـة دون عمـل لمـدة ثمانيـة عـشر عامًـا في سـيرته الذاتيـة؟ سـتكون التكنولوچيـا وكل شيء آخـر مختلفًـا تمامًـا. حتـى لـو كان بإمـكاني الـزواج منـك، في كل مـرة تسـكر فيهـا، سـتدخل في نوبـة مـن النكـد قائـلًا إنَّـك دمـرت حياتـكَ كلهـا حتـى تتمكَّـن مـن الـزواج بي، ولـن أكـون قـادرة عـلى تحمُّـل ذلـك.

أردت حقًّا أن أتزوَّجكَ.

أردت حقًّـا أن نكـوِّن أسرة. أعتقـد أن هـذا بـات مسـتحيلًا الآن. مـع ذلـك أنـا ذاهبـة إلى الأرض. هـل لـديَّ حتـى خيـار؟ حقًّـا، أنـتَ بيتـي الوحيـد.

ليس لديَّ قلب لأطلب منكَ الانتظار.

فقط، من فضلك، تعال إلى الميناء الفضائي.

بعـد أحـد عـشر عامًـا مـن الآن، تعـال لمقابلتـي عنـد وصـولي. لا بـأس لـو أحـضرتَ معـك زوجتـك وأطفالـك. لـن يُغضِبَنـي ذلـك. سـأتفهَّم كل شيء. سـأصافحها بعِـزَّة نفـسٍ، وسـيمكننا التحـدث طـوال اليـوم، مثـل النسـاء الـلاتي ينتهـي بهـنَّ المطـاف بالإعجـاب بالرجـل نفسـه.

لا أريد سوى رؤياك.

أعتقـد أن هـذا سـيجعل كل شيء عـلى مـا يـرام. معرفتـي فحسـب أنـك موجـود تحـت السـماء ذاتهـا. ثـم، حتـى لـو كنَّـا مُنفَصِلَـيْن، فسـنواصل العيـش معًـا. سـيكون منزلنـا كبـيرًا بعـض الـشيء فحسـب.



رسالتها الـ 5
6 شهور و26 يومًا من بداية الرحلة
بعد 7 سنوات و9 شهور و24 يومًا بتوقيت الأرض

آسفة، استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا لإرسال رسالة.

كان من المستحيل حقًّا الكتابة على متن تلك السفينة. فعل ذلك ليس صعبًا على الإطلاق في الظروف العادية، ولكن حتى الأشياء الصغيرة كانت مسألة ضخمة هناك. العيش محشورين معًا داخل غرفة ضيقة يومًا بيومه، كل شيء يمكن أن تتخيل حدوثه من باب التشاؤم، حدث في النهاية. إنْ فعل أحدهم أي شيء خارج عن المألوف قليلًا؛ يفقد الجميع عقولهم.

الآن أنا وحدي أخيراً.

رغم أنني كِدتُ ألَّا أنجو.

لا أعرف كيف صمدت في تلك السفينة المدمَّرة بالكامل لشهر كامل... لكن ذلك يكفي؛ لا داعي للحديث عن ذلك الآن. لأن الماضي لا يوجد إلا عندما نستدعيه إلى أذهاننا.

المكان هنا أشبه بمبرِّد (فريزر) عميق. يداي مُخدَّرتان جدًّا بسبب البرد القارس، لدرجة أنني بالكاد أستطيع الكتابة. درجة الحرارة ثابتة لضمان نَضارة البضائع على متن السفينة. طلبتُ من "هون" تشغيل التدفئة، لكنها قالت إنه لا يوجد نظام تدفئة. لا توجد إضاءة فعلية

أيضًا؛ لذلك أنا أكتب هذه الرسالة على ضوء شاشة قارئ الكتاب الإلكتروني الصغيرة.

أوه، يجب أن أشرح. "هون" قبطان سفينة الشحن هذه. ليست بشريَّة، بل قبطان بتقنية الذكاء الاصطناعي. هي ذكية حقًّا. بغضّ النظر عمّا أطلبه، لا تغضب، وهي بارعة حقًّا في شرح الأشياء بطريقة رزينة ومفصَّلة.

أخبرتني "هون" أنه يجب عليَّ إفراغ معدتي تمامًا قبل الذهاب إلى حُجَيرة السُّبات؛ لذلك أنا صائمة منذ وصولي إلى هنا. أتضوَّر جوعًا لدرجة أنني أشعر أنني أشارف على الموت. قريبًا ستُزال جميع السوائل من جسمي، وتُستبدل بمضادَّات التَّجمُّد. قالت "هون" إن عليَّ التفكير في الأمر بوصفه نوعًا من غسيل الكُلى. لكنها أخبرتني أيضًا أنني يمكن أن أموت لو أبدى جسدي ردَّة فِعلٍ تحسُّسيَّة ضد مضاد التجمد. طمأنتني؛ حتى لو حدث ذلك، فستُحفَظ جثَّتي جيدًا من أجل تسليمها إلى عائلتي سليمة؛ لذا لا داعي للقلق. هل يمكنك تصديق ذلك؟!

سألتها إنْ كان بإمكاني إرسال رسالة لكَ. وفقًا لـ"هون"، ستتمكَّن من استلامها إنْ كنتَ لا تزال على متن السفينة التي كنتَ عليها من البداية. ولكن إن كنتَ قد انتقلت إلى سفينة أخرى، فهي لا تعرف العنوان؛ لذلك لن تعرف كيفية توصيلها إليك. حسنًا، هذا منطقي. لكني أكتب الرسالة على أي حال.

لا يوجد شيء أفعله هنا حتى تكتمل الاستعدادات من أجل السُّبات؛ لذلك كنت ألعب لعبة الطهي والتنظيف مع "هون". قلت إنه، مقارنة بـ"ابدئي التنظيف بحلول الساعة السابعة والنصف هذا المساء"، يجب أن تكون الأولوية لأمر "أنا على وشك الموت جوعًا، جهِّزي بعض الطعام لي". لأن بقاء الشخص حيًّا أهم من أي شيء آخر. لكن "هون" قالت إن الأمر الثاني مُبهَمٌ جدًّا. لدى البشر عادة

استخدام عبارات مثل "أنا على وشك الموت" بصورةٍ مُفرِطة، في حين أنها غير صحيحة في الواقع؛ لذلك يجب أن أقدِّم حجَّةً أوضح. أخبرتني أن أقول: "أنا أتلقَّى علاجًا مرتبطًا بالأكل، ومن الخطير ألَّا أتناول الوجبات في وقت مُحدَّد". بالطبع، لا توجد طريقة للتأكد ما إنْ كنتُ مريضةً حقًّا، لكن الذكاء الاصطناعي سيعطي الأولوية للأمر على أي حال؛ لأنه لا ينبغي عليه تفويت التوقيت الصحيح للتَّحقُّق من صحة ادِّعائي.

عندما نلتقي لن أكفَّ عن الحديث طوال اليوم. سأخبرك بكل شيء مررت به في الشهر الماضي. دعنا نرى مَن منَّا مرَّ بوقت أصعب.

آمل حقًّا أن أفوز.

أتمنى ألَّا تكون قد اضطررتَ إلى التعامل مع شيء صعب واحد. أتمنى أن تكون قد عِشتَ ببطنٍ شبعانة وظَهر دافئ ومرتاح طوال مدة رحيلي. لا أستطيع أن أتخيَّل كيف سأشعر إنْ أنتَ أفسدتَ حياتَك بسبب قلقكَ عليَّ.

أعني ذلك. إنْ كنتَ لا تعيش حياة جيدة، فمن المحتمل أن يقودني ذلك إلى إفساد حياتي بسبب شعوري السيئ تجاه ذلك.

أثناء رحيلي، أتمنى أنك تتناول أطعمة شهية، وتحظى بإجازات طويلة، وتقرأ الكثير من الأشياء الشَّيِّقة أيضًا. في المقابل بين الحين والآخر، عندما يحدث شيء جيد، فكِّر بي. إنْ فعلتَ ذلك، سأكون معك.

وتعال إلى الميناء الفضائي، وأخبرني أنك عِشتَ على هذا النحو لمدة أحد عشر عامًا. عِدني بذلك.

أعتقد حينذاك أنني سأكون قادرة على النوم بهناء.

إلى اللقاء يا حُبِّي.

شكرًا لك لأنك أحببتني.
كنتُ سعيدةً بفضلكَ.

رسالتها الـ 6

6 أشهر و26 يومًا من بداية الرحلة (مع استبعاد السنوات المهدَرة وأنا في حالة السُّبات)

19 سنة وشهران و4 أيام بتوقيت الأرض

بمجرد استيقاظي من حالة السُّبات، شعرت بأن ثمة شيئًا غريبًا قد حدث.

في البداية، اعتقدت أن السفينة لا بُدَّ وقد هبطت اضطراريًّا أو وصَلَت إلى المكان الخطأ. اعتقدتُ أنه ليس الأرض. أو أنه لا يمكن أن يكون كوريا على الأقل.

كانت الرائحة مختلفة. كان الهواء خانقًا ورائحة التراب والعشب تدغدغ أنفي. في الصمت المخيِّم على أرجاء المكان كله، كان الصوت الوحيد هو صوت "هون" عبر مُكبِّر الصوت:

"الرجاء تفريغ الحمولة".

"الرجاء الخروج إلى برج المراقبة".

"ألا يوجد أحد هناك؟".

كان مضاد التَّجمُّد الذي ضُخَّ في جسدي قد استُبدِل منذ مدَّة وجيزة بالدم؛ لذا شعرت أنني قد أتجمَّد حتى الموت في أي لحظة. شعرت كما لو أنني غُمِرتُ في بحر شتاء جليدي لمدة قرن، وتحوَّلتُ إلى زلابية مجمَّدة. شعرت بالدوار، كان ذهني ضبابيًّا، ولم تبقَ بداخلي

أي قوة على الإطلاق. في كل مرَّة كنتُ أتنفَّس، اعتقدتُ أنني أستطيع أن أشمَّ رائحة زيت معتَّق تخرج من رئتي. كنت أرتجف مثل امرأة عجوز، وتمكَّنت بطريقة ما من الزحف إلى الحمام الدافئ الذي أعدَّته "هون" من أجلي في مكان قريب، وأسقط داخل البانيو بجسدي، ناثِرةً المياه خارجه. فقط عندما شعر جسدي بقليل من الدفء، جمعت شتات نفسي واستوعبت ما يحيط بي.

كانت كوَّة السفينة مفتوحةً، لكن لم يعبر منها أحد، المطر وحده يتطاير إلى الداخل، تحمله الرياح. اهتزَّت البضائع على طول الحزام الناقل، وسقطت من عليها بدويٍّ. بلوب... بلوب... كما لو أنها تسقط فوق عصيدة أرز سميكة.

أوقفَت "هون" أخيراً بثَّها عبر مكبِّر الصوت عندما ناديتُ عليها. أوضَحَت أننا تأخَّرنا قليلًا في الوصول لأن الأمر استغرق منها بعض الوقت لفحص وإصلاح مشكلة في جسم السفينة. عندما سألت عن مدى تأخُّرنا. أجابت: "ليس كثيراً على الإطلاق. تأخرنا حوالي سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام عن الموعد المحدَّد".

صوت "هون" الميكانيكي بدا ميكانيكيًا حقًّا في تلك اللحظة.

كان الجو مظلمًا جدًّا بالخارج. احتدَمَت الرياح والأمطار، مُصدِرةً عويلًا مدوِّيًا. في كل مكان حولي، وفي كل اتجاه، توجد مسطحات طينية تطفو فوقها نباتات مائية، تغطي المنطقة برُمَّتها مثل قوات احتلال. ما امتلكت أي وسيلة لمعرفة أين يبدأ البحر، وتنتهي اليابسة.

كسرت أحد صناديق البضائع، وانتزعت لوحًا خشبيًّا. ألقيت به في الوحل، وتشبَّثتُ به بينما كنت أخوض في المياه الطينية. عندما نظرت إلى الوراء، بَدَت لي السفينة وكأنها تغرق في الوحل. بدا المستنقع المتكوِّن وكأنه وحش صامت جاهز لالتهامها.

امتدَّ الوحل والماء إلى الميناء الفضائي. أينما نظرت، لا يوجد أثر للناس، ناهيك بأي سفن. فكَّرتُ في قرارة نفسي مرة أخرى أننا يجب أن نكون قد هبطنا اضطراريًّا على سطح كوكب آخر.

لكن بعد ذلك وصلت إلى قاعة الانتظار رغم أن النباتات قد غزتها، لدرجة أنها بدت وكأنها ربوة منخفضة. عندما شققتُ طريقي عبر غطاء نباتات اللبلاب الزاحفة مُستَخدِمةً سكِّين جيب لتمزيقها، ودلفت القاعة، كانت في حالة فوضى تامة. توجد الكثير من ثقوب الرصاص في الجدران، لدرجة أنها بدت مثل قرص خلية نحل، ورأيت بقع دماء داكنة جافَّة على الأرض. كانت الشاشة الإلكترونية مُعطَّلة، وكتب أحدهم رسالة عليها بطلاء يتوهَّج في الظلام.

مرحبًا بالمسافرين العائدين من رحلات ما بين النجوم. لسوء الحظ، أصبح الوضع في كوريا مريعًا.

انفجر مصنعٌ نَوويٌّ في الجنوب، وما زالت الحرب الأهلية مستمرَّة.

كما أن الحالة في البلدان الأخرى مزرية أيضًا.

من فضلك أسرِعْ إلى زمن آخر.

من فضلك أسرِع إلى زمن آخر...

وقفتُ مُتسمِّرةً في مكاني، أحدِّق في الرسالة طويلًا، وقد حوَّطت جسمي المرتعش بذراعي. بجانب الرسالة، كُتِبت تحذيرات برذاذ الطلاء تخبر المسافرين بما يجب عليهم الاحتراس منه. محا أحدهم عبارة "نشاط إشعاعي"، وكتب بالرشاش:

"جيش الأحكام العرفية" فوقها، ثم كتب "قُطَّاع الطرق" فوقها. وفوق ذلك كله كتب "الميليشيا المدنية".

أعتقد أن أكبر تهديد ظلَّ يَتغيَّر.

غـادرتُ قاعـة الانتظـار حتـى أرجـع إلى "هـون" وأخبرهـا: "لنَعُـدْ إلى الوطـن؛ وصلنـا إلى المـكان الخطـأ". كـما تعلـم، لم يخطـر ببـالي إلَّا بعـد وقــت طويــل حقيقــة أن كل شيء عــلى الشاشــة الإلكترونيــة مكتــوب بالكوريـة؛ وبالتـالي لم نَصِـل قطعًـا إلى المـكان الخطـأ. بالأحـرى وصلنـا إلى الزمـان الخطـأ.

بينـما كنـت أتجـوَّل حـول المسـتنقع تحـت المطـر الـذي يتسـاقط مثـل الـبَرَد، لاحظـت شـيئًا غريبًـا عـلى مبعـدة.

بدا وكأنه كوخ قديم.

كانـت في الواقـع خيمـةً مزَّقَتهـا الريـح إلى أشـلاء. عندمـا اقتربـت، رأيت الأرض خلفهـا منسـحقة في حفـرة واسـعة ضحلة.

بـدا الأمـر كـما لـو أن جسـمًا بحجـم مركبـة فضائيـة صغـيرة مكـث هنـاك مـدة طويلـة. فقـط قطعـة واحـدة مـن الأرض كانـت محميَّـة مـن المطـر والريـاح ولم تَغزُهـا النباتـات. عـلى مسـافة ليسـت بعيـدة، أشـياء مثـل براميـل ميـاه معدنيـة وأطبـاق تتطايـر مـن حولهـا، وكان ثمَّـة شيء يشـبه عَلَـف الحيوانـات يلتصـق بالأطبـاق. كان الأمـر كـما لـو أن بـشرًا كانـوا هنـاك حتـى مـا قبـل مـدَّة وجيـزة، ولم يمـضِ وقـت طويـل عـلى رحيلهـم.

ولكـن بينـما كنـتُ واقفـةً، تطايَـرَت الخيمـة في الريـاح، وتناثـرت ميـاه الأمطـار حتـى مـلأت الحفـرة وابتلعتهـا.

بمجـرَّد أن اختفـى كل شيء، لم أسـتطع التَّأكُّـد مـمَّا إن كنـتُ أتعـرَّض للهلوسـة، أو أن الحفـرة كانـت هنـاك بالفعـل.

بعقـلٍ عاجـزٍ عـن التفكـير، رحـت أتجـوَّل في الوحـل بشـكل محمـوم، كـما لـو كنـتَ أنـتَ مختبئًـا هنـاك، في حفـرة حفرتهـا في الأرض. ثـم بـدأت أتحـدث إليـكَ، لكـن كل مـا عـاد إليَّ هـو عـواء الريـح المريـر.

كنتُ خائفة جدًّا. مرعوبة من احتمال أنك ربما انتظرتني هنا. أنك ربما أتيت إلى هذا المكان في اليوم المحدد، وانتظرتني، ثم غادرت وأنت تعضُّ على شفتيك، شاعرًا بالخيانة. كنت آمل وأدعو الرب أن يكون ما رأيته وهمًا، وإنْ لم يكن مجرَّدَ وهم، فعلى الأقل ألَّا يكون مَن أتى إلى هنا هو أنتَ.

عندما وصلت بأفكاري إلى هذا الحد، رجعت إلى صوابي فورًا. وقرَّرتُ أن أعود أدراجي إلى السفينة. وأن عليَّ ركوب السفينة والانطلاق حتى أجدكَ.

لكن عندما وصلت إلى السفينة، كانت المياه قد غمرت نصفها تقريبًا. وكانت المياه الموحلة تتدفَّق بصوت هادر عبر المدخل.

كنت أقف هناك تصفعني الرياح ورذاذ المطر عندما بدأ صوت القبطان ينطلق من قارئ الكتب الإلكترونية في جيبي. كانت الشاشة الصغيرة للقارئ قد تحطَّمَت، وكان بإمكانها إصدار صوت فقط، لكن كان ذلك مفيدًا أيضًا.

قالت "هون": "الوضع ليس جيدًا. لست متأكِّدةً من المدة التي سأتمكَّن فيها من العمل بشكل صحيح. إنْ كان هناك أي شيء يمكنني القيام به من أجلكِ، فأصدري أمرًا. هل ترغبين في التَّحقُّق من صندوق رسائلك الواردة؟ إنْ سمحتِ لي بمعرفة كلمة مروركِ".

طلبت من "هون" إرسال إشارة استغاثة. إلى أي مكان في الكون، إلى أي سفينة، لا يهم.

أخبرتها أن تذكر أن ثمَّة شخصًا موجودًا في هذا الميناء الفضائي الآن. أن أيًّا كان مَن سيلتقط رسالة الاستغاثة، يجب أن يأتي ويأخذني بعيدًا، إلى أي مكان، في الحال. وإلا سأموت من الجوع والبرد، وشعور الوحدة الذي يلتهمني من الداخل بعد فشلي في لقاء حبيبي. أخبرتها أنني

لـو مـتُّ فسـيكون كل ذلـك خطأهـا، وسـأقدِّم شـكوى رسـمية لمالكيهـا، وأطلـب تفكيكهـا إلى قطـع صغـيرة.

ردَّت "هـون": "الجـزء الأخـير مـن كلامـك بالتأكيـد مُبالَغَـة، ومنطقـه مَعِيـب أيضًـا، لكننـي سـأنفِّذه"، ثـم حـدَّدَت تنفيـذ أمـري كأولويـة قصـوى لهـا.

رسالتها الـ7

7 شهور و24 يومًا من بداية الرحلة (مع استبعاد المدة التي قضيتها في حالة سُبات)

19 سنة و3 شهور ويومان بتوقيت الأرض

هل كنت بخير؟

أعلم أنه ربما يكون من المستحيل عليك استلام رسائل الآن، لكنني ما زلتُ أضع القلم الرصاص على الورق. ماذا لو تلقَّيتَ آخر رسالة أرسلتها؟ حتى لو لم تستلمها حتى الآن، فقد تتمكَّن من الحصول عليها يومًا ما. يمكن أن تحصل على رسالتي بالصدفة عندما تكون واهِنَ الجسد ووجهكَ مليء بالتجاعيد، وما تفتأ تبكي في شيخوختك، معتقدًا أنه لا بُدَّ أنني ذبلت ومتُّ في ذلك الميناء، في انتظار مَن يُنقذني. لا يمكننا السماح بحدوث ذلك، هل يمكننا؟ لذا، أنا أكتب لأعلمك.

أنقذوني. لكن استغرق ذلك شهرًا.

استغرقت سفينة الشحن عشرة أيام لتغرق بالكامل. قضيت كل يوم في تلك الأثناء في استرجاع أي شيء يمكن أن يكون مفيدًا. وتحسُّبًا لأي طارئ، صنعت نسخة احتياطية من قبطان الذكاء الاصطناعي "هون" على قرص صلب وجدته. ثم حاولت استخراج الكود الأساسي

فقـط، وتمكَّنـتُ مـن حفـظ نسـخة منـه عـلى القـارئ الإلكـتروني. مـع أن الجهـاز الصغـير لـن يسـتطيع تشـغيله.

تجوَّلـتُ في أرجـاء المدينـة أحيانـًا أيضًـا. أينـما ذهبـت، كان الجميـع قـد رحلـوا، وكانـت المدينـة خاويـة تمامًـا. ذهبـت أيضًـا إلى الكنيسـة التـي كان مـن المفـترض أن نتـزوَّج فيهـا. المبنـى في الواقـع في حالـة جيـدة جـدًّا رغـم كل شيء. يبـدو كـما لـو أن المؤمنـين يلجـؤون إليهـا، ويمكثـون هنـاك عندمـا يمـرُّون بالمـكان. عشـت بـدوري في الكنيسـة مـدَّةً مـن الوقـت. علَّقـتُ بعـض الملاحظـات مـن أجلـك في حالـة زرت المـكان. آمـل أن تتمكـن مـن رؤيتهـا.

أوه نعم، هناك شيء ستسعد بمعرفته.

يبـدو أن أصدقـاءك حـضروا في الموعـد الثـاني الـذي حدَّدنـاه لحفـل زفافنـا. تركـوا صـورة جماعيـة في القاعـة. مـع ملاحظـة تقـول إنهـم ينتظـرون، لـذا مـن الأفضـل أن نـأتي.

كما قلت، أتت سفينة حتى تُقلَّني بعد شهر.

أتمنـى حقًّـا أن أريـك وجـه قبطـان سـفينة الـركاب هـذه. راودني شـعور مألـوف بشـكل غريـب حالمـا رأيتـه. يمكننـي تصوُّره مسـترخيًا فيـما يركـض حـول سـهل منشـوريا، ويجـزُّ رؤوس أعدائـه مـن عـلى ظهـر الخيـل.

عـلى مـتن سـفينة الـركاب يوجـد مقهـى، وسـوق للسـلع الرخيصـة والمسـتعملة أيضًـا. ومـع ذلـك، تُسـتخدم كلهـا في أغـراض مختلفـة الآن.

عندمـا دخلـت الغرفـة المخصصـة لي، تجمعـت حـولي فتيـات بعيـون كعيـون القطـط الضَّالَّـة مـن هنـا وهنـاك في جميـع أنحـاء الغرفـة. كان ثمـة تسـعة أشـخاص يعيشـون في غرفـة صغـيرة بحجـم ظفـر إصبـع. تقاسَـمَت أربـع فتيـات أحـد سريريـن، ورقـدت فتـاة واحـدة أسـفل المكتـب، وأخـرى داخـل صـوان الملابـس، وثالثـة في الحـمام، ورابعـة خرجـت حتـى مـن

الخزانـة. كان السريـر الآخـر يخـصُّ امـرأة تتحكَّـم في الغرفـة مثـل مِلِكـة مملكـة صغـيرة. انتفضـت منتصبـة الظَّهـر، وذراعاهـا مطويتـان، ونظـرت إليَّ مـن قمـة رأسي حتـى قدمـي بعينـين مُدقِّقتَـيْن، ثـم بـدأت ترشـقني بأسئلة مثـل تلـك التـي تُوَجَّـه إليـك في اختبـارات الشـخصية أو اختبـارات مسـتوى الـذكاء. ثـم، بعـد نقـاش طويـل بينهـا وبـين الفتيـات، أخلـين الفجـوة الضيقـة بـين السريريـن حتـى تكـون مسـاحتي. حـين رأتنـي عـلى وشـك أن أحـشر جسـدي هنـاك، أخبرتنـي المـرأة أن الفجـوة لـن تكـبر؛ لذلـك سـأضطر إلى أن أصبـح أصغـر حجـمًا بطريقـة أو بأخـرى.

أنـا متأكِّـدة مـن أن سـفينة الـركاب قـد تخطَّـت سـعتها المسـموح بهـا منـذ زمـن طويـل، لكنهـم يواصلـون جلـب المزيـد مـن الأشـخاص عـلى متنهـا. وفقًـا للمـرأة المتحكِّمـة في غرفتـي، يحتـاج القبطـان باسـتمرار إلى نـوع مـن الاسـتعراض؛ بعـض الأدِلَّـة الجديـدة عـلى حقيقـة أنـه أصبـح خارقًـا، منقـذ البشريـة. وأضافـت أني جـزء حـي مـن هـذا الدليـل.

في كل مـكان في السـفينة تُشـغَّل الأغنيـة نفسـها عـلى نحـو متكـرِّر طـوال اليـوم. أغنيـة قديمـة تبـدأ بـ"هـا أنـا عائـد إلى الوطـن"، وهنـاك لافتـات في جميـع أنحـاء السـفينة.

القبطان ينسج خيوط خطة كبرى.

سـيأخذ السـفينة إلى الميناء الفضـائي مـرة كل عـشر سـنوات، ويمكـث هنـاك لمـدة شـهرين لإدارة المنطقـة المحيطـة، ثـم ينطلـق إلى الفضـاء ثـم يرجـع مـرة أخـرى، وهلـمَّ جـرًّا. سـوف ينـثر البـذور ويـزرع الأشـجار، وبعـد عـشر سـنوات، عندمـا تنمـو الأشـجار لتصبـح غابـة، سـيعود أدراجـه، ويـزرع المزيـد. خطَّتـه أن يفعـل ذلـك عـشر مـرات. ولـو لم تكـن عـشر مـرات كافيـة، فسـوف يكـرِّر العمليـة عـشر مـرات أخـرى.

غرفـة القبطـان مغطَّـاة بصـور مدينـة إنتشـيون القديمـة. يقـول إنـه في يـوم مـن الأيـام، سـيُعاد بنـاء جميـع المبـاني الموجـودة في الصـور. لا

يمكنه أن يكون جادًا حقًا، أليس كذلك؟ ومع هذا، رغم أنني مرتابة بعض الشيء، يبدو أن إيمانه وحماسه يحافظان على معنويات الجميع مرتفعة.

أربعة أشهر لكل دورة .. العودة إلى الأرض مرة كل عشر سنوات بتوقيت الأرض، عشر مرات. هذا يجعل منها أربعين شهرًا. ثلاث سنوات وأربعة أشهر. يبدو أنه شيء يستحق القيام به.

أعتقد أنك لا بُدَّ وقد غادرت إلى زمان آخر تمامًا. لو كنتَ تعتقد أن الأمر يستحق البقاء على الأرض، فمن المؤكَّد أنك كنت لتمحو التحذيرات المكتوبة في قاعة الانتظار. من أجل من قد يأتي لاحقًا، أو من أجلي. بالطبع، هذا فقط إنْ كنتَ قد نجحت في الوصول إلى هنا، ولكن لا يزال...

كنت أتناول الطعام في مقصف السفينة حين سألتني المرأة الجالسة أمامي لماذا صعدت إلى هذه السفينة. وهكذا شرحت لها أنني كنت في طريقي لمقابلة خطيبي، وبدأ الجميع من حولي يضحكون بشدة حتى بدت الجدران تهتز.

قال لي رجل كان يبكي من فرط الضحك إنني لن أستطيع مقابلتكِ. أنَّكَ لا بُدَّ وقد متَّ منذ زمن بعيد، أو نسيتني ورحلت إلى مكان آخر. ولذا أدليتُ بدلوي أيضًا. قلت لهم لا يمكنكم جميعًا العودة إلى دياركم. لذا فأنتم أيضًا بمثابة الراحلين. مع ذلك ألا زلتم جميعًا تبحثون عن طريقة للعودة إلى دياركم؟

عندئذ سكتوا جميعًا. واحدًا تلو الآخر، قاموا وغادروا وهم يتبادلون النظرات كما لو كانوا يبرمون ميثاقًا صامتًا فيما بينهم بأن يكونوا عَدائيِّين معي، ويهمِّشوني من تلك النقطة فصاعدًا. كانت المرأة المسؤولة عن غرفتي هي آخر مَن استيقظ، وقبل أن تغادر،

قالـت: "كان هـذا قـرارًا أحمـق، أيتهـا اللاجئـة. مـن المفـترض أن تُحسِـني التَّـصرُّف إن كنـت تريديـن أن تظـلِّي راكبـة في مـكان يملكـه الآخـرون".

حان وقت إغلاق الأنوار الآن. لا بُدَّ لي من إطفاء مصباحي.

في الظـلام يمكننـي سـماع الفتيـات يسـتلقين متجـاورات، ويتمتمـن فيـما بينهـن في همسـات مثـل القطـط الصغـيرة. أفكِّـر فيـكَ وأنـا مسـتلقية في الفجـوة بـين السريريـن.

أنت؛ بيتي، الذي أتوق أن أكون فيه...

أينـما كنـتَ، أتمنـى أن تكـون بصحـة جيـدة. أن يكـون وقتـك كلـه زاخِـرًا بأشـياء رائعـة.

رسالتها الـ 8

سنتان و4 شهور من بداية الرحلة

بعد 70 سنة و6 شهور بتوقيت الأرض

آسفة لم أستطع الكتابة لمدة طويلة.

عامل الاتصالات على متن هذه السفينة رجل طيب، لكنه يصبح غاضبًا كلما قلت إنني أريد إرسال رسالة إلى حبيبي. حسنًا، هذا أمر مفهوم (أعتقد أنه أعزب). لذلك يجب أن أتملَّقه بحصصٍ من الطعام أو هدية، لكن ليس لديَّ أي شيء أدَّخره حقًّا لأعطيه له.

عدنا بالفعل إلى الأرض خمس مرات.

يسير العمل بسلاسة أكثر ممَّا هو مُتوَقَّع. قد لا نحتاج حتى إلى إتمام الدورات العشر بأكملها. رأيت حدثًا مشابهًا لما تعيشه كوريا الآن ذات مرة في فيلم وثائقي قديم. في غضون سنوات قليلة من هَجْرها، ورغم تلوُّثها بالنشاط الإشعاعي، كانت تشيرنوبيل وفوكوشيما مكتظَّتَيْن بالحياة النباتية والحيوانية. من منظور الطبيعة، لا يوجد ملوِّث أسوأ من البشر.

نحن نعمل جيدًا. اكتشفنا عددًا هائلًا من الروبوتات الصناعية في مصنع ليس بعيدًا عن الميناء. أرسلناهم إلى محطَّة الطاقة النووية في الجنوب؛ لبدء دفن المواد المشعة تحت البحر. يقول الجميع إن

العمـل الـذي نقـوم بـه سـيكون مـادَّةً خصبـة للأسـاطير والخرافـات يومًـا مـا.

انضممـت إلى طاقـم استكشـاف. أكاد أسـمعك تضحـك عـلى عبـارة "طاقـم استكشـاف". كيـف يمكـن لشـخص أغلقـت عـلى نفسـها مكتبهـا، ودفَنَـت رأسـها في الكتـب في السـابق، أن ينتهـي بهـا الأمـر ضمـن طاقـم استكشـاف؟

نقـود سـيارات الچيـب في أرجـاء المدينـة الفارغـة، وننظـر مـن حولنـا. إنْ وجدنـا أي شيء يمكـن أن يكـون مفيـدًا، نحمِّلـه في سـيارات الچيـب ونجلبـه معنـا في أثنـاء رجوعنـا. ثـم يعطـي المـشرف الجميـع درجـات بنـاءً عـلى مـا جمعـوه. الحصـول عـلى درجـات عـلى مثـل هـذا العمـل يبـدو سـخيفًا، أليـس كذلـك؟ لكـن الجميـع قـرَّروا ذلـك معًـا. اعتقدنـا أن القليـل مـن المنافسـة سـيكون بمثابـة تشـجيع. يحصـل الأشـخاص ذوو أعـلى الدرجـات عـلى حلـوى أو شـوكولاتة كمكافـأة. أي شيء حلـو أغـلى مـن الذهـب الآن.

آخـر مـرة رجعنـا فيهـا إلى الأرض، هبَطَـت عائلـةٌ للأبـد دون عـودة. وفقًـا للأشـخاص الذيـن زاروا هـذه الفـترة الزمنيـة، فقـد كـبُرَت الأسرة لتصبـح مُكوَّنـة مـن أربعـة عـشر طفـلًا. كانـوا يحرقـون الحطـب في المدفـأة ويزرعـون البطاطـس والـذرة في الحديقـة. عندمـا كانـت سـفينة الـركاب تعـود إلى الأرض، كان أكبرهـم يـضيء مصباحًـا أمـام منزلهـم كل ليلـة. عـلى مـا يبـدو، يعتقـد الأطفـال أننـا ملائكـة نزلـوا مـن السـماء في تاريـخ محـدَّد.

هـذه المـرة، هبَطَـت ثـلاث عائـلات أخـرى. هبطـت زوجـة القبطـان وأطفالـه أيضًـا. قالـت إنهـا تريـد تربيـة أطفالهـا عـلى الأرض.

أعتقـد أن الأمـور سـتنتهي عـلى نحـو جيـد. بعـد كل شيء، إذا ضاعفـت الرقـم اثنـين، وضاعفـت حاصـل ذلـك عـشر مـرات، فسـيكون الناتـج 1024.

لـن يمـرَّ وقـت طويـل قبـل أن تصبـح العائـلات التـي نزلـت عـلى الأرض أسـلافَ بلـدَةٍ صغـيرة.

عـلى مـتن السـفينة، تُقـدَّم شـتى أنـواع التعليـم بحـماس. إنهـا مختلفـة تمامًـا عـمَّا تعلَّمنـاه في المدرسـة. تـمَّ تأسـيس جمعيـة للمعلِّمـين. يتعلـم الأطفـال كيفيـة زراعـة النباتـات الصالحـة لـلأكل والبحـث عنهـا، وجمعهـا. كـما شُـكِّلت لجنـة خاصـة مكلَّفـة بإعـداد كتـاب مـدرسي جديـد. حرَّرتُـه أنـا ودقَّقتُـه. تلقَّيـتُ الكثـير مـن الثَّنـاء عـلى مـدى جزالـة الجُمَـل.

يعطـون دروس الملاحـة في غرفتنـا. مـن الواضـح أن قائـدة غرفتنـا كانـت ملَّاحـةَ السـفينة سـابقًا. لكـن يبـدو أنـه أُطيـح بهـا مـن منصبهـا بعـد أن اختلفـت مـع القبطـان. وملاح الـذكاء الاصطناعـي الـذي حـل محلهـا أكـثر دقَّـةً مـمَّا يمكـن أن يكـون عليـه الإنسـان عـلى أي حـال.

وضعـت المـرأة لوحـةً بلاسـتيكية كبـيرة عـلى جـدار الغرفـة، وكل يـوم، تكتـب عليهـا معادلَـة مُعقَّـدة باسـتخدام قلـم سـبّورة، وتطلـب مـن الفتيـات حلَّهـا. يقسـمنَّ المعادلـة فيـما بينهـنَّ، ويَقُمـن بالحسـابات، ثـم يجمعـن إجاباتهـن. هـذه بالضبـط الطريقـة نفسـها التـي اسـتخدموها في الأيـام الخـوالي، عندمـا أرسـلوا رجُـلًا إلى القمـر بنـاءً عـلى الحسـابات التـي أجراهـا البـشر قبـل أن تتمكَّـن أجهـزة الكمبيوتـر الآليـة مـن القيـام بذلـك. عـلى مـا يبـدو، يجهِّـزون أنفسـهم حتـى إذا مـا تعطَّـل مـلَّاح الـذكاء الاصطناعـي، يكونـوا قادريـن عـلى توجيـه السـفينة بأنفسـهم بالاسـتعانة بالمـرأة.

أعتقـد أن كل شيء سـينتهي عـلى نحـو جيـد. البـشر كائنـات رائعـون بعـد كل شيء.

رسالتها الـ 9

سنتان و5شهور و20 يومًا من بداية الرحلة
بعد 74 سنة (تقريبًا) بتوقيت الأرض.

انتهى.

انتهى الأمر تمامًا.

قالت "هون" إن شيئًا غريبًا كان يحدث على الأرض؛ لذلك هرعنا عائدين. عندما باتت في مجال رؤيتنا، تراءت الأرض مُغطَّاةً بسحابة سوداء. بَدَت وكأنها كرة مظلمة يلفُّها الدخان. صرخ كل الناس الذين رأوها من مسافة بعيدة من خلال النوافذ وصاحوا، وعمَّ الهرج والمرج في كل مكان.

لا أعرف ما حدث. سواء كان ذلك بسبب الحرب أو بسبب اصطدام كويكب، لا يمكننا الجزم. أتذكر أنه عندما كانت هناك حضارة، كان يوجد نظام لمراقبة الكويكبات التي تقترب من الأرض، وأن أي شيء هذا القبيل قد توقَّف منذ مدة طويلة عن العمل.

القرية الصغيرة التي بدأت تتشكَّل، كانت مدفونةً بالكامل تحت الثلوج. المنزل الذي كان يعيش فيه أربعة عشر طفلًا، ومنازل العائلات الثلاث التي هبَطَت حديثًا، وعائلة القبطان أيضًا- اختفت جميعًا دون أي أثر. حتى لو كانوا قد نجوا من الكارثة وفرُّوا إلى

مكان ما، فلن يتمكَّنوا من البقاء على قيد الحياة؛ نظرًا لأن النباتات قد ماتت جميعًا، وستتبعها جميع الحيوانات قبل مُضيٍّ مدة طويلة، ما كانوا لينجوا خلال فصل الشتاء الأول.

فقد القبطان رشده. وكان يتلعثم وهو يتلفَّظ بكلمات غير مترابطة لبضعة أيام، ثم يتحدث دون انقطاع عدة أيام. في بعض الأيام يكون صوته مرتفعًا جدًّا. طوال اليوم يكرِّر إلى ما لا نهاية أشياء قالها بالفعل. يجوب السفينة بأكملها، قائلًا إن قلمه أو قدحه قد اختفى. يستطرد متحدِّثًا عن الكيفية التي لا ينبغي أن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا للعثور على قدح، قائلًا إن جميع الركاب لا بُدَّ وأنهم أغبياء. بينما يقبع قدحه أمامه دائمًا.

فكَّرتُ بكَ. خطر ببالي أنك لو كنتَ لا تزال على الأرض لما تمكَّنتَ من النجاة. كل ما أتمناه هو أنك تتجوَّل في بقعة ما في الكون الفسيح. لكن عندما تفكَّرت في الأمر مليًّا، توصَّلتُ إلى استنتاجٍ مفادُه أنك لن تكون قادرًا على النجاة حتى لو كان هذا هو الحال.

عندما وصلت أفكاري إلى هذا الحد، بكيتُ لأول مرة منذ صعود هذه السفينة. قال شخصٌ كان يمرُّ ورائي شيئًا مثل: "ربما تصرَّفَت هذه الشَّابَّة وكأنَّ لا شيء يمكن أن يؤثِّر فيها، لكن اتَّضح أنها ليست مختلفة عنَّا بعد كل شيء".

الجوُّ صاخب خارج الغرفة. هناك احتجاجٌ يجري، حيث يقول الناس إنه في ظل هذا الوضع، يجب إجبار جميع اللاجئين على النزول. أغلقت قائدة غرفتنا الباب، وكانت تعلِّم الفتيات أغنية عن حساب التَّفاضُل والتكامل، حتى لا نضطرَّ إلى سماع ما يجري بالخارج.

كنت أحدِّق من النافذة عندما جاءت إحدى الفتيات، وأخبرتني أن قاعة زفافي ستصمد.

قالت: "ذات مرَّةٍ سمعت عن جسدِ صغيرٍ ماموثَ ظلَّ محفوظًا في الجليد لأكثر من عشرة آلاف عام". أكَّدَت لي أن العالم سينام بسلام تحت تلك العاصفة الثلجية. فقط إن لم يصبح الجليد كثيفًا جدًّا. فقط إنْ لم يصبح ثقيلًا وقاسيًا لدرجة أن يسحق ويسوِّي كل شيء تحته.

هل يمكن أن يأتي مثل هذا اليوم؟

هل يمكن أن يأتي، بعد مرور عقود أو حتى قرون، هذا اليوم الذي سيذوب فيه الثلج، وتظهر الكنيسة مرة أخرى، ويتصادف أنك تزور قاعة زفافنا وترى الملاحظات التي تركتها لك؟

حتى لو كان ذلك ممكنًا، فهل ستكون قصاصات الورق هذه مصدرَ راحَةٍ وعَزاءٍ لكَ على الإطلاق؟

رسالتها الـ 10
سنتان و8 شهور من بداية الرحلة
بعد (حوالي) 84 سنة بتوقيت الأرض

عُدنا إلى الأرض. رغم الخطَّة الأصلية، والتي كانت أن نستمرَّ في السفر عبر الفضاء حتى تتعافى الأرض. حصلنا على معلومات تفيد بأن سفينةً أخرى كانت على وشك الوصول إلى الميناء الفضائي.

لأول مرة منذ زمن طويل، كان الجميع متحمِّسين، قائلين إن السفينة لا بُدَّ وأنها ضخمة إنْ تمكَّنَت من أن تظل صالحة للعمل حتى الآن، ومن المؤكَّد أنها تحمل جميع أنواع البضائع. أبهجَتهم احتمالية أن السفينة قد تحتوي على مخزون من السوجو أو السجائر، أو إن كانوا محظوظين حقًّا، ربما حتى بعض الكيمتشي. قبل أسبوع من موعد الهبوط، بدأ الناس في الانقسام إلى مجموعات متشدِّدة ومعتدلة، واندلعت خلافات محتدمة بينهم. استعدَّ المتشدِّدون للحرب. في المقابل جهَّز المعتدلون الهدايا ووفدًا دبلوماسيًّا. بحلول الوقت الذي كنَّا مستعدين للهبوط، كان الوضع سيئًا للغاية لدرجة أنهم كانوا قد تمادوا تقريبًا، وشكَّلوا أحزابًا سياسية.

ولكن عندما هبطنا هناك، تبيَّن أنها ليست سوى سفينة شراعية شمسية غير مأهولة تُحلِّق من تلقاء نفسها بقوة دفع الرياح الشمسية. لكنني كنتُ من الرُّتبة الثالثة؛ ممَّا يعني أنني كنت عالِقةً

في بطـن السـفينة طـوال الوقـت؛ لـذا لم أتمكَّـن مـن الخـروج لرؤيتهـا بنفـسي.

عندمـا تمكَّنـتُ أخـيرًا مـن إنهـاء حصَّتـي مـن العمـل، والعـودة إلى أعـلى مـرة أخـرى، كان الجـوُّ في السـفينة جليديًّـا مثـل الطقـس في الخـارج.

كان الجميـع محبطـين تمامًـا. لمـدة مـن الوقـت لم يَقُـل النـاس أيَّ شيء عـلى الإطـلاق، ولم يتواصلـوا بالعـين حتـى، كـما لـو كانـوا جميعًـا أشـباحًا. تفشَّـت خيبـة الأمـل، وخـلال عطلـة نهايـة الأسـبوع تُـوفيِّ ثلاثـة مـن كبـار السـن الذيـن كانـوا عـلى مـتن السـفينة. المـوت يـأتي بسـهولة، أليـس كذلـك؟

طويـتُ أنـا والفتيـات ورقًـا مقـوى حتـى نصنـع زهـورًا وضعناهـا فـوق نافـذة غرفتنـا مـن أجـل السـفينة الشراعيـة الشمسـية، مـن أجـل البطـل الصغـير المجهـول الـذي سـافر بمفـرده عـلى مـتن سـفينة شراعيـة شمسـية مـدَّةً طويلـة.

أعتقد أنك لم تفهم معنى مصطلح "الرتبة الثالثة".

إن كان عمـل شـخص دون المسـتوى أو ارتكـب خطـأ، فسـيحصل عـلى نقـاط جزائيـة، وإن زادت النقـاط الجزائيـة هـذه، فسـتنخفض رتبتـه إلى فئـة أقـل. كنـتُ في الرتبـة الثانيـة حتـى مـا قبـل شـهر، لكننـي تعـثَّرتُ بعـد ذلـك عندمـا كنـت أحمـل دلـوًا مـن الحسـاء، وانسـكب في كل مـكان؛ لذلـك رُكِلـتُ إلى الرتبـة الثالثـة، مـع أن دلـو الحسـاء كان ثقيـلًا للغايـة. عندمـا يُوضـع النـاس في الرتبـة الثالثـة، يجـب عليهـم النـزول إلى بطـن السـفينة والعمـل هنـاك، ولا يمكنهـم الصعـود مـرة أخـرى إلا بعـد الانتهـاء مـن حصَّـة عملهـم بالكامـل. عندمـا تنـزل إلى رُتبَـةٍ أدنى، يتوقَّـف النـاس فجـأة عـن التَّحـدُّث إليـك، كـما لـو كنـتَ غريبًـا عنهـم.

مـن البديهـي أنـه إذا مُنِحـتَ نقـاط جـزاء بهـذه الطريقـة، فـلا بُـدَّ مـن وجـود نقـاط اسـتحقاق أيضًـا عـلى إتقـان العمـل، لكننـي لم أحصـل

على واحدة. إن قُلِّصَت الحصص الغذائية بحجة العقوبة، فلن يدرك الناس أننا نفتقر إلى المؤن، بل سيعتقدون أنهم أنفسهم يفتقرون إلى شيء معيَّن. يلوم الناس أنفسهم عندما تتقلَّص حصصهم الغذائية، بدلًا من إلقاء اللوم على المسؤول حقًّا. ويلومون الناس من حولهم الذين جعلوهم يخطئون ويتلقَّون نقاطًا جزائية. وهذا يؤدِّي إلى أن يكون الناس في حلق بعضهم البعض، وتنشب معارك مستمرَّة بينهم. حتى إن الناس هنا يقولون إن ضرب أحدهم حتى يُغمى عليه يمنحهم شعورًا بالتَّحرُّر، والتنفيس عن غضبهم.

نقاط جزائي تستمرُّ في الزيادة. بغَضِّ النظر عمَّا أفعله، لا يمكنني منع ذلك. أستمر في القيام بالمزيد والمزيد من العمل لإثبات جدارتي، ولكن كلما زاد العمل الذي أقوم به، زادت الأخطاء التي أرتكبها؛ لذا أحصل على المزيد من نقاط الجزاء.

يوزِّع المشرفون نقاط الجزاء بسخاء، وهذه هي الطريقة التي يربحون بها -هم- المزيدَ من نقاط الجدارة. ولكن هل تعلم؟ أعتقد أن الحصول على نقاط جزاء على أشياء تافهة من هذا القبيل يقوِّض النظام بأكمله، ويدمِّر قدرة الجميع على تمييز الصواب من الخطأ. حتى لو كان أحدهم مخطئًا، فسيرفع صوته سخطًا واحتجاجًا، وحتى الشخص الذي لم يقترف شيئًا خاطئًا يمكن أن ينتهي به الأمر يبكي ويلوم نفسه.

يحذِّرني الناس من عدم الانحدار لما هو أدنى من الرتبة الثالثة. على ما يبدو، إنْ انحدرتَ إلى ما دون الرتبة الثالثة، يحدث شيء فظيع لَكَ، شيء مخيف جدًّا لدرجة أنه من الأفضل ألَّا تعرف أبدًا ما هو.

في كل مرة أتناول فيها طبقًا من الأرز في المقصف، يحدِّقون جميعًا إليَّ بوجوه مثل وجوه الكلاب الضالة المنهَكة. كل لقمة أتناولها تراقبها عشرات العيون. يحسبون حبَّات الأرز التي تَلِج فمي، ويعبسون في

وجهـي اشـمئزازًا مـن الغبـار الـذي ينبعـث مـن جسـمي المتَّسـخ. كل تلـك العيـون تعلـم أنـه لا بـأس في أن تكرهنـي.

أعتقـد أن القبطـان قـد فقـد عقلـه حقًّـا. كل يـوم يلقـي خطبـة لمـدة ثـلاث سـاعات أو أكـثر، ويقـول شـيئًا مختلفًـا في كل مـرة. حتـى مجـرَّد حديـث شـخص كل هـذه المـدة دليـلٌ كافٍ عـلى أنـه مجنـون.

الـشيء الـذي لا أفهمـه كيـف يطيعونـه جميعًـا بخنـوع. يـردِّدون جميعًـا في تناغُـمٍ إنـه في مثـل هـذه الأوضـاع التـي نمـرُّ بهـا، نحتـاج إلى شـخصٍ مثلـه ليقودنـا. لكـن مـن وجهـة نظـري، كلَّـما كانـت الأوضـاع أكـثر يأسًـا، كان مـن الأفضـل ألَّا يتـصرَّف أي شـخص بهـذه الشـاكلة إطلاقًـا.

يبـدو لي أن أكـثر مـا يريـده النـاس عندمـا يكونـون في مثـل هـذا الموقـف الصعـب هـو عـالم حيـث يمكنهـم بسـهولة تعذيـب النـاس، دون الشـعور بالذنـب. يحترمـون القبطـان ويبجِّلونـه لمجـرد أنـه يمنحهـم الفرصـة ليكونـوا قُسـاةً.

قبـل مـدة ليسـت طويلـة مـن بـدئي كتابـة هـذه الرسـالة، حـدث شيء غريـب جـدًّا.

عندمـا كانـت سـفينة الـركاب عـلى وشـك الإقـلاع مـن الأرض، لفَتَـت انتباهـي المناظـر الطبيعيـة البيضـاء المغطـاة بالثلـوج عـبر النافـذة. وكانـت السـفينة الشراعيـة الصغـيرة، العتيقـة والمتهالكـة، رابضـةً هنـاك بمفردهـا. كانـت بعيـدة جـدًّا، وكان الثلـج يتسـاقط بكثافـة لدرجـة أننـي بالـكاد كنـت أسـتطيع تمييزهـا. خطـر ببـالي أن السـفينة كانـت أشـبهَ برَجُـلِ ثَلـجٍ ضئيـل الحجـم. وفي تلـك اللحظـة، تغلَّـب عـليَّ فجـأة شـعور قـوي، فقفـزت صاعـدةً الـدرج. ركضـت نحـو الكـوَّة. لـو لم يمسـك بي النـاس، فربمـا كنـت سـأركلها مفتوحـة، وألقـي بنفـسي خـارج السـفينة.

لا أعـرف لمـاذا فعلـتُ ذلـك. شـعرت فقـط باشـتياقٍ جـمٍّ لتلك السـفينة الصغـيرة. لم أكـن أعـرف حتـى اسـمها، لكننـي اشـتقت إليهـا بشـدَّة، لدرجة أنـني اعتقـدت أنني قـد أموت.

رسالتها الـ 11

4 سنوات و8 شهور من بداية الرحلة

بعد (حوالي) 145 سنة بتوقيت الأرض

آسفة، لم أكن قادرةً على إرسال كلمة مدة طويلة. تخصيص وقت للكتابة يزداد صعوبة.

مثل وعاء من الماء يسخن تدريجيًّا حتى يغلي، يستمرُّ عبء عملي دون أن أدركَ ذلك حتى. ذات مرة، فَقَدَ أحد المشرفين أعصابه معي لكوني بطيئة جدًّا. عدَّدت كلَّ العمل الملقى على كاهلي، لكنه أخبرني فقط أن لا أكذب؛ كيف يمكن لشخص واحد أن يفعل كل ذلك؟!

هاجمني جميع الركاب وكأنني فشلتُ في إعادة شيء يخصُّهم. يشرحون، وهم ينفثون غضبهم فيَّ أن هذا واجب المواطن الصالح. من خلال توبيخهم لي، يدعِّمون ما يسمُّونه العدالة الاجتماعية ويحافظون على النظام السليم من منظورهم. يقولون أيضًا إن معاقبة شخص مثلي بمثابة ضرب مثال للآخرين.

أُصبحُ أضحوكةً إن حاولتُ المجادلة. من الواضح أن حقوق الإنسان وظروف العمل ليست سوى أنواع الأشياء التي يحبُّ المحرِّضون التَّشدُّق بها دون تطبيق فعلي. في الوقت الحاضر، أي حديث من هذا القبيل يُواجَه بالتَّهكُّم والاستخفاف. يبدأ الجميع في الوعظ بعبارة "في

مثل هذه الظروف"، لكنهم لا يتذكَّرون في الواقع متى أو كيف بدأت "هذه الظروف".

يتعيَّن علينا جميعًا من الرتبة الثالثة الإنصات إلى الأشخاص من الرتبة الأولى وهم يلقون الخُطَب لساعات وساعات كلَّ أمسية. إنه لأمر مدهش بالنسبة لي أنه رغم قدرتهم على إلقاء مثل هذه الخطابات المعقَّدة، فقدوا جميعًا رجاحة عقولهم في انسجام تام.

بدأ القبطان ودائرته الداخلية خطَّةً جديدة غريبة. قرَّروا أنه لم يَعُد من الممكن إنقاذ الأرض من خلال الطرائق الأخلاقية. يقولون إنهم سيرسلون إلى الأرض مجموعة من الأطفال الذين لم يتلقَّوا أي تعليم ويجعلونهم يتكاثرون (لم أصدِّق أذني عندما سمعت هذه الكلمة!)، حتى لا يعرف أيٌّ منهم كيفية القراءة أو الكتابة أو أيَّ شيء عن العلم. ثم بعد بضعة عقود، عندما يكونون قد شكَّلوا قبيلةً بدائية، ستنزل السفينة إلى الأرض بتكنولوچيا غامضة وتُبهِرهم بالمعجزات. بهذه الطريقة سيؤمن أبناء الأرض بأننا آلهة، ويخضعون لهيمنتنا. علاوة على كل ذلك، يقولون إنهم سيتركون تجليات "إلهية" استراتيچية ليكتشفها الأطفال، وبعد ذلك في غضون بضعة قرون سيطلبون منهم إعادة بناء مدينة قديمة مقدَّسة على أساس ذلك الوحي الإلهي.

في المرة الأولى التي اضطررت فيها للاستماع إلى كل ذلك، كان سخيفًا للغاية، ولم أستطع منع نفسي من الصراخ "يا له من هراء!" في منتصف الخطاب.

وهكذا نزلتُ إلى الرتبة الرابعة.

الرُّتبة الرابعة ليست فظيعةً كما كنت أخشى. مع أنني اضطررت للعيش في بطن السفينة لمدة شهر كامل. ما جاء بعد ذلك كان أسوأ. عندما عُدتُ، داهَمَت اللاجئاتُ غرفتي. طالبن بمعرفة سبب قيامي

بأشياء تلفت الأنظار إلينا، ممّا يجعل حياتهن المعذَّبة أسوأ حتى. أطلقن علَيّ اسم "عدو داخلي".

في تلك اللحظة تواصَلتُ مع "هون" لأول مرة منذ زمن طويل.

قالت: "أنتِ لا تبدين بحالة جيدة. عليكِ أن تأكلي على نحو جيد، وتنامين جيدًا".

أجبتها: "أتمنى لو أستطيع، يا هون. لكن هذا ليس خيارًا متاحًا الآن".

قالت "هون": "آه، طرائق العالم البشري!".

أردتُ أن أذكر حالةً تصبح فيها نجاة شخص واحد أولوية على نجاة الأغلبية. حاولت: "أمتلك نوعًا خاصًّا من الدم يمكن أن ينقذ البشرية من جائحةٍ تهدِّد حياة كلِّ شخص على وجه الأرض. وإنْ لم آكل شيئًا الآن، فسأمُت من الجوع".

عندما قلت ذلك، أصدَرَت "هون" ضحكة مكتومة جافَّة وقالت لي، "إثبات الأشياء التي تقولينها يغدو أصعب".

لذلك فكَّرتُ في شيء آخر.

"الأشخاص الذين يريدون مني إنجاز مَهمَّة التنظيف يستبعدونني، ولن يعطوني أي شيء لآكله".

عندئذ أجرت "هون" حساباتها لبرهة من الوقت، ثم قالت: "آها، فرضية أن الأغلبية قتلة جماعيون. في هذه الحالة، تختفي مسألة المصلحة العامة، وتُعطَى الأولوية للشخص الفاضل. هذه الفرضية يمكن أن تعمل". أضافت "هون": "سأنفِّذ أمركِ، هذه المرة فقط. لكن في المرة القادمة ستحتاجين إلى تقديم دليل".

أنا مُنهكَة جدًّا. من الأفضل أن أنام قليلًا لأنني سأكون مشغولة مرة أخرى غدًا.

عزيزي، أحاول عدم الانجرار إلى أي مشكلة.

أحاول حقًّا عدم التورط.

لأنه حتى لو فعلت، فلن أكسب شيئًا.

حتى لو كان هذا أقصى طاقتي، عندما نلتقي أخيرًا، أعتقد أنني سأكون قادرةً على إخبارك أنني عِشتُ حياة جيدة.

رسالتها الـ 12
5 سنوات و5 شهور من بداية الرحلة
بعد (ربما حوالي) 170 سنة بتوقيت الأرض

أنا في طريقي إليكَ.

حتى لو لم تَعُد في هذا العالم.

حتى لو وصَلَت حياتُكَ إلى منتهاها بهدوء، بعد أن جُبتَ في حقبةٍ ما من العالم في الماضي البعيد. حتى لو استقررت في مكان ما، وكوَّنت أسرة، وبنيت كوخًا صغيرًا، وعِشتَ بهناء، وكنتَ تقول لأطفالك من فينة إلى أخرى: "أتعلمون، كانت توجد امرأة أخرى في حياتي، كان يفترض بي زواجها. لكنها حنَثَت بوعدها ولم تحضر حفل زفافنا أبدًا"، ثم تموت بسبب الشيخوخة، تاركًا وراءك قبرًا صغيرًا.

ترقَّى أحد اللاجئين الآخرين إلى منصب يشبه حارس سجن. وظيفته الإشراف علينا جميعًا، والحصول على نقاط استحقاق إضافية كلَّما عذَّبنا أكثر.

في كل مكان في أرجاء السفينة، يتحدَّث الناس عن أشياء مثل "البقاء للأصلح". يبدو أنهم جميعًا يحبُّون عِلمَ الأحياء التطوري بشغف. غالبًا ما يقولون أشياء مثل "من الطبيعي أن يحصل القوي على المزيد، ويجب أن يرضى الضعيف بالأقل"، ثم يستطردون أنهم لا يمكنهم حماية حقوق ومصالح الركاب الفِعليِّين إلَّا من خلال انتزاع حقوق الركاب اللاجئين الذين يستقلُّون السفينة مجانًا مثلنا.

في الأيام التي يجزع فيها قلبي، أفكِّر فيكَ.

أفكِّر فيكَ وأنت تتجوَّل بجلبة في الورشة، وتتعرَّق بغزارة فيما تحاول صنع شيء ما، ثم تتوقَّف حتى تُريني عملك. الطريقة التي بدوت بها، واقفًا بشموخ، مزهوًّا بنفسك.

أو وأنت تتجوَّل في موقف الحافلات، وجهك مُلطَّخ بالزيت، ثم تبتسم ابتسامةً كبيرة بمجرد أن أترجَّل من الحافلة.

أفكر في جبهتينا تتلامسان، كلٌّ مِنَّا يبتسم للآخر بعد مطارحة الغرام في منتصف الليل، وكل النكات السخيفة والمحادثات الغبية التي نتشاركها.

أفكر كيف ستخبرني بأشياء على غرار أنه يمكنك سماع الموسيقى التصويرية لفيلم رومانسي في أذنيكَ عندما أكون معكَ، أو أن حقيقة وجودي في العالم تجعلك سعيدًا جدًّا لدرجة أنك لا تعرف ما يجب عليك فعله. ثم تُلِحُّ عليَّ لأخبرك بشيء لطيف كهذا أيضًا.

عندما أفكر في كل هذه الأشياء، أشعر أن حاضري كله متوهِّج.

مهلًا يا حبيبي، راودتني الآن فكرة مثيرة للاهتمام.

قالت "هون" إن برمجتها تستند إلى بيانات المرأة التي صنعتها. لذلك أحيانًا تبدو وكأنها المرأة نفسها. حتى أنها تدلي بتعليقات مثل "حسنًا، عندما كنتُ إنسانة..."، ثم تضيف "أعلم، أعلم، أنا آلة. ولكن يوجد احتمال ضئيل أن أكون شخصية بشرية أيضًا".

ماذا لو. فقط ربما، تحسُّبًا لـ... ماذا لو كان من الممكن حفظ شخصية إنسان؛ ما يجعل المرء شخصًا، على جهاز كمبيوتر... ولو كان من الممكن تسمية بيانات الإدخال هذه بـ"الشخصية البشرية"...

رغم أنه قد لا يوجد شيء اسمه الروح... إنْ كان من الممكن احتواء عقل الشخص وحفظه، بشكل أو بآخر، في صورة بيانات...

في هـذه الحالـة، ألا يمكـن اعتبـار هـذه البيانـات شـخصية ذلـك الإنسـانَ؟ أو شـظايا منهـا عـلى أقـل تقديـر.

لذلـك السـبب أرغـب في مواصلـة العيـش. حتـى أُبقيـكَ حيًّـا. حتـى أُبقيـكَ، أنـتَ يـا مـن أحببـتُ أكـثر مـن أيِّ شـخص آخـر في العـالم كلـه، حيًّـا.

لأن كل الأدِلَّـة والآثـار عـلى أنـك كنـت موجـودًا في العـالم، بداخـلي، لأننـي مـا تبقَّـى منـكَ.

أهمـس في حـين أفتـح عينـي مـع قـدوم الصبـاح: "شـكرًا لـك يـا حبيبـي". وأهمـس بذلـك عندمـا أخلـد إلى النـوم ليـلًا. أهمـس بذلـك إلى أنـتَ الـذي أحملـه بداخـلي.

شكرًا على كونِكَ معي. شكرًا لإعطائي هذا الدافع للعيش.

أنـتَ تبقينـي عـلى قيـد الحيـاة. أينـما كنـتَ الآن. سـواء كنـت ميتًـا أم حيًّـا، أو تسـافر في مـكان مـا في فضـاء شاسـع ومفتـوح.

عندما تصل السفينة إلى سرعة الضوء، يتباطأ كل شيء.

تلاشـت الجاذبيـة الناتجـة عـن التَّسـارُع وطَفَـا النـاس في أرجـاء السـفينة مثـل البالونـات. عـلى مسـار الضـوء، يتوقَّـف العنـف والمضايقـات مؤقَّتًـا. يتطلَّـب لَكْـمُ أحدهـم في وجهـه قَدَمًـا ثابتـة عـلى الأرض، لكـن بـدون الجاذبيـة، لا توجـد طريقـة لتوجيـه ضربـة عنيفـة. مـع عـدم وجـود قـوة احتـكاك، لا يمكـن حتـى لأَمْتَنِ يَـدٍ إمسـاكُ ياقَـةٍ أحدهـم حتَّـى. ولـو ضربـتَ أحدهـم، فسـترتدُّ إلى الـوراء بسـبب انعـدام الجاذبيـة، وسـتطير وقـد فقـدتَ توازنـك أيضًـا.

النـاس الذيـن طالمـا كانـوا قُسـاةً وعصبيِّـين يرفرفـون في الأرجـاء بـلا حـول ولا قـوة كأوراق شـجر ميِّتـة.

حتى وهم يصرُّون على أسنانهم، ينتظرون الوقت المناسب، ويؤجِّلون أي رغبة في المضايقة حتى تسري الجاذبية مرة أخرى.

وغرفتنا، التي عادة ما تكون ضيِّقةً لدرجة يمكن أن تنفجر، تصبح واسعة مثل ملعب رياضي. لست بحاجة إلى قطعة أرض لكي أستلقي وأنامْ عليها. كل شيء طافٍ، كل ما عليَّ فِعلُه هو العثور على بقعة قرب السقف أو مقابل الحائط وأنام بشكل مريح كأنني في فندق فاخر.

يا عزيزي، أتعلم ماذا؟ الأطفال الذين يولدون على متن السفينة لا يرون الأرض موطنًا لهم. هذا البحر من النجوم هو موطنهم. يشعرون بالارتباك عندما تهبط السفينة، ويسألون البالغين لماذا أصبح الزمن صعبًا وجامدًا على الأرض.

يعتقدون أنه في كل مرة يستيقظون، يجب أن يختفي كل شيء أو يتغيَّر. عندما يفتحون أعينهم في الصباح، وأي شيء كان خارج النافذة بالأمس لا يزال موجودًا، والسماء التي رأوها بالأمس هي نفسها؛ يشعرون جميعًا بالارتباك.

عزيزي، أعتقد أنه كان لديَّ الكثير من الوقت للتفكير، لكنني قرَّرتُ شيئًا.

إنْ أنجبتُ طفلًا يومًا ما، أريده هنا على مسار الضوء هذا. في هذا المكان حيث حتى ما هو قويٌّ وشَرِسٌ يصبح هشًّا وناعمًا مثل الفقاعات. في هذا المسار، حيث يتدفَّق الزمن ويبتعد مثل شعاع ضوء.

بهذه الطريقة لن يفقد الطفلُ وطنه أبدًا.

لـن يكـون لـدى طفلنـا أي شيء يمكـن أن يخـسره. لـن يدمِّـر نفسـه، ويخـرب العـالم وهـو يحـاول اسـتعادة مدينـة مفقـودة، مثـل قبطـان هـذه السـفينة وركّابهـا.

لـن يفقـد منزلـه، لأن طريـق النـور هـذا سـيكون المـكان الـذي أتـوا منـه.

دعنا نحاول ذلك على الأقل... لو كُتِب لنا اللقاء.

رسالتها الـ 13

(غالبًا) 6 سنوات و10 شهور و20 يومًا من بداية الرحلة

توقيت الأرض مجهول

كان اليوم العشرين منذ أن بدأت السفينة عملية التباطؤ. حالما نترك مسار الضوء، أكون دائمًا في حالة عصبية قَلِقَة. الجاذبية تدفع الناس إلى الطَّيش.

رأيت ثُلَّةً من الرجال يجرون لاجئًا من غرفته بعد إطفاء الأنوار.

كان الرجل يقول لمدة من الوقت إنه يريد الهبوط من على متن السفينة، لكنهم بدؤوا عمدًا شيئًا مريبًا معه في منتصف الطريق عبر الفضاء. اتَّهموه بالرغبة في الفرار دون دفع فاتورة كل المساحة والوقت اللذين شغلهما في السفينة، ونصيب الإمدادات الغذائية الثمينة التي كان يلتهمها خلال المدة التي قضاها على متن السفينة. لم أستطع فهم ذلك. ألم يكن هذا بالضبط ما أراده منَّا هؤلاء الناس؟ أن نغادر السفينة؟

في الظلام، كل ما استطعتُ سماعه هو تعرُّض أحدهم للضرب، وفي لحظة مُعيَّنة، تواتَرَت الصرخات المصاحبة للضرب، وأصبحتُ أكثر رعبًا حتى. بينما كنت أرتجف في الفراغ بين الأسِرَّة، أمسكت المرأة التي تحكُم غرفتنا بيدي الجليدية وقالت: "اذهبي وتواريْ عن الأنظار في

مكانٍ ما الآن. سيكونون أكثر هدوءًا في الصباح، ما أن يناموا ويتناولوا وجبةً ساخنة".

أعطتني إحدى الفتيات حفنةً من الأرز غير المطبوخ. أخبرتني أن أقضمها في حالة اضطررت للبقاء مختبئة مدَّةً طويلة؛ فهذا من شأنه أن يخفِّف عضَّة الجوع.

وهكذا اختبأت. كل هذا الوقت الذي أمضيته في تنظيف كل شِبرٍ من جوف السفينة كان يستحقُّ شيئًا في نهاية المطاف. مثل الفأر، زحفت إلى ممرٍّ صغير لمحته من قبل، وسلكت طريقًا لا يعرفه أحد غيري، قادني إلى غرفة آلات ملأى بالأسلاك والأنابيب. كان المكان مكتظًّا وخانقًا بالداخل لكن النوم داهمني من شدَّة التعب.

عندما فتحت عيني، كنتَ هناك معي. كنتَ في حالة من الفوضى. كان شَعرُك مثل عشٍّ طائر عقعق، وملابسك ممزَّقة.

بينما أداعب شعرك، أخبرتك: "ما مغزى كل هذا؟ لا تُكلِّف نفسك عناء الاغتسال حتى فقط لأن زوجتك ليست في الجوار!".

وبالطريقة نفسها، أمسكتَ بوجهي المصاب بالكدمات، ويديَّ المخدوشتَيْن، قائلًا: "كيف حدث كل هذا لكِ؟ لماذا تركتِ نفسك تتأذين هكذا؟ ما فائدة وجود زوج إنْ لم تستدعيه لدعمك في مثل هذه الأوقات؟ هذا هو بيت القصيد من الزواج".

وبعد ذلك بدأت تسرد أعذارك لعدم الاغتسال. أخبرتني أن سفينتك صغيرة جدًّا لدرجة أن خزان المياه ليس أكبر من حجم ظفر. ثم فرَّجتَني على ذلك الحمام بحجم الظفر، وشرحت بفخر عظيم كيف صنَّعت الماء مُستَخدِمًا صيغة كيميائية معيَّنة. وانتظرتَ مني أن أشيد بك على ذلك.

ثـم سـألتني: "مَـن الـذي يمكـن أن يكـره حبيبتـي الجميلـة ويؤذيهـا؟"؛ لذلـك قلـتُ إنـه لا مفـرَّ مـن حـدوث ذلـك، أننـي لاجئـة ومهاجـرة وراكبـة بالمجـان... أننـي آخـذ طعامًـا ومسـاحة نـوم مـن هـؤلاء الأشـخاص؛ لـذا عـليَّ أن أصبر وأتحمـل.

عندئذ اتَّسَعَت عيناك وسألتني: "ماذا تقصدين بـ'لاجئة'؟".

مع هذه الكلمات، استيقظت.

اخـترق طنـين الآلات أذني. كانـت البراغـي والأسـلاك تضغـط عـلى جسـدي. كانـت الرائحـة الكريهـة المعدنيـة تجعـل التَّنفُّـس صعبًـا. أدركـت أن نظـام التكييـف وأجهـزة تنقيـة الهـواء في السـفينة كانـت آخِـذَةً في العطـب.

"مـاذا تقصديـن بـ'لاجئـة'؟" كلماتـك تـدور في ذهنـي. فجـأة، بـدا كل شيء غريبًـا.

آه، فكَّـرتُ، لا بُـدَّ أنـه كان حلـمًا. حلـم كنَّـا فيـه متزوِّجـين. وتمكَّنَّـا مـن تأسـيس منـزل لنـا في بيـت ريفـي صغـير. لا بُـدَّ أن النـوم غلبنـي وأنـا معك، ورأيـت حلـمًا غريبًـا. كابوسًـا فظيعًـا لم تكـن فيـه بجـواري، واضطـررت إلى العيـش محشـورة مـع أنـاس سـيئين وعنيفـين، قلوبهـم تنضـح بالغـلِّ.

عـدتُ للنـوم. في غرفـة صغـيرة بحجـم الظفـر، مـرة أخـرى، كنـتَ أنـت تحـاول إصـلاح شيء مـا.

"انظـري لهـذا؟" أشرتَ. "هنـاك ثَقـبٌ في السـقف. يجـب أن أتأكَّـد مـن عـدم تـسرُّب المطـر" أضفـتَ وأنـتَ تمسـح العـرق عـن جبينـك.

كنـت أعلـم أن هطـول المطـر سـيكون آخـر مـا يقلقـك إن كان هنـاك بالفعـل ثَقـبٌ في سـفينة الفضـاء، ولكـن نظـرًا لأنـه كان حلـمًا، فقـد قـرَّرتُ ألَّا أكلِّـف نفـسي عنـاء الإشـارة إلى تلـك الحقيقـة.

سألتني مجدَّدًا: "ماذا تقصدين بـ'لاجئة'؟".

أطلقتُ تنهيدة عميقة. "إنه شيء هنا. لم أبدأ رحلتي على هذه السفينة. صعدت على متنها لاحقًا؛ لذا...".

"ماذا تفعلين هناك؟" مَدَدتَ يدكَ إليَّ. "اخرُجي من وسط هؤلاء الحمقى". لمعت يدكَ الخشنة في الظلام. "هؤلاء الناس مترسِّخون في الماضي. لم يكبروا ولم يشيخوا يومًا. لا تمكثي حول أناس مثلهم".

هززتُ رأسي، وقد تملَّكني الخوف.

لا أستطيع. أنت لا تعرف. لا يمكنني البقاء على قيد الحياة لو غادرتُ هنا. هذه السفينة هي الحضارة الوحيدة الباقية. مع أسرَّةٍ ومراحيض وحمامات وأجهزة إلكترونية...

واصلتَ، "عليكِ أن تخرجي من هناك. لا تَعلَقي في الماضي. أنتِ تنتمين معي، أنتِ تعرفين ذلك. علينا أن نشيخ معًا. علينا أن نمضي السنوات معًا".

عندها فقط فتحت عيني. رجعت حقًّا إلى صوابي. كنت أعرف بوضوح ما يجب عليَّ فِعلُه تمامًا مثل الشمس.

بعد ذلك، احتدم خوفي مثل سدول الظلام، لكنني هدأت بسرعة كافية. كما ترى، لم أكُن متأكِّدةً من قبل أبدًا في حياتي ممَّا يجب أن أفعله.

لا تقلق يا حبيبي. أنا قوية.

بعد كل شيء، أنا لست وحدي.

لأنك جزء مني؛ ممَّا يعني أنني -طوال هذا الوقت- لم أكن وحيدةً ولو ثانية واحدة. كنت دائمًا معكَ. أنا معكَ الآن أيضًا؛ ولهذا أنا قوية.

أنا لست لاجئة أو مهاجرة أو راكبة بالمجان، أو حتى مجرد امرأة.

أنا امرأتك. أنا امرأة الرجل الذي اخترتُه.

لذلك أنا قوة لا يُستهان بها.

لأنني أحبك كثيراً، ولأنني الشخص الذي أحببتَه أنتَ. أنتَ، الذي أحبه أكثر من أي شيء آخر في العالم، أحببتني. أحبني أعزُّ شخصٍ عندي.

أنا شريكة للشخص الذي اخترته ليكون شريكي، أنا رفيقة الشخص الذي اخترت أن يكون رفيقي، أنا أحبُّ الرجل الذي قرَّرتُ أن أحبه بقية حياتي.

هذه نوعية الإنسانة التي أنا عليها؛ ولهذا أنا قوية. سترى يا حبيبي. سترى بالضبط ما سأفعله.

انظر كم أنا امرأة قوية.

رسالتها الـ 14

زحفتُ على امتداد نظام التهوية ثم هبطت داخل غرفة التحكُّم في السفينة. كان طريقًا لا يعرفه إلا شخصٌ انحدر إلى الرتبة الرابعة.

عندما وصلتُ إلى غرفة التحكم، سمعت أزيز صوت "هون" المنبعث عبر قارئ الكتاب الإلكتروني.

"انقضى وقت طويل. هل طرأ جديد؟" سألتني بصوت بُرمِج حتى يبدو ناعسًا، رغم أنها ذكاء اصطناعي؛ لا تحتاج إلى النوم.

قلت: "جئت إلى هنا لأعطيكِ أمرًا. وسيكون لهذا الأمر أولوية على أوامر كل شخص آخر على هذه السفينة. بمجرد أن أعطي أمري، لن تكون هناك طريقة للتنصل منه، بغضِّ النظر عمَّن قد يحاول إعطاءكِ أمرًا مختلفًا".

بدت "هون" مفتونة بالفكرة. "هيًّا إذًا، جرِّبي".

كان بإمكاني سماع الركاب يتحرَّكون هنا وهناك خارج غرفة التحكم. استيقظوا على صوت حديثنا أنا و"هون" الذي كان يُبثُّ من خلال مكبِّرات الصوت في جميع أنحاء السفينة. شغَّلت الميكروفون لأنني أردت أن يسمع الجميع هذا الاحتجاج، احتجاجي الأول والأخير.

من الخارج جاء هدير الأحذية الثقيلة وهي تقترب، ثم جلجلة الباب وهو يُضرَب بغية إسقاطه. كنت أعلم أن الباب سيصمد

مـدَّةً كافيـة. مدفوعًـا بوساوسـه؛ كان القبطـان قـد عـزَّز البـاب بطبقـات متعـدِّدة.

أخـبرت "هـون" أن سـفينة الـركاب كانـت تتدخَّـل في التعـافي الطبيعـي لـلأرض. كان هـؤلاء النـاس يسـتعدُّون حتـى ينصِّبـوا أنفسـهم آلهـة مجنونـة، وطالمـا اسـتمرَّت هـذه السـفينة في الإبحـار، فسـتلحق ضررًا كبـيرًا بتاريـخ البشريـة.

قلـت إنـه لم يكـن يعـود بـأي نفـع عـلى الـركاب أيضًـا، لأنهـم يريـدون العـودة إلى وطنهـم، لكـن هـذا المـكان قـد اختفـى منـذ زمـن طويـل.

قالـت "هـون": "هـذه فكـرة محفِّـزة للغايـة. بالطبـع، تـأتي المصالـح الفضـلى للبشريـة جمعـاء قبـل أي شيء آخـر. لكـن المشـكلة لا تـزال قائمـة: كلَّـما كان أسـاس الادِّعـاء أكـبر؛ كان التَّحقُّـق منـه أصعـب. لا يمكنـك البحث عـن كل شـخص عـلى قيـد الحيـاة عـلى الأرض وجعلهـم يوقِّعـون عـلى اسـتمارات الموافقـة. في النهايـة، كل هـذا لا يعـدو كونـه تفكـيرك الخـاص".

"والـركاب عـلى هـذه السـفينة هـم مهاجِمـيَّ. كانـوا يقتلوننـي ببـطء. وأنـا الآن سـوف أمـوت حقًّـا". قلـت وأنـا أسـمع البـاب يرتـجُّ تحـت وطـأة الضربـات المتعاقبـة.

"أنـا موافقـة. هـذا شـبه مؤكَّـد. يـا لـه مـن عـار حقًّـا. لكـن العلاقـة بـين هـذه المشـكلة والسـفر المسـتمر عـبر الفضـاء غـير واضحـة. حسـنًا... إذا أخذنـا المعطيـات كلهـا بالاعتبـار، ربمـا تسـتحق التفكـير فيهـا. لكـن هـذا كل مـا في الأمـر". تابَعَـت "هـون": "كـما تعلمـين، فكَّـرتُ في الأمـر كثـيرًا. هنـاك مشـكلة جوهريـة في هـذه اللعبـة. مهـما كانـت صيغـة الأمـر المذهلـة التـي قـد تتوصَّلـين إليهـا، سـينتهي الأمـر دائمًـا بشـخص آخـر يفكـر في شيء يتفـوَّق عليـه. وحينـذاك سـوف يُبطلـون أمـركِ".

"كلا. ليس هناك أمر أعظم من الأمر الذي سأعطيه لكِ الآن".

عند سماع كلماتي، أصدرت "هون" ضحكة رقيقة. "لم أكن أعلم أنك عنيدة جدًّا".

"سأموت قريبًا. وبمجرد رحيلي، سيصبح الأشخاص الوحيدون الذين يمكنهم إعطاءكِ الأوامر هم ركاب هذه السفينة، وجميعهم معتدون. لا يمكن أبدًا وضع أوامر المعتدي في كفَّةٍ واحدة مع أمر الضحية؛ ولذا لن يكون هناك أمر آخر أعظم من هذا".

هدأت "هون" للحظة. بعد برهة، قالت: "هذا بُعد نظر ثاقب، لكن أوامر الأشخاص الأحياء فقط هي التي تكون فعَّالةً معي. لا يمكنك منعي من تنفيذ أوامر الآخرين عندما تموتين".

"بلى، أستطيع. لأنني سأعطيكِ أمرًا لا يمكن لأحد إبطاله".

"هذا ليس ممكن..." بتَرَت "هون" عبارتها. ثم تناثَرَت أصوات النقر الصادرة من قارئ الكتاب الإلكتروني لبرهة طويلة، كما لو كانت "هون" قد تباطأت بسبب إجرائها حسابات. "فهمت. ليست الرحلة الشيءَ الذي تحاولين إيقافه".

"صحيح... إن وافقتِ عليه".

بدا الأمر كما لو أن "هون" تجري حسابات جديدة، ثم بعد لحظة، أجابت:

"اقتنعتُ. هيا امضي قُدُمًا، وأصدري الأوامر".

وهكذا، نطقتُ بالأمر: "أوقفي عمليات الملاحة، يا هون. من أجل الإنسانية والركاب على متن هذه السفينة، ومن أجلي، شخص واحد. توقفي عن العمل".

انفتح الباب في اللحظة نفسها تقريبًا التي أكمَلَت فيها "هون" حساباتها. تدفَّق الناس إلى غرفة التَّحكُّم عندما أجابت "هون": "الأمر مقبول"

استدرت لأرى الباب وقد تحطَّم إلى أشلاء. ثم بدأت كل الأضواء في غرفة التحكم في الانطفاء، ضوء تلو الأخرى. حلَّ الظلام ببطء على وجوه الرجال الذين دخلوا، مُشهِرين البنادق. مع عدم وجود ملَّاح، خرجت السفينة عن السيطرة فورًا. كانت مجرَّد قذيفة عائمة. سوف تطفو السفينة إلى الأبد في الفضاء. لا يمكن أبدًا الرجوع إلى الأرض مرة أخرى والنظر بغطرسة من السماء والتلاعب بالأشخاص الذين يعيشون وأقدامهم على الأرض... على الأقل تلك كانت الفكرة.

بالطبع، سيصبح جسدي قريبًا عبارة عن قرص عسل من ثقوب الرصاص، لكن لا فرق.

لم أكن خائفة. فقط حزينة.

ليس بسبب موتي الوشيك، لكن حزينة لأنك ستختفي معي. كان من المفترض أن أبقى على قيد الحياة حتى أُبقِيكَ على قيد الحياة.

اندفع القبطان إلى الداخل، مُنحِّيًا جنوده جانبًا. كان وجهه صلبًا لدرجة أنه لم يتراء لي بشريًا. كان الأمر كما لو أنه سيصبح إنسانًا خارقًا، تمامًا كما كان يتمنَّى. واستطعت حينئذٍ أن أرى أن كونك خارقًا لا يمكن أن يكون شيئًا حسنًا أبدًا.

خطَرَت لي فكرة فجأة، وكنتُ على يقين من أنه لا بُدَّ وأنها صحيحة. أن أيًا من الرسائل التي أرسلتها لك لم تغادر السفينة. ومن المنطلق نفسه، لا بُدَّ أن هذا الرجل قد اعترض جميع الرسائل الواردة منك إلى السفينة وحال بيني وبين قراءتها.

وأنه قد فعل ذلك ليس لأنه يكرهنا، ولكن فقط لأنه يستطيع ذلك.

صوَّب القبطان بندقيته نحوي.

وقفتُ هناك، منتظرةً عندما انفجر شيء قرمزيٌّ خارجًا من جبهته بقوة دفع غريبة. انهار القبطان مثل شجرة قديمة جافَّة.

عندما تنحَّى الجنود بتردُّد، رأيت المرأة التي كانت تترأَّس غرفتي من ورائهم، تحمل مسدسًا يتصاعد منه دخان.

بخطوات واثقة، شقَّت طريقها متجاوزة الجنود إلى داخل غرفة التحكم. تبعتها الفتيات في حشد صغير، كل واحدة تمسك كومة من الأوراق أو مِعْدَادًا فوق صدرها. انتشرن في أرجاء غرفة التَّحكُّم مثل السناجب، وأخذن أماكنهنَّ. أدركت أن كل واحدة من أولئك الفتيات كانت مكوِّنًا يشكل جزءًا من نظام ملاحة بشري، وأنهن معًا يمكنهن القيام بعمل ملاحة الذكاء الاصطناعي.

كنت على يقين من أنني سأموت في أثناء تنفيذ العملية، لكنني لم أستطع منع نفسي من التفكير فيهنَّ ببصيص من الأمل بينما كنت أعمل على وضع خطتي.

تحدَّثَت رئيسة غرفتنا بلباقة في الميكروفون، وكان صوتها يتردَّد عبر مُكبِّرات الصوت: "الأشخاص الوحيدون القادرون على تحريك هذه السفينة الآن هُنَّ أنا وفتياتي. إذا أُصيبَت أي واحدة منَّا أو قُتِلَت أو لم تستطع العمل بأي طريقة أخرى، فلن تذهب السفينة إلى أي مكان. في حالة فهمكم ما قلته، فمن الآن فصاعدًا ستتبعون جميعًا تعليماتنا".

فهم الناس على الفور. لم يسعهم إلا أن يفهموا.

قالت القبطان الجديدة إنهم سيسافرون إلى المستقبل، بعد مائة ألف عام من الآن. قالت إن هذا كان من أجل ردع رغبات الإصلاحيين التَّوَّاقين إلى استعادة الماضي. وأضافت أن أي شخص لا يريد الذهاب إلى هناك، يمكنه النزول من السفينة.

لكـن حتـى بعـد وصولنـا إلى الأرض، لم ينـزل أحـدٌ. اسـتطعت أن أقـول عندئـذ إن سـفينة الـركاب نفسـها قـد أصبحـت وطنهـم، وأنهـم سـوف يتجوَّلـون إلى الأبـد في هـذا المسـار الغريـب.

قلـت إننـي سـوف أنـزل. شرحـتُ أنـه لـو ذهبـتُ بعيـدًا في المسـتقبل، فلـن يكـون لـديَّ أمـل في لقـاء رَجُـلي. نظـرت إليَّ القبطـان الجديـدة بنظـرات متفحِّصـة، وقالـت: "حسـنًا، إذن". حاوَلـتُ أن أشرح أكـثر قليـلًا، لكنهـا اكتفـت بالقـول: "نعـم، لقـد سـمعتكِ".

أمسَـكتُ بالقـارئ الإلكـتروني، الـشيء الوحيـد الـذي مـا زلـت أملكـه مـن بدايـة الرحلـة، وخطـوت خـارج السـفينة. شـكَّل النـاس صفَّـين عـلى جانبـي طريقـي، ووقفـوا يراقبـون وأنـا أعـبر أمامهـم.

كنـت أمـرُّ بالكثيريـن مـن النـاس، لكـن غابـت عبـارات السـخرية أو التوبيـخ المعتـادة عـن المشـهد. كانـت تجربـةً غـير مألوفـة.

كان يومًا صحوًا.

نزلـت عـلى الشـاطئ. مشـيت عـلى الرمـال الدافئـة بقدمـين عاريتـين. غسـلت وجهـي بميـاه البحـر، واسـتطعمتها مـع بعـض الأعشـاب البحريـة. سـطع ضـوء الشـمس عـلى جسـدي مثـل مسـحوق ذهـب.

كنت أخيراً وحدي.

عانقتُ نفسي بشدَّة وبكيت.

أنا وحيدة أخيراً. أنا وحدي، والآن أصبحت الأرض كلها ملكي

بيتي.

انتشَرَت مجموعة كاملة من التماثيل والآثار بجوار الشاطئ.

كل شيء شـيَّده القبطـان السـابق في سـبيل خطَّتـه لاسـتعادة عالمـه. هـا هـو حَجَـرُ النُّبـوَّة الـذي نُقِـش عليـه أن الـرَّبَّ سـينزل يـوم القيامـة في

يـوم كـذا وشـهر كـذا، وكان هنـاك مُخطَّـط لمدينـة أيضًـا، تُـرك هنـاك حتـى يعمـل أبنـاء الأرض وفقًـا لـه مـع بدايـة مرحلـة البنـاء.

الآن بعــد أن نزلــتُ مــن الســفينة، تــراءت لي كلُّ هــذه التصاميــم العظيمــة ســخيفةً، لدرجــة أننــي لم أســتطع تحمُّــل التفكــير فيهــا.

عـثرت عـلى عصـا، ومزَّقـتُ شريطًـا مـن القـماش مـن ملابـسي، ولففتـه حــول نهايتهــا، ثــم غمزتهــا في خــزان الغــاز لســيارة چيــب محطَّمــة، وصنعــت مِشــعَلًا.

أضرمت النار في الميناء الفضائي.

انتـشرت ألسـنة اللهـب بفعـل الريـح، وتطايَـرَت في كل الاتجاهـات. بـدأت في الابتعـاد عـن الميـناء المحـترق، وعندمـا نظـرت إلى الـوراء، كانـت السـماء مُضـاءة باللـون الأحمـر السـاطع، كـما لـو كانـت مصبوغـة بالـدم.

لن يستغرق وقتًا طويلًا.

بعـد عـشر سـنوات، لا، حتـى بعـد عـام واحـد فقـط مـن الآن، كل أثـر للنـار، كل أثـر لنـا سـيختفي. كل شيء سـيتداعى تحـت وطـأة المطـر والريـح. والأشـجار والنباتـات الناميـة دون عائـق، سـوف تغطِّـي كل شيء. والحيوانـات سـترعى وتمـرح وسـط الضبـاب الـذي سـيتدفَّق مـن الغابـة.

رسالتها الـ 15

3 سنوات و3 شهور منذ نزولي على الأرض، علاوة على الـ 6 سنوات و11شهرًا من بداية الرحلة

حلمت بكَ لأول مرة منذ زمن بعيد.

كان الحلم جَليًّا جدًّا، لدرجة أنني كنت واثقة من أنه حقيقي. كنتَ محاصَرًا في غرفة ضيقة ومظلمة. بدا الباب محطًّمًا. كنت توجِّه تركيزك كله إلى محاولة إصلاحه. ساورتني السعادة لرؤيتكَ، واقتربت وأمسكت بيدكَ. استدرت حتى تنظر إليَّ.

حدَّقتَ في وجهي فحسب مدة طويلة، دون أي تعبير. ثم رسمتَ وجهًا حزينًا وسألتني لماذا تركتكَ بمفردك طوال هذه المدة.

قلتُ، نادمة: "لم أتركك أبدًا. كنت معكَ طوال الوقت. كنت معكَ طوال الوقت".

"حسنًا، أين أنتِ إذن؟" سألتني وأنتَ تهزُّ رأسك. "أنتِ لستِ هنا. لو كنتِ كذلك، لكنت ستأتين لمقابلتي".

عندئذ فتحت عينيَّ.

عندما فتحت عيني، كنتُ مستلقية في منتصف الكنيسة، على أرضيَّة قاعة زفافنا. وفكَّرت، أوه لا! ماذا عليَّ أن أفعل؟ عريسي غاضبٌ

منـي. حسـنًا، أعتقـد أنـه أمـرٌ منطقـي. هـذا يـوم زفافنـا، وانتهـى بي الأمـر متأخِّـرة.

رفعــت رأسي ونظــرت إلى الحائــط. كان مُغطًّــى بجميــع قصاصــات الــورق التــي كنــتُ أعلِّقهــا عــلى مَــرِّ الســنين.

أقدَمهــا كانــت مــن أول مــرة رجعــت فيهــا إلى الأرض. مــرت مئــات الســنين عــلى الأرض منــذ ذلــك الحــين. ثمَّــة رســالة علَّقتهــا أمــس أيضًــا. وعــلى جانــب واحــد مــن الجــدار، عبــارة رســمتها بــرذاذ الطــلاء.

مــاذا بحــقِّ الجحيــم تفعلــين هنــا؟ لقــد رحــل! لا بُــدَّ أنــه قــد مــات قبــل مليون ســنة.

لا أســتطيع أن أتذكَّــر متــى كتبــتُ ذلــك. مــا الــذي جعــل اليــأس يتســلل إليَّ مــن جديــد؟ كانــت مجــرد حقيقــة بســيطة. جثَــوتُ عــلى قدمــي، وســحبت الســتارة عــلى طــول الجــدار قليــلًا؛ لأغطِّــي الكتابــة التــي رســمتُها عليــه، وأنــا أفكِّــر: مَــن الــذي أحــاول إخفــاء هــذا عنــه، عــلى أيِّ حــال؟ بالــكاد اســتطعت قمــع ضحكــة.

كنــت أكتــب ملاحظــة جديــدة لــك عندمــا شــعرت فجــأة بــشيء يتدفَّــق عــبر جســمي، ويخــرج منــي. فكَّــرت أن ذلــك غريــب، فنظــرت إلى أســفل لأرى مــا يحــدث.

بــدا الأمــر وكأن ثقبًــا صغــيرًا ظهــر في بقعــة مــا في جســدي. كان أنــتَ، وقــد تحطَّمــتَ إلى جزيئــات دقيقــة مثــل ذرَّات الرمــال، تتدفَّــق خــارج منــي ولســان حالــك: "أنــتِ لســتِ هنــا!" ولم يكــن بإمــكاني فعــل شيء للســيطرة عــلى ذلــك.

بينما أشاهد وأنت تغوص في الأرض وتختفي، أدركت:

آه، هذا أقصى ما يمكنني تحمُّله.

كنتُ قويَّةً، كنتُ متماسكة، لكن رغم ذلك، لم أستطع التحمل إلا بقدر معيَّن.

لم أشعر بأي ندم. لطالما كنت أبذل قصارى جهدي، وكان ذلك كافيًا.

أسقطت الملاحظة التي كنت على وشك تركها لَكَ، وخرجت. دُستُ بقدمي على اللحاف الذي صنعته عن طريق حياكة القصاصات معًا، وركلت الأطباق والقدور التي جمعتها هنا وهناك في أرجاء المدينة، بينما أتحسَّس بيدي الصور التي علَّقَها أصدقاؤك على الباب. أدرت مقبض الباب الذي أصلحته حديثًا، وتركتُ خلفي السقف الذي رمَّمتُه بعد انهياره أثناء إعصار سيئ.

ووضعت وراء ظهري المرأةَ التي بذلت قصارى جهدها لتعيش كل يوم بقدر استطاعتها. ووضعت وراء ظهري اللحظات الثمينة عندما اعتنيتُ بكَ بداخلي.

مشيت في المدينة المتداعية والمنهارة بمفردي.

كان الطريق السريع مثل ممرٍّ جبلي. نصف المسافة كان منهارًا، ونصف المسافة الأخرى، ينحدر صاعدًا إلى أعلى. غطَّت أوراق الشجر الذابلة دربي، وقفزت زمرة من الضفادع الحمراء من بِركةٍ ضخمة مثل بتلات زهور في مهبٍّ ريحٍ. وكان ثمة صف من الطيور الداكنة تربض فوق سلك متدلٍّ من عمود مَرافِق نصف منهار. رفرفت إلى أعلى جميعًا وابتعدت مع اقترابي. وكانت نباتات طويلة تنمو خصبة من الفجوات في الأسفلت المتكسر. البذور التي حبست أنفاسها، واختبأت بعيدًا عن الأنظار بينما كان هذا المكان يعجُّ بالسيارات والناس، كانت جميعها مزدهرة الآن، وكأنها أوركسترا حياة مهيبة.

تآكل نعل حذائي الأيمن وجعلني أسير وأنا أعرج؛ لذلك خلعت فردتي حذائي، ومشيت فوق الأسفلت الرطب بقدميَّ العاريتين.

لم تبقَ أي أفكار في رأسي، لكن كان من الواضح أين يجب أن أذهب. إن كنت سأذهب، كان هذا المكان الوحيد.

وصلت إلى الميناء الفضائي.

كان مغطًّى بغابات كثيفة. كان البحر بلون السماء، وكانت السماء بلون البحر. كما لو أن السماء تسيل في المياه، وتنصهر معها، كان الأفق ضبابيًّا لدرجة أنني شعرت بأنني أقف في عالَمٍ كامل من الزُّرقة الغامقة. على طول الواجهة البحرية على مبعدة، كانت المباني المتداعية ترقد منبطحة مثل صفٍّ من هياكل الديناصورات المتحللة.

خطوت داخل المياه، وخطر ببالي أنه، ربما تكون قد تطايرتَ بعد تحلُّل جسمك إلى مكانٍ ما في هذا البحر. سواء كنتَ قد تحوَّلتَ إلى غبار، أو رماد، أو ريح.

توغَّلت شيئًا فشيئًا داخل مياه البحر الباردة.

عندما قطعت مسافة معقولة، إلى حيث كانت الأمواج تزداد ثقلًا، وبات من الصعب عليَّ التَّنفُّس أو الوقوف، ارتطمت موجة عالية بجسدي ورفعتني إلى أعلى.

عندئذ فقط، سمعت موسيقى تصدح من بقعة ما.

أغنية حب.

لحن موسيقى بوب قديمة كانت رائجةً في فترة زمنية معينة، في الماضي حين كانت الأرض تعجُّ بالبشر. فكَّرتُ أنني لا بُدَّ أسمع أشياء. أنني لا بُدَّ أهلوس أيضًا لأن الأغنية تصدر عن خاتم يطفو تجاهي في الماء، أمام عيني مباشرة.

خاتم يمكنه تشغيل الأغاني! ماذا بعد؟

فكَّرتُ: لا بُدَّ أن الناس قد صنعوا بعض الأشياء الغريبة.

أمسـكتُ بالخاتـم في يـدي وكنـتُ أنظـر إليـه، عندمـا لمحـت برُكـنِ عينـي المزيـدَ مـن الأجسـام فـوق سـطح البحـر تدنـو منـي.

في البدايـة، افترضـتُ أنهـا مجـرد قمامـة. كانـت المـواد البلاسـتيكية التي أُلقِيَـت في المحيـط منـذ قـرون مـا زالـت تنجـرف عـلى طـول الشـاطئ طيلة الوقـت. لكنهـا بَـدَت أشـبه بأنقـاض شيء أضخـم، شيء مُحطَّـم.

مثل بقايا سفينة.

بقايـا مركبـة فضائيـة صغـيرة مهترئـة حلَّقَـت في الفضـاء قبـل قـرون مضـت. بقايـا بَـدَت وكأنهـا ربمـا نجمـت عـن تصـادم مركبـة فضائيـة بسـطح البحـر، ربمـا قبـل مـدَّة وجيـزة.

عندمـا جمعـت شـظايا الخواطـر في ذهنـي وحاوَلـتُ الربـط بينهـا، خمَّنـتُ أنهـا لا بُـدَّ وقـد كانـت سـفينةً شراعيـة صغـيرة تتَّسـع لشـخص واحـد فقـط بداخلهـا. مـن النـوع الـذي يطـير عـبر الفضـاء بواسـطة الريـاح الشمسـية.

عندئـذٍ ذكَّـرني المشـهد بسـفينة الفضـاء غـير المأهولـة التـي لمحتهـا ذات مـرَّة مـن خـلال نافـذة سـفينة الـركاب. كانـت وحدهـا تمامًـا، وسـط الثلـج. أخـبروني أنهـا سـفينة صغـيرة كانـت تطـير مـن تلقـاء نفسـها... ولا أحـد عـلى متنهـا... هكـذا قالـوا.

شعرت وكأنني قد أُصِبتُ ببرقٍ.

بـدأت السـباحة عـلى نحـوٍ محمـوم. حاولـت معرفـة المصـدر الـذي تأتي منـه الشـظايا التـي تطفـو، لكنهـا كانـت منتـشرة عـلى رقعـة واسـعة بحيث لم يكـن هنـاك أي وسـيلة لمعرفـة ذلـك.

مـرَّ وقـت طويـل قبـل أن أصـادف قمـرة القيـادة، التـي كانـت لا تـزال سـليمةً إلى حـدٍّ كبـير. تطلَّـب الأمـر كل قـوتي لأتسـلَّق فوقهـا. كانـت لوحـة التحكـم مُغطَّـاة ببصـمات أصابـع قـذرة، وكانـت هنـاك آثـار لا حـصر لهـا

علـى الإصلاحـات والأشـياء المرمَّمـة، كـما لـو أن أحدهـم عـاش هنـا مـدة طويلـة حقًّـا.

ضغطـت عـلى كلِّ زرٍّ تَحكُّـمٍ يمكننـي العثـور عليـه، في محاولـة لمعرفـة مـا إنْ كان أي شيء لا يـزال يعمـل. إنْ كانـت مركبـة فضائيـة، فسـتحتوي ولا بُـدَّ عـلى صنـدوق أسـود، ودائمًـا مـا يـترك المسـافرون مقطـع ڤيديـو أو سجلًّا صوتيًّـا. أمـن الممكـن أن يوجـد شيء مـا، أي شيء مـتروك هنـا؟

حـدَّدتُ مـكان الصنـدوق الأسـود، وسـارعت بتشـغيله. لم يكـن هنـاك ڤيديـو، لكـن صـوت رجـل انبعـث منـه.

عرفت هذا الصوت على الفور. كان صوتكَ.

أنا في انتظاركِ.

تعالي إلى المطار.

سأكون في انتظاركِ.

أنا في انتظاركِ.

أنا في انتظاركِ.

حتى لو لم تكوني موجودة بالفعل في أي مكان يمكن العثور عليكِ فيه...

أنا في انتظاركِ و...

أنا هنا.

أنا أحبُّكِ...

أنتظركِ...

ما زلت أنتظر حتى الآن.

***

موجة بطيئة ضخمة تثير رغوة بيضاء، أخذتني على حين غرَّة.

تتدحرج الموجة في ضوء الشمس، وتنعكس على قاع البحر؛ لذلك بدا الأمر وكأنني أغرق وسط الآلاف من الجواهر الزرقاء. سبح قطيع من الأسماك البيضاء اللامعة بجانبي.

مددتُ رأسي فوق الماء، وبحثت في كل مكان حولي وقد تملَّكني إحساسٌ باليأس؛ شعرت وكأنني محرومة تمامًا من شيء لم أمتلكه من قبل أبدًا.

ظننتُ أن الأمر سينتهي بي برؤية جسدك، يتمايل في الماء، باردًا، يطفو نحوي من مكان ما. كنت آمل على عكس كل التَّوقُّعات أنني سأعثر على جُثَّتِكَ حتى. دعوت وكرَّرتُ الدعاء. توسَّلتُ وواصلت التَّوسُّل.

لم تكن هناك.

لم تكن في أي مكان يمكن العثور عليك فيه.

عندما استعدت وعيي، كنت مستلقية على الشاطئ. كان ضوء المساء يلطِّخ البحر ببقع ذهبية. توهُّجُ الغروب الأحمر نزَّ لونًا بنفسجيًّا في السماء الزرقاء الداكنة. على مبعدة، حلَّق سِربٌ من الطيور الملونة بالذهبي بجوار الشمس الغاربة. لم يكن لديَّ القوة حتى أحاول الجلوس؛ لذا استلقيت هناك فحسب.

كان ذلك عندما حدث التالي.

أدرتُ رأسي فلفَتَ نظري شيء غريب على مبعدة.

كانت الآثار المطبوعة على الرمال تتلاقى في الأعلى تجاه الغابة. كان ثمة كُتَل صغيرة من الرمال تشكَّلَت حيث تساقطت قطرات المياه.

بدت الآثار وكأنها لأقدام بشرية. كانت مبتلَّة.

ما زالـت مبتلَّـةً. كأنهـا قـد تشـكَّلت منـذ قليـل. كـما لـو أنـه قبـل مـدة وجيـزة، هـرب أحدهـم مـن سـفينة الفضـاء المحطَّمـة تلـك، وتمكـن مـن السـباحة إلى الشـاطئ.

3

ما وراء القصة

ملاحظة الكاتبة
(أنا في انتظارِك)

تلقَّيتُ قبل مُدَّةٍ بريدًا إلكترونيًّا مهذَّبًا من صديق قديم. قال إنه كان مُغرمًا بامرأة، وكان يخطِّط للزواج، وأنه هو وزوجته المستقبلية كانا معجبين بكتاباتي، وسألني إن كان بوسعي كتابة قصة لهما يمكنه استخدامها عرضًا للزواج. قال إنه يريد أن يقرأها بصوت عالٍ كطريقة لخِطبة المرأة التي يحبها. وأضاف مقدِّمًا أنه إذا كان هذا طلبًا فظًّا أو غير محترم، فهو يتأسَّف حقًّا لأي إساءة تسبَّب فيها.

ضحكت وأنا أقرأ البريد الإلكتروني. أن تطلب من كاتب لم يكتب قصَّةً من قبل أبدًا عن شخصين يتوافقان معًا، ناهيك عن قصة حب، كتابة قصة حتى تستخدمها في عرض زواج. مع أنني شككت فيما إن كان من الممكن أن أكتب مثل هذا الشيء، إلا أنني بدأت أفكر أنه قد يكون ممتعًا. وعلى أي حال، وعدني بمنحي أجرًا مثل أتعاب أي كتابة أخرى، وكانت الفكرة العامة للقصة محدَّدة بدرجة كافية. أردتُ أن أهنِّئ الزوجين، وخطر لي أنني أستطيع كتابة القصة حتى يشعر الرجل بالحرج الشديد وهو يقرؤها لدرجةٍ تدفعه إلى الرغبة في الهروب من الغلاف الجوي للأرض قبل أن ينتهي من عرض الزواج.

"إذًا. هل تريد قصة خيال علمي عن عرض زواج؟".

"حسنًا، هل يمكنكِ كتابة أي شيء بخلاف الخيال العلمي؟".

"همم...".

قبل أن أبدأ في الكتابة، أعدتُ قراءة جميع روايات الخيال العلمي عن عروض الزواج التي أعرفها. عندما قرأتُ رواية باي ميونج-هون "عرض زواج"، ورواية كواك چايسيك "أودُّ حقًّا الزواج منك" مرَّةً ثانية، أدركت أنها كلَّها قصص عن الذهاب لمكان ما؛ لذا فكَّرتُ أنني أوَدُّ تجريب كتابة قصة عن الانتظار. فكَّرتُ في شيء رغبت في كتابته قبل مدة: عندما كنت أكتب قصة "أشخاص يسافرون إلى المستقبل" أردتُ أن أستكشف حكاية كيف تعرَّف والدا الشخصية الرئيسية كلٌّ منهما على الآخر.

بما أنه كان يجب عليَّ كتابة القصة حتى تُقرأ بصوت عالٍ، فقد طلبت بعض الموسيقى الخلفية. الأغنية التي اختارها موكِّلي كانت "حب نقي فقط 사랑 그대로의 사랑" للمغنِّي يو يونج-سوك. آمل أن تستمع إليها وأنت تقرأ القصة. الأغاني الأخرى التي استمعت إليها أثناء الكتابة كانت أغنية باتي كيم "الحب زهرة الحياة" بصوت إم تاي كيونغ، وأغنية لي چوك "اكذبي... اكذبي... اكذبي".

كتبت "أنا في انتظارِك" حتى يقرأها شخص واحد، ويسمعها شخص واحد، دون أي طموح لنشرها على الإطلاق. بينما شعرت ببهجة كافية حيال المهمة؛ فقد جاءت مع نوع مختلف من الضغط. كان عليَّ فقط إرضاء شخصين، ولكن كان على هذين الشخصين أن ينبهرا حقًّا.

لم أكتب أبدًا قصة حب، لكنني شعرت إن أنا كتبتها بشكل صحيح، فإن شيئًا ما في داخلي سيتغير من خلال القيام بذلك. فكرت أنه إنْ لم أشعر أنني أريد حقًّا أن أُغرَم بأحدهم حالما أنتهي من كتابة القصة كلها، فلن أكون قد نجحت. عندما فرغت من الكتابة، شعرت بهذا الإحساس حقًّا. مجرد حقيقة الكتابة لشخص واحد، أو لشخصين، جعلت الكتابة سلسة للغاية. جعلني أتساءل كيف سيكون

شـكل الكتابـة لشـخص أحبـه، أو كيـف سـتكون الحيـاة مختلفـة إنْ عشـت وأنـت تفكـر في شـخص واحـد. عندمـا فكـرت في ذلـك، أدركـت أننـي قـد تغـيَّرت حقًّـا، وعرفـت أيضًـا أننـي كتبـت القصـة بشـكل صحيـح.

كان عـرض الـزواج ناجحًـا والزوجـان يبليـان بـلاء حسـنًا. عندمـا أرى لقطـات مـن حياتهـما معًـا مـن حـين إلى آخـر، أو أسـمعهما يتبـادلان حـوارًا، فـإن ذلـك يجعلنـي أبتسـم لأنـه يبـدو وكأنـه امتـداد للقصـة.

تمكَّنـتُ أيضًـا مـن مشـاركة اجتـماع مثـالي مـن أجـل تحريـر القصـة مـع قـارئي الوحيـد، وتلقَّيـتُ امتنانًـا أكـبر بكثـير مـمَّا يسـتحقه مقـدار العمـل الـذي أنجزتـه. الكتابـة حقًّـا شيء رائـع. كل مـا أفعلـه هـو وضـع الكلـمات عـلى صفحـة، لكـن الكتابـة تعنـي أنـه يمكننـي الانضـمام إلى الأشـخاص في مثـل هـذه الأشـياء المهمـة في حياتهـم، ومشـاركتهم إيَّاهـا.

أبريل 2015

في طريقي إليكَ

عندما كنت أكتب "أنا في انتظارك"، أخذت تفاصيل القصة تتجلَّى، ولكن نظرًا لأنه كان يلزم قراءتها بصوت عالٍ، فقد اضطررت إلى ترك بعض التفاصيل حتى لا تغدو طويلة جدًّا. قرَّرتُ بعد ذلك أن أكتب ما لم يجد طريقه إلى القصة الأولى من خلال كتابة جانب المرأة من القصة. وكنت أخطِّط لكتابتها كهدية زفاف للعروس.

ظلَّ تنفيذ وعدي يتأجَّل. في البداية اعتقدت أنني سأنتهي من القصة في الوقت المناسب للاحتفال بالذكرى السنوية الأولى لزواج الزوجين، ثم جاءت الذكرى الأولى ومضت؛ لذلك فكَّرتُ في أنه يمكنني كتابتها حتى تتزامن مع ولادة طفلهما الأول، لكن ابنتهما كانت تبلغ من العمر عامين عندما تمكَّنتُ من إنهاء القصة أخيراً.

"في طريقي إليكَ" تكملة قصيرة للقصة الأولى، ولكن كان هناك الكثير من الأشياء التي يجب الاشتباك معها. لم تكن ثمة طريقة لمعرفة كيف سيتغيَّر السرد الذي كان ممكنًا فقط لأن وضع المرأة كان غير معروف تمامًا عندما تتكشف قصتها. وأردت التأكد من أنه في حين تتقاطع القصتان في الوقت نفسه، يمكن لكلٍّ منهما أيضًا أن تكون قائمة بذاتها.

مع ذلك، شيء واحد كنتُ متأكِّدةً منه منذ البداية؛ في حين أن معاناة الرجل كانت في الوحدة وغياب وجود أشخاص آخرين، فإن معاناة المرأة ستكون بسبب أشخاص آخرين.

في أثناء كتابة هذه القصة الثانية، كنتُ في وضع مختلف تمامًا عمّا كنت عليه عندما كتبت الأولى. في المرة الأولى، كتبت وأنا أفكر أن القصة ستكون لقارئين فقط، بدون آمال في النشر. لكن حتى مع ذلك، ظللت أكتب وأنا أفكر في الزوجين.

هذه المرة تمكّنتُ من أن أطلب من العروس أن تعطيني أغنية لتكون موسيقى الخلفية، واختارت أغنية "الرجوع إلى الديار" التي غنّتها كيم يون آه. تمامًا مثلما استمعت إلى أغنية حبٍّ نقيٍّ فقط ليو يونغ سوك أثناء كتابة القصة الأولى، استمعت إلى "الرجوع إلى الديار" مرارًا أثناء كتابة هذه القصة. قد يكون من الجيد الاستماع إليها وأنت تقرؤها أيضًا.

في ذهني تُشكِّل قصة "في طريقي إليكَ" و "أنا في انتظارك" معًا قصة والدي الشخصية الرئيسية في "أناس يسافرون إلى المستقبل". بالطبع، الأعمال ليست مرتبطة ارتباطًا وثيقًا؛ لذلك من الجيد الاستمتاع بها بشكل مستقلٍّ. أتطرَّق هنا إلى "أناس يسافرون إلي المستقبل" لأذكر أنه في لفتة لطيفة للغاية، اختار الزوجان تسمية ابنتهما سيون-جها، على اسم الشخصية الرئيسية في القصة.

عندما أفكِّر في الأمر الآن، أشياء عظيمة ظلّت تحدث لي بفضل شخصين عاشقين، يخطِّطان للزواج. حتى عندما يعيش الناس حياتهم فحسب، يتغيَّر العالم. هذا ما أفكِّر فيه فيما أنهي هذه القصة.

صيف 2019

ملاحظات القارئَيْن الأصليَّيْن

أنا في انتظارِك

أبريل 2015

هو

رغم مُضيٍّ وقت طويل منذ أن بدأنا التخطيط للزواج وحصولنا على مباركة عائلتَيْنا، إلا أنني لم أتمكَّن من تقديم عرض زواج مناسب حتى ما قبل مُدَّة وجيزة. نعم، أعلم أن عرض الزواج يعني اقتراح الزواج على مَن تحبه، وبالتالي الترتيب الصحيح لعرض الزواج هو السَّعي أوَّلًا للحصول على موافقة الشخص الذي تريد الزواج منه، قبل الحصول على مباركة الوالدين من الناحيتين. لكن مع هذا وذاك، انتهى بي الأمر مُشتَّتًا.

عندما سألت الناس عن ذلك، أعطاني معظمهم إجابة مماثِلةً. إنْ كنت ترغب في إنجاز الأمر ببساطة، يمكنك الذهاب إلى مطعم لطيف وإجراء محادثة منمَّقة أثناء تناول وجبة لذيذة، ثم تقديم خاتم الخطوبة. ولكن بغضِّ النظر عن طريقة تفكيري في الأمر، لم تكن مهاراتي في المحادثة على مستوى المهمة حقًّا، ولن تكون أكثر من مجرد إخراج خاتم أثناء تناول طعام باهظ الثمن. لم أستطع أن أرى كيف كان ذلك مختلفًا عن مجرد قول: "دعينا نتزوَّج" في أي يوم عادي.

عندمـا قلـت إننـي لا أسـتطيع إجـراء محادثـة مُنمَّقـة، طلبـوا منـي التخلـص مـن التَّوتُّـر وتـرك الأمـر كلـه لشركـة مُختصَّـة بتنظيـم مثـل هـذه المناسـبات. يمكننـي اسـتئجار منـزل عطلـة خـارج المدينـة لليلـة واحـدة. بعـد تفريـغ أغراضنـا، يمكننـا الخـروج لبضـع سـاعات وعندمـا نعـود إلى المنـزل، سـتكون العـشرات مـن البالونـات والشـموع والكعـك وأشـياء أخـرى مـن هـذا القبيـل كلهـا هنـاك كمفاجـأة. أو -كـما قالـوا لي- يمكننـي أن أعـرض الـزواج مـن خـلال اسـتخدام برنامـج إذاعـي مُزيَّـف يُسـجِّله مسـبقًا ممثِّـل صـوتٍ محـترف، أو أعـرض الـزواج عـلى السـطح العلـوي لإحـدى سـفن الرحـلات البحريـة في نهـر هـان، وفي الخلفيـة تعـزف فرقـة مسـتأجرة خصيصًـا للمناسـبة لحنًـا رومانسـيًّا. قالـوا لي إن إحـدى الكليشـيهات الأخـرى -لكنهـا فعَّالـة بشـكل مدهـش- هـي مـلء صنـدوق سـيارتها بالـورود والبالونـات. ولكـن بغَـضِّ النظـر عـن طريقـة تفكـيري في الأمـر، لم تـتراءَ لي أيٌّ مـن هـذه الأفـكار صحيحـة عـلى الإطـلاق. لم أكـن أعتقـد أن دفـع مبلـغ ضخـم وإتمـام الأمـر دون بـذل أي جهـد شـخصي سـيكون الطريقـة الصائبـة للتعبـير عـن مشـاعري.

بعـد التفكـير في الأمـر لأشـهر متتاليـة، توصَّلـتُ أخـيرًا إلى فكـرة جيـدة واحـدة. يمكننـا أن نصنـع شـيئًا خاصًـا معًـا، وسـيكون علامـة عـلى الوعـد الـذي يتعهَّـد بـه كلٌّ منَّـا للآخـر، لكـن (بمـا أنـه كان علينـا أن نصنعـه معًـا، لا يمكـن أن يكـون ذلـك سرًّا؛ ولـذا كان عـليَّ أن أشرح لهـا، ثـم...) فشـلت في إقناعهـا. اعـتراني اليـأس.

فكَّـرتُ في الأمـر لمـدة شـهر آخـر. مـا كنـتُ متأكـدًا منـه أن أفضـل أفـكاري قـد قُوبِلـت بالرفـض؛ وبالتـالي كان الوصـول إلى فكـرة أفضـل أمـرًا مسـتحيلًا. عـدت إلى فكـرة كنـتُ قـد فكَّـرت فيهـا في البدايـة، ثـم تخلَّيـتُ عنهـا لأنهـا تـراءت لي تفـوق قـدراتي. مـا كنـت قـد قرَّرتـه، في حالـة شـبه يائسـة، أو فكَّـرت فيـه أيًّـا كان -فقـط جـرِّب وحسـب- أن أسـجِّل صـوتي وأنـا أقـرأ قصـة قصـيرة عـن عـرض زواج بصـوت عـالٍ، ثـم أجعلهـا تسـتمع

للتسجيل. صوتي ليس جذّابًا بشكل خاص، ولم أتلقَّ أي نوع من التدريب على الإلقاء؛ لذلك كنت قَلِقًا بشأن ما إذا كان بإمكاني القيام بذلك، ولكن من بين جميع أفكار عروض الزواج التي فكَّرتُ فيها، كانت هذه إلى حدٍّ كبير الفكرة الوحيدة التي يمكن أن أضعها موضع التنفيذ. اعتقدت أنه إذا أخبرتُ أي شخص آخر بذلك، فسيكون رد فعله بالتأكيد: "هاه؟ هذا يبدو فظيعًا". ولذلك لم أجرؤ على طلب النصيحة من أي شخص.

كان أول عمل أدبي فكَّرتُ فيه هو "عرض زواج" للكاتب باي ميونغ هون. كانت قصة قصيرة عندما نُشرت لأول مرة في المجلة الإلكترونية "مرآة". ولكن عندما نُشرت مطبوعة كانت أشبه بنوفيلا. كان نصًّا طويلًا. اعتقدت أن تسجيل النص كله سيكون كثيراً؛ لذلك حاولت البحث عن بعض الأعمال الأخرى. العمل التالي الذي فكَّرتُ فيه هو قصة كواك چيسك، "أودُّ حقًّا الزواج منكِ"، لكن هذا العمل كان أطول حتى! جعلني أتساءل لماذا يجب أن تكون كل الأعمال المتعلقة بالتَّقدُّم بعرض زواج إلى أحداهن طويلة جدًّا.

حرصًا على عدم تسلل الإحباط إليَّ؛ حاولت تسجيل بضع صفحات، لكن عندما أجريت الحسابات، أدركت أن قراءة قصة كاملة ستنتهي بتسجيل خمس أو ست ساعات. بالطبع، إن قرَّرتُ حقًّا فعل ذلك، تسجيل "اقتراح زواج" أو "أودُّ حقًّا الزواج منك"، فلن يكون ذلك مستحيلًا. ولكن، القراءة بصوتٍ عالٍ لمدة خمس أو ست ساعات كطريقة لعرض الزواج. حتى إن كان الشخص الذي كان عليه أن يستمع إلى التسجيل، راغبًا في الزواج في البداية، فمن المحتمل أن يُصاب بالإرهاق في منتصف الطريق حتى يغيِّر رأيه في النهاية.

إذًا ماذا أفعل؟

آه، مـاذا أفعـل...؟ إنْ لم يكـن ثمَّـة عمـل مناسـب منشـور بالفعـل، فسـيتعيَّن عـليَّ العثـور عـلى عمـل لم يُكتـب بعـد. كان لـدى صديقتـي مؤلِّفـان مُفضَّلان، وقـد حـدث أن إحداهـما كانـت مـن معـارفي. تعيـش في مقاطعـة جانجـون، تـزرع الخـضراوات، وتكتـب. المنظـر الطبيعـي المحيـط بمنزلهـا جميـل والهـواء نقـي، وكنـت قـد زرتهـا مـع أصدقـائي مـن قبـل عـدَّةَ مـرَّاتٍ صيفًـا.

كنـت قَلِقًـا حقًّـا مـن أن تلقِّيهـا طلبًـا مثـل هـذا مـن شـخص عـاديٍّ وليـس نـاشرًا سيُشـعِرها بعـدم الارتيـاح، لكننـي نحَّيـتُ الحـذر جانبًـا، وأرسـلت لهـا بريـدًا إلكترونيًّـا. مـع أهميـة هـذه المهمـة بـين يـدي، ونفـاد الوقـت، مـاذا يمكننـي أن أفعـل غـير ذلـك؟ حتـى لـو كانـت فكـرة مجنونة، فقـد شـعرت أنهـا الطريقـة الوحيـدة.

مرحبًـا، كيـف حالـك؟ لأقُـلْ لـكِ الحقيقـة: أنـا أخطِّـط للـزواج قريبًـا. لكننـي لم أتمكَّـن مـن القيـام بعـرض الـزواج بعـدُ. أنـوي تسـجيل قـراءة لقصـة تتعلَّـق بالعـرض، لكنـي لا أجـد أي شيء مناسـب. وتصـادف أن حبيبتـي تقـول إنهـا تحـب كتاباتـكِ كثـيراً؛ لذلـك أودُّ أن أسـألكِ شـيئًا. مـن فضلـك، هـل يمكـن أن تكتبـي لي قصـة واحـدة فقـط؟

لحسـن الحـظ، قَبِلَـت طلبـي. طرحـت بعـض الأسـئلة ثـم قالـت إنـه تَصـادف أن لديهـا قصـة في ذهنهـا. لأننـا كنَّـا في الصيـف، بعـد أيـام قليلـة مـن تبـادُل رسـائل البريـد الإلكـتروني، ذهبـت لزيـارة منزلهـا مـع بعـض الأصدقـاء، لكـن الأشـخاص الذيـن ذهبـت معهـم لم يعرفـوا عـن علاقتـي الرومانسـية؛ لذلـك اضطـررتُ للتحـدث إلى المؤلفـة عـلى انفـرادٍ؛ تجنُّبًـا أن يسـمعني أيٌّ مـن أصدقـائي.

مرَّت بضعة أشهر ووصلتني مسوَّدة القصة.

عندمـا بـدأت القـراءة، كل مـا شـعرت بـه هـو الامتنـان، لكـن سرعـان مـا انخرطـتُ تمامًـا في القصـة. ضمـن قصـة خيـال علمـي واسـعة النطـاق،

كانت تكمن قصة حب عاطفية عن رَجُلٍ يتوق إلى الزواج من حبِّ حياته.

تنحنحت، وجمعت شتات صوتي، وبدأت في التسجيل. عندما كنت أقرأ القصة بصوت عالٍ، انخرطت تمامًا في الأحداث مرة أخرى. في إحدى اللحظات كنت أضحك مثل طفل مسرور، وفي اللحظة التالية كنتُ أرتعد من الخوف. في بعض الأحيان انتابتني رغبة في البكاء، وشعرت في أحيان أخرى بالاستسلام لما قد يجلبه القدر. هكذا قرأت القصة، دقَّات قلبي المتسارعة لم تتوقف لدقيقة. لا بُدَّ أنني قد قرأتها عشرات المرات، لكنني كنت أضيع في القصة في كل مرة. كان شيئًا حتميًّا... لأن القصة مكتوبة لنا فقط.

ثم في إحدى الليالي رتَّبتُ لتوصيل صديقتي من عملها إلى المنزل، وتوقَّفنا في موقف للسيارات على ضفاف نهر هان في ساعة لا بُدَّ وأنها اقتربت من منتصف الليل. ضغطتُ زِرَّ "تشغيل" على الملفِّ الصوتي الذي حفظته على هاتفي المحمول. مُحرَجًا من صوتي، المألوف لي والغريب عليَّ في الآن نفسه، أدرت رأسي بعيدًا، وبعد بُرهَةٍ انتهى بي الأمر وقد غَفوتُ. حبيبتي لم تعرف حتى أنني نِمتُ، وواصَلَت الاستماع إلى القصة، عندما استيقظتُ على صوت الموسيقى التي تُعزف في نهاية التسجيل، كانت عينا حبيبتي مغرورقتين بالدموع.

كان عرض الزواج ناجحًا.

قلت سابقًا، أليس كذلك، إنني كنتُ قَلِقًا من أن الكتابة الرائعة لن تعطيها رداءةُ إلقاء القارئ حقَّها؛ لذلك نسَّقتُ النَّصَّ بدقَّةٍ وطبعته أيضًا. قطعت الصفحات، وخيطتها معًا، وألصقتها فوق غلاف، بحيث بات كتابًا صغيرًا مصنوعًا يدويًّا. راق لحبيبتي الكتاب تمامًا، مثل تسجيلي؛ لذلك كنتُ سعيدًا حقًّا.

صنعت نسختين من هذا الكتاب. واحدة لنحتفظ بها كلانا إلى الأبد، والنسخة الأخرى للمؤلِّفة التي كتبت لنا القصة بلطف منها.

أنا ممتنٌّ للغاية لدرجة أنني لا أستطيع حتى أن أتخيَّل كيف يمكنني التعبير عن امتناني. بفضل كيم بو-يونج، تمكَّنتُ من خلق ذكرى عرض زواج جديدة، مختلفة تمامًا عن ذكريات الأزواج الآخرين. ما زلت لا أصدق أن كاتبتنا المفضَّلة ستبارك زواجنا بتلك الطريقة. لا أعتقد أن هناك أي شخص آخر في العالم يمكنه الاستمتاع بمثل هذه الرفاهية.

سنعيش حياة جيدة. أنا سعيد. شكرًا لكِ.

هي

سألني أحدهم ذات مرة عما إذا كنت أعتقد أن الناس بحاجة حقًّا إلى تلقِّي عرض زواج. أعتقد أنني قلت شيئًا مثل: "كل شخص مختلف، ولكن إن كانت الإنسانة المعنيَّة تريد أن تتلقَّى عرض زواج، فيجب على شريكها فعل ذلك من أجلها". بالنسبة إلى بعض الأشخاص، قد لا يكون الأمر هامًّا حقًّا، ولكن بالنسبة للآخرين قد يكون لحظة واحدة في العمر يرغبون دائمًا في تجربتها. بالنسبة لإنسانة تشعر أنها يجب أن تتلقَّى عرضًا بالزواج، إنْ لم يحدث ذلك، فهذا شيء يمكنها أن تحمله ضد شريكها لبقية حياتها. لذا، حتى لو كان ذلك فقط لضمان مستقبل خالٍ من أي ضغينة أو ندم، فمن الأفضل بذل الجهد في تقديم عرض الزواج.

في ذلك الوقت، لم أكن أفكِّر مطلقًا في الزواج؛ لذلك كان موضوع عروض الزواج غير ذي صِلَة بحياتي.

ولكن بعد ذلك، عندما حان الوقت لأتَّخِذ قرارًا بشأن ما إنْ كنت أرغب في تلقِّي عرضٍ بالزواج أم لا، فكَّرتُ: هل يوجد سبب حقيقي لعدم الرغبة في تلقِّي عرض زواج؟ لماذا لا أتلقَّى عرضًا إنْ كان بمقدوري ذلك؟ ولذا عندما سألني حبيبي عمًّا إذا كنت بحاجة إلى عرض زواج لائق، دون تردُّد، قلت إنني أحتاج ذلك. بدا متفاجئًا بعض الشيء، لكن بعد ذلك بوقت قصير أخبرني بتعبيرٍ مُتحمِّس على وجهه حول

خطَّتـه لتقديـم عـرض زواج. بمجـرد أن سـمعت الفكـرة السـخيفة، أخبرتـه ألَّا يهتـم، ومنـذ ذلـك الحـين نسـيت الأمـر برُمَّتـه.

في أحـد الأيـام، عندمـا كنَّـا في حالـة مـن الفـوضى الكاملـة اسـتعدادًا لحفـل زفافنـا، أنهيـتُ العمـل في سـاعة متأخِّـرة مـن الليـل، وبينـما كان حبيبـي يقـودني إلى المنـزل، شـغَّل تسـجيلًا سـجَّله بصوتـه. نعـم، أصبـتَ التَّخمـين؛ كانـت "أنـا في انتظـارك". في النهايـة، تلقَّيـتُ حقًّـا عـرضَ زواج سـأتذكره طـوال حيـاتي. بعـد أن قـال إنـه كان مُحرَجًـا، أغمـض حبيبـي عينيـه، وبعـد ذلـك اسـتغرق في النـوم سريعًـا، لدرجـة أنـه بـدأ في الشـخير. تأثَّـرتُ حقًّـا بالقصـة. شـعرت بالامتنـان الشـديد.

أودُّ أن أغتنـم هـذه الفرصـة للتعبـير عـن امتنـاني العميـق للمؤلفـة التـي كتَبَـت مثـل هـذه القصـة المذهلـة في مواجهـة مثـل هـذه الخطـة المتهـوِّرة، وأودُّ أيضًـا أن أثنـي عـلى حبيبـي السـابق، زوجـي الآن، عـلى عملـه المتقـن. بـدأت هـذه القصـة حياتهـا بوصفهـا شـيئًا خاصًّـا بشـخصين، ولكنهـا جيـدة جـدًّا حتـى نحتفـظ بهـا لنفسـينا فقـط؛ لذلـك كنـت سـعيدة حقًّـا لسـماع أنهـا سـتُنشر في شـكل كتـاب صغـير. شـكرًا لكـم مقدَّمًـا عـلى قراءتهـا.

في الطريق إليكَ
صيف 2019
هي

أتذكَّر اليوم الذي ذهبنا فيه لزيارة كيم بو يونغ لأشكرها بعد نشر "أنا في انتظارك". قالت إنه إنْ كانت قصة الرجل جيدة، فقد تتبعها قصة المرأة أيضًا. وحتى في تلك المرحلة، كانت لديَّ فكرة غامضة أنه سيكون من الرائع حقًّا أن يحدث ذلك. ولكن الآن بعد أن أصبح حقيقة واقعة، فقد أصبح نوعًا ما عاطفيًّا.

حدثت أشياء كثيرة بين كتابة قصة الرجل وقصة المرأة، لكن أكبر شيء بالنسبة لنا كان بداية تكوين أسرة جديدة. عندما كنت حاملًا، كنَّا نفكر في الاسم الذي يجب أن نطلقه على الطفلة، وفكَّرنا في القصة الأولى. أخبرتنا المؤلفة أنها كانت بمثابة قصَّةَ والدي الشخصية الرئيسية في قصتها "أناس يسافرون إلى المستقبل"؛ لذلك بدأنا في استخدام اسم سيون-جها، وعندما ولدت، شعرنا أن الاسم كان صحيحًا؛ لذلك انتهى بنا الأمر إلى تسجيله في شهادة ميلادها.

بينما كانت مشغولة في العمل على المخطوطة، أرسلت لي بو يونغ المسوَّدة الأولى للقصة لأقرأها قبل أي شخص آخر. تمامًا مثلما سُنِحَت لزوجي فرصة قراءة "أنا في انتظارك" أوَّلًا، أصبحت أول شخص

تقرأ قصة المرأة. لن أنسى أبدًا الإثارة والعاطفة فيها. أنا ممتنَّة جدًّا لإتاحة الفرصة لي لأن أكون أول قارئة لها.

إن كانت قصة الرجل هي وحدة الانتظار، فقصة المرأة هي المشقَّة الشديدة التي تأتي مع العيش لاجئةً، دون حتى فرصة أن تكون وحيدة. تحمُّل معاناتها كان صعبًا عليَّ حقًّا، ولم يكن من السهل الاستمرار في قلب الصفحات؛ لذا يمكنك أن تتخيَّل مدى صدمتي عندما قال زوجي إنه وجد قصَّةَ الرجل أكثر صعوبة في القراءة. بالنسبة لي، بدت قصة الرجل وكأنها إعلان لطيف وخجول عن الحب. اكتشفتُ أنه أدرك صعوبة قراءتها فقط عندما كنَّا نتحدَّث عن انطباعاتنا عن القصة الثانية.

راق لي الحب غير المتزعزع الذي عبَّرَت عنه المرأة عندما تحدَّثَت عن أنه طالما يتذكَّر أحدهم شخصًا، فذلك الشخص لا يموت حقًّا؛ ولهذا أرادت البقاء على قيد الحياة لأن حبيبها كان يعيش معها وبداخلها في شكل ذكرياتها. فكرة أن الذكريات غير المكتملة في أذهان الناس بمثابة بيانات، ومن ثمَّ يمكن اعتبار هذه البيانات شخصية بشرية، تركت بدورها انطباعًا عميقًا عليَّ. يبدو أيضًا أن هذا سيصبح حقيقة واقعة في المستقبل القريب.

على الرغم من أن "في طريقي إليكَ" ترتبط بقصة الرجل وقصة "أشخاص يسافرون إلى المستقبل" حتى تصبح جزءًا من شيء أكبر، إلا أنني لديَّ عاطفة حقيقية تجاه هذا العمل الأقصر. أدركت أيضًا مرة أخرى أنه في نهاية اليوم، الحب هو الذي يغيِّر عالمًا ملطَّخًا بالصراعات والنزاعات التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

القصة التي كانت من أجلنا حتى نقرأها قبل الزواج قد وصلت الآن إلى العديدين من القراء. آمل أن تصبح تذكيرًا للناس بمدى حسن حظنا، ليس فقط بوجود حبيب/ة، ولكن أي شخص نحبُّه بجانبنا،

وأيضًا تأكيدًا مطمئِنًا لحقيقة أنه حتى لو انفصلنا عن الأشخاص الذين نحبهم ولم يَعُد يمكننا أن نكون معهم، الحب لا يتغيَّر. أشعر بسعادة لا متناهية لعلاقتي بهذه القصة. وقبل كل شيء، أودُّ أن أبعث بامتناني واحترامي اللا نهائي لكيم بو يونغ على هذه الهدية الرائعة.

هو

لم أتخيَّل أبدًا أنني سألتقي بهذين الزوجين مرة أخرى. حالما استخدمتُ قصة "أنا في انتظارك" عرض زواج، ثم نُشِرت في كتاب صغير، اعتقدت أن هذه نهاية الحكاية. في البداية، كنت سعيدًا جدًّا لأنِ لدينا قصة لشخصين فقط، ولاحقًا تضاعَفَت سعادتي لأن القصة المكتوبة لنا يمكن قراءتها من قبل المزيد من الناس.

ذكرت بو يونغ أنه ربما يكون ثمة تكملة للقصة، لكنني أعتقد أنني لم أجرؤ على الأمل. حصلنا بالفعل على هذه الهدية الرائعة، وشعرنا أنه من الظلم أن نتوقَّع أي شيء آخر. ولكن مع قصة "في طريقي إليكَ"، التقيت بالزوجين مرة أخرى. لطالما كنتُ أشعر بالفضول بشأن ما كانت المرأة تفعله بينما كان الرجل ينتظر بمفرده، وأخيرًا حصلت على الإجابة.

بينما "أنا في انتظارك"، بشخصية الرجل الذي يتذمَّر وكأنه يمرُّ بكل معاناة العالم بمفرده، كانت بالطبع قصة رومانسية، من بعض النواحي، بالنسبة لي، كانت القراءة مؤلمة حقًّا. بالنظر إلى كيفية ظهور القصة، لم يسعني إلا التماهي مع الشخصية الرئيسية؛ ممَّا يعني أنني قرأتها وأنا أعكس شخصيتي عليه (نعم "الرجل" الذي ذكرته في بداية هذه الفقرة هو أنا).

من ناحية أخرى، تراءت لي هذه القصة الثانية رومانسية جدًّا. حتى في خِضَمٍّ كل تلك المشقة واليأس والألم، لا تنسى المرأة -أو تحاول

محو- حبها، وتواصل المضي قدمًا، خطوة بخطوة، وحبيبها نصب عينيها دائمًا. بالنسبة للرجل الذي هو موضوع ذلك الحب (نعم، ما زلت أعرِّف نفسي به)، كانت هذه القصة الرحلة الرومانسية لامرأة لا يسعني إلا أن أُعجب بها.

وبسبب ذلك، شعرت بالدهشة عندما قالت زوجتي لاحقًا: "مقارنة بالقصة الأولى، التي كانت رومانسية فقط، كانت قراءة هذه القصة مؤلمة حقًّا". أدهشني شعور كلٍّ منّا بإحساس متناقِضٍ تجاه القصتين نفسيهما، وأدركت أن هذا هو ما يجعل زوجًا من القصص فاتنين.

ربما تكون هذه الاختلافات في التفكير أساسًا للعديد من النزاعات بين العشاق، وفي العلاقات الأخرى أيضًا. بمجرد أن أدركت ذلك، بدأت أفكر مرة أخرى في حياتي الزوجية، محاولًا بعناية أن أتذكر ما كنت أفكر فيه وكيف تصرَّفت.

بدأت الحكاية بقصة واحدة لكلينا، ولكن الآن يوجد جانبان للقصة، وهذا قد يعني شيئًا لكل أنواع الأشخاص المختلفة. لن أتمكن أبدًا من نسيان فيض العاطفة الذي ساورني، والجلوس مع زوجتي وابنتنا، حيث شاهدت ممثلًا يقرأ "أنا في انتظارك" على خشبة المسرح. وعندما أستمع إلى "أنا في انتظارك" على هيئة كتاب صوتي كوريٍّ جيِّد الصُّنع، أدرك مجددًا كم كنت متهوِّرًا عندما قرَّرتُ أن أقرأ كل شيء على أنه عرض زواجي.

كثيرًا ما أفكر أنه في حياتي كلها، لن أُمنح تكريمًا أو فرحة تضاهي تكريم وفرحة هاتين القصتين الرائعتين، وحقيقة أنهما ستظلان دائمًا متَّصِلَتان بأسرتي. أتمنى أن يصبحا مصدرَ سعادة لمن يقرؤونهما أيضًا، وآمل أيضًا أن يصبحا قصصًا يحبونها ويشاركونها، وتبقى معهم طوال حياتهم.

وأخيرًا آمل أن تُحِبوا جميعكم، وتُحَبُّوا.

نبي هذا العالم

1. نبي الفساد
2. تلك الحياة الواحدة
3. ما وراء القصة
4. فهرس مصطلحات نبي العالم

توطئة

حياة كل إنسان عبارة عن طريقٍ نحو نفسه، محاولة على طريق كهذا، تلميح نحو الممرّ. لم يسبق لإنسان أن كان نفسَه تمامًا وبشكلٍ كامل، لكن كل إنسان يحاول ذلك- هذا بطريقة خرقاء، وذاك بطريقة بارعة، كلٌّ حسبَ استطاعته، وكل إنسان يحمل آثار ولادته -لُزوجة ماضيه البدائي وقشوره- وتظلُّ معه حتى آخر أيامه، وهناك مَن لا يصير بشرًا أبدًا، يظل ضفدعًا أو سحليَّة أو نملةً. وهناك مَن هو إنسان في نصفه الأعلى، وسمكة في نصفه الأسفل. لنا جميعًا أصلٌ واحدٌ؛ هو أمّهاتنا، وجميعنا جئنا من الباب ذاته، لكن كلٌّ منَّا -بخبرات الأعماق- يجاهد للوصول إلى مصيره. يستطيع كلٌّ منا أن يفهم الآخر، لكن أيٌّ منَّا لا يستطيع أن يشرح نفسه إلَّا لنفسه.

هيرمان هيسه (دميان)

في بدايـة الزَّمـان، عاشـت في مملكـة الظـلام الـذوات الأوائـل مـن الجيـل الثـاني -الأنبيـاء- كيانـات ذات صفـات ألوهيـة، هلاميـة الشـكل. امتلـك الأنبيـاء القـدرة عـلى تغيـير أشـكالهم، وخلـق عـوالم ضمـن مناطـق نفوذهـم؛ البـاردو. ثـم عرفـوا الانقسـام والاندمـاج، وتمكَّنـوا مـن خـلال عمليـة أشـبه بـ"الـولادة" إلى الانقسـام إلى أطفـال؛ تلاميـذ وأتبـاع مـن الجيـل الثالـث.

ثـم قـرَّر الأنبيـاء تشـييد مملكـة الدنيـا -الأرض- وإرسـال الأطفـال إليهـا بغـرض التعلُّـم، ورؤيـة أفكارهـم الفلسـفية تتحقَّـق عـلى أرض الواقـع. عاملـوا المملكـةَ الدنيـا بوصفهـا مدرسـة وهميـة للتعليـم والتجريـب، لكـن مـع انغماسـهم في ذلـك بـات البعـض مـن مملكـة الظـلام يعتقـدون أن مملكـة الدنيـا حقيقـة، وليسـت وهـمًا؛ ومـن ثـمَّ سـعوا إلى التَّمـرُّد والفردانيـة.

وهذه قصة كيف بدأ الفساد...

قصة نبيٍّ الفساد.

1

نبيٌّ الفساد

ذاتي الأولى

0

يجب أن أندمج مع أمان.

لا أرى وسـيلة أخـرى لإيقـاف فسـادي. لإيقـاف فسـاد أمـان. وفسـاد العـالم برُمَّتـه.

يجب أن أقوم بذلك حتى لو قاد ذلك إلى زَوال فردانيَّتي.

1

عندما فتحت عيني، كنت مستلقيًا في حقل.

كان يومًا دافئًا وباهرًا. امتدَّ حقل قمح تحت سماء بيضاء، اللون الذهبي لسنابل القمح الجافَّة ثريٌّ جدًّا، لدرجة أنه تراءى لي وكأن بوسعه أن يسيل ببطء مثل العسل. لا أحد في مرمى البصر، لا مخلوق واحد يتحرَّك في الامتداد اللا نهائي. لا وجود لمبانٍ أو جبال أو تلال أو حتى أنهار أو أغادير. لا شيء سوى الحقل ينبسط بيني وبين الأفق البعيد.

قال صوت مألوف فوق رأسي: "تأخَّرتَ".

صوت عشيرتي. بالمعنى الواسع للكلمة.

استقرَّ رأسي في حضنه بينما كان جالسًا يحيك. حاولت أن أتذكَّر ما إذا كان يحيك من قبل كهواية، لكن لا بُدَّ أن ثمة هوايات قليلة لم يزاولها من قبل.

سحبت إبر حياكته مجموعة متشابكة من الأوراق والطين والتبن. بَدَت الأيدي غير المرئية وكأنها تجمعها معًا، وتغزلها في نوع من الخيوط، وتزوِّد الإبر بها.

قال: "لقد تأخَّرتَ لدرجة أنني اعتقدتُ أنك لن تحضر".

"أنت تعلم أنه يستحيل تجنُّب هذا المكان".

"أفترض ذلك".

نظرت حولي. كان منحنى الأفق مقوَّسًا بشكل غير عادي، وهو ما يعني أن هذا المكان كرويٌّ، لكن أصغر بكثير من الأرض، وفي الغالب ليس أكبر من كويكب صغير.

كانت المناظر الطبيعية زاهية وحيوية بشكل مكثَّف مثل لوحة انطباعية. ليس لأن الضوء كان أكثر إشراقًا، ولكن لأن حواسِّي أصبحت أكثرَ حدَّةً. تراءت لي واضحة تمامًا، كما لو نُقعت بالماء. ما كنت أعتقد أنه أحمر بدا الآن أقرب إلى أحمر قانٍ كالدم، وما كنت أعتقد أنه أزرق، له الآن لون مياه المجاري. شَمَمتُ العشب البري، رائحته فوَّاحة مثل الشاي المنقوع، وسمعت حتى النسيم يهمس ما وراء الأفق. كان كل شيء متألقًا، وطاغيًا تقريبًا، كما لو أن ضبابًا قد انقشع من رأسي. سيكون الأمر كذلك حتى أتعوَّد على حالتي.

كان النظر إلى هذا مشهدًا استثنائيًّا. أو كان من الممكن أن يكون، لو كنت على قيد الحياة.

علَّق عشيرتي وهو يواصل الحياكة: "تبدو في مزاج جيد".

"كل حياة في مملكة الدنيا لها النهاية نفسها، وهي الموت. ما شعوري باعتقادكَ؟".

قال: "حسنًا، لم تختر حياة مريحة لنفسك. لا تفعل ذلك أبدًا".

أشير إلى عشيرتي بضمير المذكَّر لكنه ليس له جندر محدَّد. كيف يمكنه ذلك؟ لم يَعُد هو ولا أنا نمتلك أي جينات الآن. لا نمتلك قلبًا أو رئتين أو قناة هضمية أو أعضاء إخراجية. وكذلك لا نمتلك شبكات عصبية أو عظامًا أو عضلات.

نظـرت إلى جسـدي. بـدا جسـدي المجـرد مـن الخصائـص الجنسـية الثانويـة أشـبه بجسـم طفـل ضخـم. أي طفـل لديـه أعضـاء تناسـلية في عـالم الأحيـاء، لكـن هنـا، لم يكـن لـديَّ أيٌّ منهـا. تفتقـر ذواتنـا الحاليـة إلى الـزوج الثالـث والعشريـن مـن الكروموسـومات الـذي يحـدِّد جنسـنا، ناهيـك بـأي هرمونـات. مـا حاجتنـا لمثـل هـذه الأشـياء؟ لماذا يجـب علينـا التكاثـر للحفـاظ عـلى سـلالتنا؟

كنَّا مخلَّدين.

يسـألني عشـيرتي مـن كل نسـخ الحيـاة التـي عشـتها سـلفًا: "فيـمَ تفكِّـر؟"؛ عشـيرتي الـذي كان مـن قبـل والـدي، وشـقيقي، وشريـكي، وصديقـي، وحتـى طفـلي في مملكـة الدنيـا.

أجبتـه أخـيرًا: "العـار. كنـت لأشـعر بالعـار لـو رأيتنـي هكـذا في المملكـة الدنيا".

نظـر إليَّ كـما لـو كان لسـان حالـه: "مـاذا تقـول أيهـا السـخيف؟"، لكـن بـدلًا مـن ذلـك قـال: "غُـرِسَ إحسـاس العـار في النـاس لموازنـة الشـهوة الجنسـية، كـما تعلـم؛ لمنـع رغبـة الإنجـاب مـن الخـروج عـن نطـاق السـيطرة. وزُرِعَـت الشـهوة الجنسـية في البـشر للحصـول عـلى كائنـات محـدودة لتتكاثـر. لكـن ليـس لدينـا الشـهوة الجنسـية هنـا، لذلـك لا يمكننـا الإحسـاس بالعـ...".

"أعرف".

عرفـت بالفعـل. أعلـم مـا تعلمـه وأنـت تعلـم مـا أعلمـه. فكَّـرت: أنـت أنـا في حـين أغـرف في يـدي حفنـة مـن الـتراب. طحلـب، وبـذور صغـيرة، وأوراق جافَّـة ممزوجـة بالـتراب تنسـلُّ مـن بـين أصابعـي. الرمـل، ذَرَّة سـيليكون مرتبطـة بذرَّتـين مـن الأكسـجين، أربعـة عـشر إلكترونًـا يـدور حـول نـواة... كل شيء، مُختـزَل إلى مصـدره، كل شيء مـن المـادة ذاتهـا. المـادة ذاتهـا مثـلي. هـذا المـكان أنـا.

الباردو خاصّتي.

في بعض نسخ حياتي السابقة، قادتني قدماي إلى هنا عندما كنت أتأرجح على حافّة الموت. ثم عدت وأخبرت الجميع بحماسٍ أنني رأيت الحياة الآخرة. لكن كل ما رأيته في الحقيقة هو الباردو خاصتي.

لا يمكنني أبدًا أن أتذكّر بشكل صحيح حتى هذه الشريحة الصغيرة من الحياة الآخر. كنت محاصَرًا في جسمٍ ليس أفضل من قطعة لحم خام كلّما عُدتُ إلى الحياة، جسم يستخدم كل الوسائل الممكنة لإلهائي عن التفكير. دماغ ذو مهارات معرفية ضعيفة، هرمونات شبيهة بالمخدرات، مجموعة يُرثَى لها من النواقل العصبية، خلايا عصبية ذات سرعات معالجة بطيئة. كان الأمر أشبه بالإصابة باضطراب إدراكي مقارنة بحالتي الحالية من الإدراك المتضخم.

كرَّرت في رأسي: كل شيء أنا. اضطررت إلى ذلك؛ لأنني لم أستطيع تصديقه.

"كيف حال أمان؟" سألت من باب العادة. فَهِمَ عشيرتي على الفور إلى أي أمانٍ كنت أشير، وكالعادة هزَّ رأسه.

"لم يتغيَّر الوضع. لا يزال أمان لا يستطيع الهروب من الباردو خاصته. هو مقتنع بأن الباردو خاصته هو الحياة الآخرة بأكملهَا".

رغم توقُّعي الإجابة، شعرت بخيبة أمل.

"هربت أيضًا أجزاء من أمان، لكنها لا تعود إلى عالم الموتى. اختاروا التناسُخ في الباردو خاصّتهم بدلًا من ذلك، وفي كل مرة ينقسمون إلى مئات وآلاف القطع الصغيرة. لا ينسجون مصائرهم، ولا يهتمُّون بالصورة التي سيولَدون عليها. كل ما يبدو أنه يتبقَّى بداخلهم هو إرادة الهروب. حتى توشيتا تخلَّى عن تعقُّبهم".

تلك مشكلة كنت على دراية بها...

سأل عشيرتي: "إذن، هل تفكِّر حقًّا في الاندماج؟".

أجبت: "نعم. أنا مسؤول عن هذه الفوضى".

فكَّرت في ضوء الشمس المتدفِّق عبر النافذة، وخشخشة غلَّاية نحاسية، والرائحة الزهرية الحلوة للشاي. فكَّرت في أمان، العجوز والضعيف، الجاثم على السرير بجانب النافذة. فكَّرت في الطريقة التي نظر بها أمان إليَّ. الفكرة توجع قلبي، مع أن جسدي لم يعُد يمتلك مثل هذا العضو.

لم يقُل عشيرتي شيئًا، وراح يحدِّق إلى ما وراء الأفق. كرة سوداء خلَّابة مرصَّعة بعناقيد من النجوم، معلَّقة بجلاء في السماء البيضاء. كانت تدور، لكن حجمها الهائل خلق إيهامًا بالسكون. ليس شمسًا أو قمرًا، ولكن جرمٌ سماويٌّ شاسع يضمُّ الأرض في المركز؛ عالم الأحياء. مدرستنا.

"هل جمعت كل شيء؟".

أومأت برأسي.

"بداية من الوحوش والحشرات إلى الأشجار والتربة والصخور؟".

أومأت برأسي مرَّةً أخرى.

"لا بُدَّ أن يكون عدد السكان الأحياء قد انخفض كثيرًا. يا له من عمل بغيض".

"ولكن كان لديك يدٌ في ذلك أيضًا".

"وأنا نادم على ذلك. على أي حال، ماذا ترى الآن بعد أن دمجت كل هذه الأجزاء في كيان واحد؟".

أول ما أُعيد اندماجه بداخلي كان سربًا من ذباب مايو. في المملكة الدنيا، قد يشكِّل هذا موتًا جماعيًّا. ملأت التربة بِركتَهم، فطاروا

إلى الباردو خاصَّتي في أجسادهم الروحية. كان التالي مستعمرة نمل. دمَّرَت جرَّافةٌ مملكتَهم. ثم احترقت خلية نحل في حريق غابة. كانت المخلوقات تغلي بالاستياء عندما ماتوا، لكن بمجرَّد موتهم وصلوا إلى فهمٍ غامض. قُطِعَت الأشجار واختفت الغابات وتصدَّعَت الصخور المسطَّحة. صُدِموا بدورهم عندما ماتوا، لكنهم توصَّلوا أيضًا إلى فهم غامض وانضمُّوا إلى الآخرين. تجمَّع المزيد؛ الحيوانات التي صِيدت وقُتِلت في الفخاخ والطيور العالِقة في الشباك، والأسماك المقطَّعة إلى ساشيمي. مستنقعات متلاشية وبِرَك مختنقة وحقول وجداول مدفونة تحت الإسمنت. أصابهم الذهول من الاندماج، لكنهم استوعبوا أيضًا مع مرور الوقت. غرق الناس في يأس لا مبرِّر له وانتحروا الواحد تلو الآخر. ماتت أجِنَّةٌ في الأرحام، وهُجِر الذين وُلِدوا حتى يموتوا. تساءل الجميع لماذا كانت الحياة عقيمة.

كان كلُّ واحدٍ منهم أنا.

ومع ذلك، فقد أصبحت بعض الكيانات منفصلةً جدًّا عني، لدرجة أنني بدأت أشعر بعدم اليقين فيما إن كان عليَّ تسميتهم "أنا" أم لا. جمعتُ أكبر عدد ممكن من الكيانات دون المساس بهويَّتي.

"هل تعتقد أنه يمكنك هضم أمان؟".

"ليس بعدُ".

كان صحيحًا. في الآونة الأخيرة، كان مجالي يتقلَّص بسرعة. كنت لا أزال صغير الحجم بشكلٍ مثير للشفقة رغم تعزيز كياني بكل ما يمكنني الحصول عليه.

"اذهبْ لرؤية تانجاي. سيساعدك ذلك".

"أعرف".

"كان رفقـة فوكـسي في حياتـه السـابقة. سـوف يعـرف فوكـسي أيـن يمكـن العثـور عليـه".

"أعرف".

"احـتَرِس، حالمـا يبـدأ الفسـاد، تجـد نفسـك لا تفكـر سـوى بالطرائـق التـي تشـجِّع عـلى المزيـد مـن الفسـاد". قـال عشـيرتي وهـو ينهـي بعنايـة مـا كان يحيكـه. "وعندمـا تغـدو فاسـدًا تمامًـا، فلـن تـدرك حتـى أنـك كذلـك".

هــزَّ عشــيرتي الثــوب ورفعــه إليَّ. كانــت ســترة طويلــة خــضراء ذات تصميــم بــدائي، بأكــمام متهدِّلــة وحــزام مربــوط بشــكل عــرضي حــول الخـصر. مـع أنهـا كانـت محبوكـة بـأوراق الشـجر، إلا أنهـا كانـت ناعمـة ومثــل القــماش المنســوج عــلى نَــوْلٍ حتــى.

"جرِّب ارتداءها".

"هــل تريــد أن أتجــوَّل بالملابــس؟ هنــا؟" ســألت بريبــة. لا حاجــة لارتـداء الملابـس في مملكـة الظـلام. يمكـن للمـرء ببسـاطة تحويـل جسـده إلى شـكل مُلفَّـع بالثيـاب. ولا حاجـة لامتـلاك أي شيء أيضًـا؛ إذ يمكـن للمـرء أن يصنــع كل شيء.

"هي تعويذة. ستساعدك في اكتشاف علامات الفساد".

"هذه؟ كيف؟".

"ستعرف أنك فاسد في اللحظة التي تريد فيها ارتداء الملابس".

هذا الشخص -عشيرتي- أنا.

كنـت أعـرف مـا أخـاف منـه. فكَّـرتُ في المـرض الكامـن بداخـلي. فكَّرت في لحمـي الملـوَّث. إنْ فشـلت، فسـأصبح فاسـدًا. زلـزل الخـوف جسـدي مـن مجـرد التفكـير في ذلـك.

لكـن يجـب أن أفعلـه. قبـل فـوات الأوان. قبـل أن يسـتشري فسـادي أكـثر، قبـل أن أصـل إلى نقطـة الـلا عـودة.

حوَّلـت جسـمي إلى سـائل، وتدفَّقـتُ داخـل السـترة. كانـت السـترة فضفاضـة قليـلًا عـليَّ، لكننـي ضخَّمـتُ نفـسي لتلائمهـا. نفـض عشـيرتي الـترابَ عـن جسـمه وهـو يقـف، ويمـدُّ يـده.

"هنا".

كانـت اليـد شـفَّافة. لا عـروق أو خطـوط كـفٍّ. بمـا أننـا لم نكـن بحاجـة إلى التَّنفُّـس، لم يكـن لدينـا أوعيـة دمويـة لحمـل الأكسـچين. ونظـرًا لعـدم وجـود أوعيـة دمويـة؛ لم يكـن لدينـا بـشرة. "يجـب أن تضمَّنـي إليـكَ أيضًـا".

وقفـت أيضًـا ووضعـت يـدي فـوق يديـه. لكـن قبـل أن تتلامـس يدانـا مباشرة، أنـزل يـده بسرعـة.

سألني: "لماذا لم تشكِّل روابط سوى مع ذاتك مؤخَّرًا؟".

لم أُجِـب. انتـشرت ابتسـامة عريضـة عـلى وجـه عشـيرتي الـذي كان مطابقًـا لوجهـي.

لم يكـن شـخصًا واحـدًا، بـل كان مجمـوعَ نُسَـخ حيـاة لا حـصر لهـا. كـما كنـت أنـا الآن. فكَّـرتُ في كل نسـخ الحيـاة التـي قضيتهـا رفقتـه. فكَّـرتُ في والـدي، وشركائي، لحمـي ودمـي المولـود مـن الرَّحِـم نفسـه، أطفـالي. فكَّـرتُ في الأيـام التـي لم أشُـكَّ فيهـا ولـو قليـلًا في أنـه ينتمـي إليَّ، في أن حياتـه ووقتـه ووجـوده كان مـن أجـلي وحـدي، في أن الحـب والتضحيـة اللَّذيـن قدَّمهـما إليَّ، كانـا بـكل عدالـة واسـتحقاق واجبـه نحـوي، وحقـي عليـه. فكَّـرت في الأوقـات التـي لم أسـتطع فيهـا فصلـه عنـي.

"يجـب عليـك عـلى الأقـل إقامـة روابـط مـع ذات أخـرى غـيرك. هـذه هـي الطريقـة التـي سـتتعلم بهـا عـن العلاقـات".

"لا توجد قاعدة تنصُّ على أنه يجب علينا ذلك. أنا اخترت عدم القيام بذلك".

"شعرت بالأسف الشديد، أليس كذلك؟ لإشراك شخص آخر، لجعله يتفرَّج على ممارساتك الزاهدة المريعة حقًّا؟".

لم أتفوَّه ببنت شفة.

"أوه، فهمت. هذا لأن مَن يشكِّل علاقة معك سيكتشف الحقيقة. أعني عن حالتك. ربما كنت تشعر بالعار. ربما لا تريد أن تُفتضح. لكنك ما زلت في فوضى عارمة".

فكَّرت: هذا الشخص أنا. أراد ما أردت. لكن كانت هناك أوقات كرهت فيها نفسي، عندما كنت غاضبًا من نفسي. أوقات أردت فيها التَّخلُّص من نفسي.

انتظرت حتى مدَّ يده مرة أخرى. سحبها مرة أخرى عندما أوشك أن يلمس يدي مرَّةً أخرى.

"عند التفكير في الأمر ثانية، لا يوجد فارق كبير بيننا. أنت أضخم قليلًا فقط. ألا يمكنك الاندماج معي؟ لن تهمَّ الطريقة التي نقوم بها بذلك، أليس كذلك؟".

"لا، لن تهم".

أمسكت بيده وقلبتها حتى أصبحت يدي تحت يده.

ثم اندمجنا.

حالما تندمج، ستدرك أنه لا فارق في مَن يندمج مع مَن.

2

فكَّـرَت ذاتي الجديـدة: كنـت أمـزح فقـط. كنـت سـأدع ذاتي الأخـرى تحفِّـز الاندمـاج.

لكن لا بُدَّ أن ذاتي الأخرى قد فكَّرَت في الشيء نفسه.

مـع ذلـك، تلاشـت الفكـرة كلهـا. لم يكـن هنـاك فـرق. كنَّـا في الأصـل كيانًـا واحـدًا انقسـم إلى اثنـين، وليـس كيانـين منفصلـين اندمجـا في واحـد.

الآن بعـد أن أصبحـت كُلًّا واحـدًا، بَـدَت المشـاعر التـي ساورتني في شـكلي المجـزَّأ غريبـة تمامًـا. كـما لـو كنـت أنظـر إلى الـوراء في طفولتـي. إلى نسـخة مـن ذاتي أقـل خـبرة وأقـل معرفـة. نسـخة منـي أتذكَّرهـا لكنهـا تـتراءى لي أبعـد مـا تكـون عـن ذاتي الحـاضرة.

وهكـذا التقـت حياتـان كاملتـان في حيـاة واحـدة. بمجـرد أن اندمجـت، أدركـت بسـهولة أن شـكلي الحـالي أقـرب إلى جوهـري. كـم كان سـخفًا وعبثًـا منـي أن أُهـوَس بفردانيتـي في مثـل هـذه الحالـة المحطَّمـة غـير المكتملـة.

داعبـت الريـاح حقـل القمـح. انثنـى الحقـل ثـم ارتفـع مـرة أخـرى. هبَّـت الريـح بأمـري.

لا، كانت الريح أنا.

كنتُ أهبُّ. لم تكن الأزهار البرية تتمايل بل أنا.

كل شيء هنا أنا.

قـدَّرت حجـم البـاردو خاصَّتـي. كان صغـيرًا. جمَعـتُ كل مـا بوسـعي قبـل الـشروع في هـذا العمـل لكنـه مـا يـزال صغـيرًا. قـدراتي وإمكانـاتي تضاءلـت أيضًـا.

غمرتنـي رَهبـةٌ غـير مُتوَقَّعـة مـن احتـمال تجميـع مـا بقـي مـن ذاتي. تمامًـا كـما حـدث في عـالم الأحيـاء، عندمـا خشـيت مـمًّا يقبـع وراء المـوت.

كنـتُ خائفًـا مـن أن يبتلعنـي هـذا الحيِّـزُ الـذي لم يكـن أكـثر مـن مادة غـير عضويـة. مـن أننـي قـد أصبـح حقـلَ قمـح أو كومـةً مـن الـتراب. ومـع ذلـك، أدركـت أننـي لـن أهـين نفسـي لـو فعلـت هـذا. عـلاوة عـلى أننـي بحاجـة إلى هـذا الحيِّـز إن كنـت أتمنـى أن أنهـي مـا قـرَّرتُ القيـام بـه.

لن أختفي. سأصبح كاملًا فحسب.

نقـرت بقـدم واحـدة بخفَّـة. اهتـزَّت الأرض، بـدءًا مـن البقعـة التـي لمسـتها قدمـي. ارتجـف حقـل القمـح قبـل أن ينفجـر متحـوِّلًا إلى وابـل مـن الغبـار. نقـرتُ بقدمـي مـرة أخـرى، وغاصـت الأرض كـما لـو أن نيـزكًا قـد اصطـدم بهـا، ثـم تداعـت. تفـكَّك الغبـار إلى جزيئـات، ثـم. فقَـدَت الجزيئـات شـحنتها الكهربائيـة وتهـاوت.

أخيرًا، فكَّكتُ شكلي البشري وانضممتُ إلى البقية.

عندمـا يتحـول المـرء إلى جزيئـات، تتبعـثر أفـكاره أيضًـا وتصبـح حواسُّـه مُجـزَّأة. مـن الصعـب أن تـرى أو تسـمع أو تفكـر في هـذه الحالـة. ومـع ذلـك، مـن المسـتحيل تجاهُـل عـالم الأحيـاء نظـرًا لموقعـه المركـزي. بالطبـع، مصطلحـات "عـالم الأحيـاء" و"عـالم المـوتى" تسـمية خاطئـة، لكننـا نسـتمر في اسـتخدامها بدافـع العـادة. الـشيء نفسـه ينطبـق عـلى مصطلـح "المملكـة الدنيـا" سـيكون الاسـم الأكـثر دِقَّـة مـن الناحيـة المكانيـة "المملكة المركزيـة".

خضع الهيكل ثلاثي الأبعاد لمملكة الدنيا للاعوجاج لمنع نفاذ أي ضوء من الخارج، وحبس كل شيء بداخله. وفي مركز تلك الكرة السوداء توجد قطعة أرض صغيرة وصلبة وزرقاء نسمِّيها "الأرض".

تلك الأرض مدرستنا. قاعة تعليمنا، مَهدُ خبراتنا، ساحة تدريبنا التفاعلية قصيرة المدى.

أفكر: هذا المكان أنا.

كانت المملكة الدنيا تنمو بشكل أضخم حتى مع الانفجار السكاني للبشر، والتَّقدُّم المعرفي. مع اتِّساع مجال رؤية البشرية، سارع الأنبياء إلى إنشاء النظام الشمسي وجمعوا بعض المجرَّات معًا. جعلوا المناطق غير قابلة للرصد بعد نقطة مُعيَّنة، لكن سيتعيَّن عليهم إعادة تصميم كل شيء إنْ كان البشر يتطلَّعون إلى مدِّ رؤيتهم إلى ما هو أبعد من ذلك. نظرًا لأن القيام بذلك سيكون عبئًا كبيرًا على الأنبياء، فمن المحتمل أن ينتهي بهم الأمر بالتَّدخُّل من خلال التَّسبُّب في تراجع المعرفة البشرية بدلًا من القيام بالعمل الإضافي.

فكَّرتُ: بالطبع، سيكره أمان رؤية ذلك يحدث.

دارت مناطق الباردو الخاصة بالأنبياء حول عالم الأحياء مثل مجرَّات قزمية الحجم. من وجهة نظر بشرية، يمكن للمرء أن يقول إن كل باردو يمثل "جنَّة" لكل دين. حجم الباردو هو حجم جسم نبي- حجم قوته. يحدِّد عدد تلاميذ النبي، عدد الأتباع وما إلى ذلك. باختصار، كان الباردو مقياسًا للشعبية.

بينما أتوجَّه إلى باردو شقيقي فوكسي، ألقيت نظرة جانبية إلى كرة بيضاء مقابل عالم الأحياء.

توشـيتا. مجمـوع الأنبيـاء الذيـن توقّفـوا منـذ مـدة طويلـة عـن النـزول إلى المملكـة الدنيـا، مـن أجـل الحفـاظ عـلى نقائهـم ووقايـة أنفسـهم مـن الفساد.

فكّرتُ: هم أيضًا أنا.

كلهـم أنـا، أجـبرت نفـسي عـلى التفكـير، إذ تسـلّل الشّـكُّ إلى دخيلـة نفـسي، ورفـض الرحيـل. رغـم جمعـي كل أجـزائي معًـا، إلا أننـي بالـكاد أصـدق أنهـم أنـا.

أصبحت فاسدًا بشكل لا لبس فيه.

3

كان باردو فوكسي أضخمَ من ذي قبل.

نظرًا لأن كلًّا منّا، أنا وفوكسي العجوز، نمتلك قِيَمًا متعارضة؛ تنامى مجاله بمقدر ما تقلَّص مجالي. كان هذا حتميًّا ما لم تتغير كتلتنا الكلية.

لم نكن على وفاق، لكن كان عليَّ أن أعترف، كان لشقيقي أسلوبه المميز. كان باردو فوكسي معرضًا فنِّيًّا ينبض بالحياة والنشاط. ازدهرت الأزهار من كل لون فوق جبل على قِمَّته ربض معبد ذهبي طويل أعاد ترتيب نفسه في تصميم جديد بين الحين والآخر. بدَّلت اللوحات على الجدران المشاهد المرسومة عليها بانتظام بينما كانت المنحوتات المنتشرة في المعبد، بالكاد عارية، تتَّخذ أوضاع وقوف مختلفة مثل عارضات أزياء، مُظهِرة تضاريس أجسامها المثالية.

في حين يتفاخر فوكسي بكثرة الأتباع، انتشرت أحاديث صاخبة في كل مكان. جلس الأطفال أمام معلِّميهم في زوايا عدة من المعبد، واستعرضوا حياتهم السابقة في أجواء تشبه عمل كَتَبة السِّجلَّات. قيَّموا ما تلقَّوه وأعطوه، وفعلوه بشكل خاطئ، وفعلوه بشكل صحيح في حياتهم الماضية، وقرروا ما يجب أن يتعلموه في حياتهم التالية.

"في المرة القادمة، أريد أن أتعلم فن الاحتيال. نما لديَّ اهتمام ببلاغة الكلام وقدرته على الخداع".

"ستحتاج إلى نهمٍ للمال، إذن. ما رأيك في الآتي؟ تفشل تجارة والدك خلال طفولتك وتقضي بقية حياتك مهووسًا بالمال".

"أحدهم سيحتاج إلى لعب هذا الدور من أجلي رغم ذلك. هل تكون أبي؟ سأساعدك في الحياة التالية لهذه الحياة؟".

"لديَّ صديق يريد تجربة الطلاق. دعنا نقنعه بالانضمام إلينا".

تجاوزت الأطفال. تسلَّقتُ الجبل عبر درج رخامي أبيض مزيَّن بالجواهر. يمكنني نقل ذاتي بوسائل أخرى، لكنني لم أرغب في جذب الانتباه وأنا موجود في مجال فوكسي.

كان الأطفال الذين يغادرون إلى المملكة الدنيا متجمِّعين بجوار بحيرة زمردية في الحديقة الأمامية للمعبد. ذكَّروا أنفسهم بالموضوعات التي سيتعلمونها والأدوار التي سيلعبونها في حياتهم القادمة، وخزَّنوا في ذاكرتهم بحرصٍ وجوهَ الأصدقاء الذين كان من المفترض أن يساعدوهم، ثم طاروا بعيدًا في صورة مجموعة من الجزيئات.

قال المعلمون: "احذروا الفساد"، وهم يضعون أيديهم على جبين كل طفل راحل. "تذكَّروا أن المملكة الدنيا حلم تسكن فيه مدة وجيزة. ذلك العالم مجرد وهم".

ذلك العالم مجرَّد وهم... كرَّرت العبارة المألوفة بصوتٍ خافت. قلتها بدوري مرَّاتٍ لا حصر لها لطلابي عندما أرسلتهم إلى المملكة الدنيا.

"الجسد وهم. أنت لست منفصلًا عنَّا. نحن واحد. كل شيء متصل. لا تنسَ ذلك".

لا تنسَ... يا له من أمر متناقض. الأطفال ينسون. لا بُدَّ أن ينسوا. هم مُجبَرون على النسيان- يُعطَون وصفة تمحو ذكرياتهم قبل

إرسـالهم إلى المملكـة الدنيـا. نجعلهـم ينسـون، ومـع ذلـك نخبرهـم أن يتذكّـروا.

أي مزحة رهيبة هذه؟

لفـت انتباهـي طفلـة. كانـت الطفلـة شريكتـي في الحيـاة الماضيـة. تعرَّفـت علـيَّ وأعطتنـي إيمـاءة طفيفـة قبـل أن تتفـكَّك، وتطـير بعيـدًا. أُغـرم كلٌّ منَّـا بالآخـر ذات مـرة، لكنهـا الآن لا تبـدو سـعيدة أو حزينـة لرؤيتـي.

يقـف فوكسـي في منتصـف المعبـد. يبـدو سـاحرًا حتـى في لمحـة عابـرة. كان يتقلَّـد تاجًـا ذهبيًّـا باذخًـا فـوق تجاعيـد شَـعرٍ منفوشـة وجميلـة، ويرتـدي رداء دوبـو يكشـف عـن صـدر قـوي. كان حجـم النبـي فوكسـي ثلاثـة أضعـاف حجـم أتباعـه.

"هـا هـو الزاهـد يـأتي"، صـاح فوكسـي كـما لـو أنـه ابتلـع محـرِّكًا بخاريًّا بأكملـه. كـفَّ الأتبـاع عـمَّا كانـوا يفعلونـه والتفتـوا ونظـروا إليَّ. توقَّفَـت الثرثـرة والموسـيقى. بالنظـر إلى أن هـذه المسـاحة بأكملهـا كانـت جسـد فوكسـي، وكل تلميـذ جـزء انفصـل عنـه، يمكـن للمـرء أن يقـول إن كل فوكسـي كان يعـير انتباهـه إليَّ.

"إذن أيهـا النبـي نبـان. مـا الـرؤى التـي اكتسـبتها مـن ممارسـتك الزاهـدة هـذه المـرة؟".

لم ينقسـم فوكسـي إلى العديـد مـن الأجـزاء مثلـما فعلـتُ عنـد دخـولي إلى عـالم الأحيـاء. بـدلًا مـن ذلـك، اختـار حيـاة واحـدة أو اثنتـين مُصمَّمـة بإتقـان. كان هائـلًا في عـالم الأحيـاء أيضًـا. لم يكـن أبـدًا ضعيفًـا، ولم يفهـم الألم أبـدًا. عـاش حياتـه غـير راغـب في شيء، وتمتَّـع بـثروات لم يكسـبها بنفسـه، ومـات بشـكل مريـح. كنـت أعرفـه طـوال حيـاتي، لكنـه لم يعـرف بوجـودي. كنـت الحاجـب الـذي يعمـل لصالحـه أو الرجـل العجـوز الـذي يلتقـط أوراق القمامـة في حيِّـه. كنـت العاهـرة مـن بيـت الدعـارة المفضَّـل

لديـه، أو المـشرد الـذي يعيـش في صنـدوق داخـل محطـة القطـار التـي يديرهـا.

رددتُ عليه: "ماذا كسبت أنت؟".

حـدَّق فوكـسي في السـماء بنظـرة بَـدَت وكأنهـا تقـول: "كيـف يمكننـي حتـى أن أبـدأ في وصـف كل مـا تعلَّمتُـه بالكلـمات؟"، سـقطت عينـاه عـلى الأفـق، الـذي يلـوح فوقـه عـالم الأحيـاء المهيـب.

"اكتسـبتُ قـوَّة العقـل. الثقـة والجـرأة". رنَّ صـوت فوكـسي عـبر البـاردو خاصتـه. لم يتحـدث إليَّ، بـل كان يَعِـظ أتباعـه. لم أسـتطع دحـض كلامـه. حتـى بوصفـه إنسـانًا، كان فوكـسي صالحًـا مثـل قديـس، إذا كان المعيـار الوحيـد للحكـم عليـه هـو النقـاء. "تعتقـد أن الأطفـال الذيـن تعرَّضـوا لـلأذى عـلى أيـدي آبائهـم أكـثر نضجًـا مـن الأطفـال الذيـن نشـؤوا في رحـاب المحبـة. لكـن يجـب أن تعـرف أن العكـس هـو الصحيـح. تحتـاج الـروح إلى السـعادة، وليـس الألم".

أجلـت بعينـيَّ في أرجـاء المـكان، مسـتمعًا بـلا تركيـز لكلـمات فوكـسي. أينـما نظـرت، كان جـدارٌ مـن التربـة يقفـز مـن الأرض، وتتـدلَّى أغصـان شـجرة، وتتضخَّـم صخـرة. عندمـا حاولـت أن أرى مـن خلالهـا، زأرت التربـة والصخـرة في وجهـي.

لم أكن مُرحَّبًا بي هنا.

لم أمانـع. إنْ جـاء فوكـسي إلى بـاردو خاصتـي، فقـد تكـون ردَّة فِعـلي أسـوأ.

اسـتطرد فوكـسي: "عندمـا ينضـج الأشـخاص الذيـن اختـبروا الألم، فقـد يصلـون بالفعـل إلى مسـتوى مـن الفهـم أعـلى مـن أولئـك الذيـن لم يعانـوا ألمًـا قَـطُّ. لكنهـا طريقـة غـير فعَّالـة للغايـة. خطـوة واحـدة خاطئـة، ويمكن

أن يقعوا في غياهب هاوية روحية. أساليبك أقرب إلى دفع الأطفال إلى منافسة شرسة، وتنشئة مَن ينجون منهم فقط".

قاطعته: "جئت بحثًا عن تانجاي".

"مَن؟" كان فوكسي يلعب دور البريء.

"طفلي الذي أعرف أنك تخفيه".

"للطُّلَّاب الحق في اختيار معلِّمهم. كان ذلك الطفل متعلقًا بي. ولم تعطه سببًا للمكوث".

"أنا لست هنا لاستعادة تانجاي. أريد فقط أن أراه بشأن مسألة شخصية. إن كان في مجالك، فيرجى إفساح الطريق لي".

هزَّ فوكسي رأسه. "في الواقع، لم يصبح تانجاي ملكي. استدرجته ونجحت جزئيًّا، لكنه أصيب بالذعر، وهرب بمجرد أن وطأت قدماه مملكة الظلام. كان خائفًا جدًّا مني. أصرَّ على أنه لن يتجسَّد مرة أخرى أبدًا. لا ألومه. الحياة التي تمنحها كمكافأة، سيئة بما فيه الكفاية؛ أكره أن أفكر في نوعية الحياة التي ستمنحها كعقاب".

التفت بعيدًا، مستمعًا دون إنصات إلى فوكسي وهو يتمتم: "هذا الطفل المسكين...". يمكنني البحث داخل فوكسي إن بذلت قصارى جهدي، لكنني صرفت نظري عن ذلك. لن يكون ذلك تصرُّفًا فظًّا مني فحسب، بل كان كل نبي قوة لا يستهان بها. كان بوسعه النظر بداخلي إن أنا بادرتُ أنا بالنظر داخله. لم تكن لديَّ أي رغبة في السماح لنبي، أو بالأحرى فوكسي بالتحديد، بإدراك الحالة التي كان جسدي فيها. كان فوكسي أكثر من قادر على نشر الشائعات ببهجة عبر مملكة الظلام الشاسعة كلها بأنني كنت مخطئًا وهو على حقٍّ. قد يُصرُّ حتى على جعل جسدي ملكًا له لتطهيره.

لكـن تانجـاي عـاش حيـاة واحـدة بصفتـه تلميـذ فوكـسي، وأولئـك الذيـن شـكَّلوا رابطـة مـع تانجـاي، يمكـن أن يكونـوا هنـا في أي مـكان.

قـال فوكـسي ممسـكًا بي: "سـمعت أنـك تندمـج". لكـن لم يُمسـكني بيديـه. أصبحـت الأرض لَزِجَـةً وتشـبَّثت بقدمـي.

حاولـت أن أُخلِّـص نفـسي، لكـن الأرض الموحلـة أمامـي مـارت وارتفعت مُتَّخِـذةً شـكل إنسـان. بـدا أشـبه بطفـل شـكَّلتُ رابطـة معـه في حيـاة سـالفة. وقفـت المزيـد مـن الدُّمـى بجانبـه. كل دُميَـة اتَّخـذت شـكل شـخص مُعـيَّن أحببتـه بشـدَّة مـن قبـل. أحبـابي مـن الأيـام التـي كنـتُ فيهـا الأكـثر جذبًـا وتوقُّـدًا. كلهـم عُـراة. حتـى أعضائهـم الحميمـة كانـت مألوفـة لي بصـورة مؤلمـة.

"جمعت حتى الذباب والديدان".

الرجـال والنسـاء، الكبـار والصغـار، الحـشرات والآفـات والحيوانـات الصغـيرة، والنباتـات والأشـجار. لأن فوكـسي كان يُرينـي شـظايا مُنتقـاة مـن أيـام افتتـاني العميـق بمملكـة الدنيـا، لم يكـن كل شيء جميـلًا. بـرز شـخص أصلـع وأعمـى لـه جسـد مُتجعِّـد عـن البقيـة. كنـت قـد مكثـت بجانبـه وهـو يحتـضر عـلى فـراش المـوت. أقسـمنا مـرارًا عـلى البقـاء متزوِّجَـيْن في حياتنـا الآخـرة لكنـه الآن...

"هـل جمعـت كل مـا تعلَّمتـه؟ إذن، مـا الـذي حقَّقتـه مـن ممارسـتك؟ لمـاذا لا تشـاركه مـع بقيتنـا؟".

ضيَّقَـت الدمـى الخنـاق عـليَّ، أيديهـا الممـدودة تتحسَّـس جسـدي. أحاطـت السـيقان بخـصري، واشـتبكت الأذرع حـول عنقـي. لعقـوا رقبتـي وجـرَّدوني مـن ملابـسي وفركـوا مـا بـين سـاقيَّ. عندمـا كانـوا كائنـات حيـة في مملكـة الدنيـا، كانـت مـواد كيميائيـة أشـبه بالمخـدرات تصنـع حتـى تُفـرز مـن أدمغتهـم عنـد أقـلِّ تلامُـس جسـدي، لكـن هنـا كانـوا يقلِّـدون الفعـل فحسـب.

أزعجني تخلِّي فوكسي عني. كانت "المتعة" مجرَّد أداة صُنِعت لإبقائنا -نحن الذين أُرسِلوا إلى المملكة الدنيا- بمنأى عن الموت، والعودة قبل الأوان. من أجل السماح لنا بالأكل والنوم والتزاوج والتكاثر بشكل غريزي دون الحاجة إلى تعلُّم كيفية ذلك. وفي الوقت نفسه تجعلنا فضوليين بما يكفي لاكتشاف معرفة جديدة. لكن تلك الأداة نفسها بدأت تقودنا إلى مسارات فوضوية لأننا لم نكن نتكبَّد عناء إزالة البيانات الوهمية أو الأخطاء التي تتزايد مع كل تحديث. بدلًا من ذلك، أصلحناها في أماكنها.

لم تكن المتعة شيئًا يكرِّس المرء ذاتَه من أجلها حتى في مملكة الظلام.

سألني فوكسي: "لماذا أنت كتوم جدًّا؟ نحن جميعًا ممارسون للحقيقة وباحثون عنها، أليس كذلك؟ فكِّر فقط في مقدار ثراء أرواحنا جميعًا إنْ شارَكتَ معنا حِكمَتكَ المكتشفة حديثًا. أنت تعرف كم من الوقت مضى منذ آخر مرة استرجع فيها نبيٌّ أجزاء ذاته كلها. الجميع مهتمٌّ جدًّا".

كانت دمية من الصلصال تعانقني بوجهٍ شهوانيٍّ، وتلحس خدي عندما تَغيَّر تعبيرها. سرَّعت من حركة جسيماتها؛ لدفع الأحداث إلى الأمام أكثر. ثم في لحظة، تجعَّدَت كل دمية، وذبلت، وتقلَّصَت إلى عظام.

استدرتُ وتحدثتُ بصوت عالٍ يمكن أن يسمعه الجميع. "لو تمكنَّا من التعلُّم من خلال الكلمات، لما أسَّسنا المدرسة".

ظهر عبوس طفيف على وجه فوكسي. جعلت في تلك اللحظة جزءًا من جسد فوكسي، وإن كان صغيراً، ملكي. أخذته دون حتى المغامرة بإقناعه. ما فعلته كان مكافئ المملكة الدنيا لِلَكْم أحدهم على وجهه.

"لم نكـن لنقسِّـم جسـدنا الأصـلي إلى العديـد مـن الكيانـات أيضًـا، أو نمحـو ذاكرتنـا ونصبـح أطفـالًا جاهلـين قبـل أن نلقـي بأنفسـنا في معركـة مـن أجـل البقـاء". بينـما كنـت أتحـدث، تأكسَـدَت عظـام الدُّمـى وانهـارت، وبعـثرت الريـح رمادهـا. "لا يمكـن تحقيـق التعلُّـم إلا مـن خـلال العيـش. إنْ كنـت تريـد أن تعـرف مـا تعلَّمتـه، فتجسَّـد وعـشْ كـما فعلـتُ أنـا تمامًـا. عندئـذٍ سـتعرف".

استدرتُ، لكن فوكسي نادى عليَّ.

"نابـان". بـدا فوكـسي قَلِقًـا عـليَّ بطريقتـه الخاصـة. "متـى كانـت آخـر مـرة عشـت فيهـا حيـاة لائقـة؟".

لم يسعني إلا التَّسمُّر في مكاني.

"في المـرة القادمـة، حـاول أن تحظـى بأبويـن صالحـين عـلى سـبيل التغيـير؛ اختَرْ حيـاة أسـهل وأكـثر راحـة لنفسـك حتـى تسـتطيع أن ترتـاح. حيـاة مـن المتعـة ليسـت خيـارًا ضعيفًـا أو رعديـدًا كـما تعتقـد. أنـت لا تعـرف الفرحـة. هـذا يعنـي أنـك تفتقـد جانبًـا واحـدًا مـن الحكمـة".

لم أجـد أيَّ ردٍّ؛ إذ لم تكـن كلـمات فوكـسي خاطئـة. لا أحـدَ منَّـا يمكـن أن يكـون مخطئًـا لأن لا أحـد منَّـا عـلى صـواب.

تركـتُ أرض المعبـد، ونزلـت مجموعـة السـلالم البيضـاء المؤدِّيـة إلى أسـفل الجبـل. وقـف أطفـال فوكـسي عـلى مسـافة آمِنَـة، يراقبوننـي أو يتحاشـونني، في حـين يهمسـون فيـما بينهـم. تعرَّفـت عـلى واحـد منهـم. رآني الطفـل أنظـر إليـه، واختبـأ في عجالـة خلـف تمثـال.

كانـت لـديَّ رابطـة مـع هـذا الكيـان، رغم أنـه كان مـن العسـير بالطبع العثـور عـلى شـخص لا أعرفـه هنـا. اعتاد هـذا الكيـان أن يكـون طفلي.

تحرَّكـتُ نحـوه وأمسـكت بـه. تمامًـا مثلـما حجـب فوكـسي رؤيتـي، لم أسـتخدم يـدي. جعلـت التعريشـات تنمـو وتسـدُّ طريـق هـروب الطفـل.

قلت: "يوهي المرح".

"المعلم نابان"، شهق يوهي. بدا الطفل مثل عجين من الطحين الأبيض، مع نتوءات بالكاد يمكن اعتبارها أطرافًا. أو بالأحرى كان يرقة بحجم إنسان مثبَّتة عليها عينان وأنف وفم. اختار يوهي مظهرًا غريبًا، وفقًا لأحدث بدعة من بِدَع تقليد الشكل البشري.

"أنا لست هنا لإثارة ضجَّة. أنا أبحث عن تانجاي. هل تعرف مكانه؟".

نظر يوهي يمينًا ويسارًا.

"قلت لك، أنا لست هنا بحثًا عن المتاعب. كان طفلك وطفلة تانجاي متزوِّجَيْن في مملكة الدنيا. لا بُدَّ أنكما رجعتما معًا. هل رأيت أين ذهب تانجاي عند رجوعكما؟".

تراجع يوهي إلى الوراء في رعب. زوج من المنحوتات التي وقفت بيننا، رجل وامرأة، تجرَّدا من ثيابهما، وبدأ كل منهما يداعب الآخر في مواضع مختلفة. بدا لي أنهما يقلِّدان تعابير وجهينا وإيماءاتنا. تركتهما يفعلان ذلك من منطلق معرفتي كيف لا يملك فوكسي شيئًا أفضل للقيام به.

"تعرف أن تانجاي غريب الأطوار قليلًا. بنى سفينة فضاء، وقفز على متنها، وهرب بعيدًا".

للحظة ظننتُ أنني أخطأت سماع ما قاله يوهي: "سفينة فضاء؟!".

"تنطلق بسرعة الضوء باستخدام وقود دافعٍ حيوي[1]، وهو أمر ممكن نظريًّا فقط في عالم الأحياء. بالطبع، صُنع مثل هذه السفينة

(1) مادة أو مجموعة مواد يُولِّد تفاعلها الكيميائي طاقةً تُستعمل في الدفع الذاتي للصواريخ أو يوَلِّد الغازات الساخنة التي تغذِّي حركة صاروخ ذاتي الدَّفع (المترجم).

هنا أسهل بكثير مقارنة بمملكة الدنيا. لا داعي للقلق بشأن أشياء مثل معدات النجاة، أو حدِّ التسارع".

"سفينة فضاء؛ أهذا ما تقول؟".

"حسنًا، أفترض أنه يمكنك تسميتها 'باردو' تانجاي، لكنها بالتأكيد سفينة فضاء. استخدمت الدفع الصاروخي. تانجاي... كما تعلم، تحكمه بالكامل قوانين الفيزياء ثلاثية الأبعاد حتى في مملكة الظلام".

بدأت أسأل: "هل قلت دفع صارو..."، لكنني بترت عبارتي، وقلت بدلًا من ذلك: "نعم، لأن تانجاي يفكر من منظور ثلاثي الأبعاد؛ ولهذا، سافر تانجاي في حيِّز ثلاثة أبعاد... المسافة المقطوعة تتوافق مع الوقت المنقضي. هل رأيت أي طريق سَلَكه؟".

أشار يوهي إلى مكان على مبعدة.

"جيد جدًّا. كنت مفيدًا".

استدرت لأغادر، لكن يوهي أوقفني. المنحوتتان اللتان كانتا تتطارحان الغرام بيننا، أطلقتا أنينًا استفزازيًّا. لا بُدَّ أن فوكسي قرَّر أن اللحظة تتطلب موسيقى خلفية.

"ماذا"؟.

"يا معلم، أنا... لم أكن أعرف أنه أنت".

"لا يهم. أنا أيضًا لم أتعرف عليكَ".

تركني يوهي قبل حياتين. كان الطفل مقاتِلًا في كل حياة جمعتنا معًا. حتى عندما كان ذئبًا أو خنزيرًا برِّيًّا. كرَّس حياته ووفاته في كل مرة من أجل التوزيع العادل للثروة والدخل. ثم نفدت طاقته واحترق. كما فعل الكثير من الأطفال. سئم يوهي من الخسارة، واعتقد أنني المشكلة.

- يا معلِّمي، أنا أخسر لأنك جعلتني فقيراً.

هذا ما قاله يوهي قبل أن يهجرني.

- لا يمكنني محاربة الأقوياء إنْ كنت عاجزاً.

وكان ردِّي:

- إن لم تكن فقيراً، لم تكن لتفكِّر في محاربتهم في المقام الأول.

- يمكنني تحقيق أي شيء بالقوة. متى ستكفُّ عن السماح لهؤلاء الماديِّين بإدارة العالم. يمكنني التَّجسُّد آلاف المرات في هذه الحالة، ولن تتغير النتيجة مطلقًا. لا يمكننا تغيير العالم هكذا!!

هكذا تركني يوهي. كما هو الحال دائمًا، رحَّب فوكسي بيوهي بذراعين مرحِّبتَيْن، وأعطاه حياة مثالية تلو الأخرى. في حياة يوهي الأخيرة، كان عبدًا للذَّاته الجنسية. لم يشعر بالذنب حيال مثل هذه الأمور. عاش معتقدًا أنه يستطيع مضاجعة عددٍ لا نهائي من النساء.

في حياتي السابقة، كنت إحدى النساء اللواتي مارس يوهي الجنس معهن. مارس الجنس معي مدَّةً أطول وبإصرارٍ أكبرَ من أي امرأة أخرى. قال إنه أعجب بي من النظرة الأولى. كلَّما التقينا، شدَّد على أنه وأنا لم نكن متساويين في الأصل.

لم يفهمني عندما قتلت نفسي. لم يتخيَّل أبدًا حياة الخضوع والإذلال؛ لذا لم يفهم ذَرَّةً واحدة من حياتي. اعتبر نفسه متشردًا بروح جامحة، وبطريقة ما كان كذلك.

"أتيت إلى هنا حتى توبِّخني على آخر مرة التقينا فيها في المملكة الدنيا، أليس كذلك؟" قال يوهي بكآبة.

لم أمتلك غُدَدًا لعابية، لكن كان ثمة طعم مرير في فمي.

"كلَّا. ما حدث قد حدث. بالنسبة لشخص انقسم كثيرًا مثلي، قدري أن أقابل الجميع مجدَّدًا في مرحلة ما. عالم الأحياء مدرستي أيضًا، وكنت بحاجة إلى تعلُّم ما يجب أن أتعلَّمه. عشتُ تلك الحياة من أجلي، وليس من أجل أي شخص آخر". "كنتُ أيضًا رفقة امرأة كانت والدتي في حياة سابقة"، تلعثم يوهي. "ورفقة أختي الصغرى السابقة، وابنتي السابقة...".

"لا بُدَّ أنهم كانوا من حولك لأنك شكَّلت روابط معهم بالفعل. وينطبق الشيء نفسه عليَّ. مَن منا لم تكن تربطه علاقة قرابة بكيان أو بآخر في وقت ما في مملكة الدنيا؟ إن واصلت التفكير بالطريقة التي تفكر بها، فلن يتبقى لك أحد لتحبه".

"معلِّمي، أنا...".

"ماذا؟".

"اعتقدت أنني إنسان عظيم". قال يوهي، وقد بدا وكأنَّ شيئًا قد انكسر بداخله.

"كان هذا درسَك. هذا يكفي".

شعرت وكأنَّ يوهي ينكسر أكثر قليلًا. لكنني كنت أنا الشخص المحطَّم حقًّا؛ إذ إنني عجزت حتى عن مواساة هذا الطفل الصغير.

في حين أوشك على مغادرة باردو فوكسي، اخترق صدري شيء. ليس بالمعنى المجازي. عبرت ذُبابَةُ مايو من خلالي، وكانت تحلِّق عاليًا الآن. كنت قد تركتها تمرُّ دون وعي مني تقريبًا. بوصف المملكة الدنيا، كان الأمر أشبه باستشعار حركة خلف ظهرك والتَّحرُّك جانبًا لا إراديًّا لتفاديها.

وكانت ذبابة مايو شائعةً بدرجة كافية. سواء في المملكة الدنيا، أم هنا.

كان الاختلاف أن كل شيء في باردو أي نبي يمتلك ذكاء. كانت السلالم التي وقفت فوقها، والمنحوتات بجواري ذكية. لا شيء هنا يجرؤ على إيذائي أو يعبر من خلالي دون قصد. مهما كان هذا الشيء، فقد مرَّ من خلالي عن عمد.

اختبار.

راق للأنبياء مفاجأة طلابهم بالاختبارات. يصدمونهم دون سابق إنذار أو يطعنونهم بإبرة لمعرفة ما إن كان بإمكانهم الانفصال عن أجسادهم مثل الماء أو تغيير شكلهم.

يتأكَّدون من وجود علامات الفساد من عدمه.

ولكن مَن يجرؤ على اختباري أنا- نبي؟

حسنًا، لا وجود للأسرار في مملكة الظلام. مهما بذلت قصارى جهدي حتى لا أشكِّل روابط في المملكة الدنيا، كان كل من أقابله هناك ولو مدة وجيزة، شقيقي أو عائلتي أو معلِّمي أو تلميذي. كل مَن تصادف أنني تناولت العشاء معه على الطاولة نفسها، أو ركبت معه السيارة نفسها، أو عشت معه في الحي نفسه، كان عشيرتي. يمكن للمراقب الدقيق أن يكتشف فسادي بمجرد أن يحتكَّ بملابسي.

مَن يمكن أن يكون؟ فوكسي؟ توشيتا؟ أيًّا كان، لم أكن أريده أن يكتشف بعدُ. ليس الآن.

ضخَّمت طرف إصبعي مثل علكة وبترته. حوَّلتُ القطعة المنفصلة إلى يراعة، وأرسلتها وراء ذبابة مايو. انطلقت ذبابة مايو أسفل الجبل، متَّبعةً انحناءات وانعطافات الدَّرَج. تسارَعَت وتباطأت، رقصت بهذه الطريقة أو تلك مُتظاهِرَةً بالتَّخلُّص من مطارِدتها، لكنها في الواقع كانت تجذبها إليها بدهاء.

طاردتها يراعتي وصولًا إلى أكاديمية تقع في منتصف الطريق أسفل الجبل، حيث كان الأطفال يوزِّعون منشورات.

منشورات!

كان تصنيع أشياء بسيطة مثل الورق أو القماش جزءًا من المنهج الدراسي الأساسي، ولكن هل كان ثمة أي معرفة هنا في مملكة الظلام تتطلَّب تمريرها كتابيًّا؟

لم يتراءَ لي أيٌّ من الأطفال مألوفًا. إنْ لم يكونوا مرتبطين بي، فلا بُدَّ أنهم حديثو الولادة. ربما لم يعيشوا سوى حياة أو اثنتين، أو ربما لم يزوروا حتى عالم الأحياء على الإطلاق.

قال طفل لا أعرف اسمه: "يجب أن نتخلَّص من نظامنا التعليمي الذي عفا عليه الزمن. مرة تلو الأخرى، نمحو ذكرياتنا ونهبط إلى عالم الأحياء لنتعلم ما نعرفه بالفعل، ونطوِّر تقنيات طوَّرناها بالفعل، وندرك حقائق أدركناها بالفعل".

صرخ الأطفال في نَفَسٍ واحد: "دعونا نتبع النبي أمان. يجب أن نتوقَّف عن تدمير عالم الأحياء تحت راية التعليم. يجب أن نتوقَّف عن نشر الكوارث والأمراض. دعونا نضع نهاية للحروب واللاجئين. الأنبياء لديهم القوة والحافز للقيام بذلك، ولكنهم يتجاهلون معاناة المملكة الدنيا".

أمان.

كان هذا اسمًا عرفته. قلَّبته في رأسي.

أمان، طفلي الأول، الكيان الأول الذي انفصل عني، والذي كان أنا يومًا. أول نبي يمسُّه الفساد. أكثر النَّبيِّين فسادًا على الإطلاق.

إذًا، بعض أطفال فوكسي ينضمُّون إلى أمان الآن. حسنًا، لم يكن ذلك مفاجئًا، نظرًا لقيم فوكسي البالية.

"قال أمان إنه يجب علينا أن نجعل المملكة الدنيا عالَمًا حكيمًا وعادلًا، أن نجعلها واقعًا، وليس وهمًا فوضويًّا من المشقة والفقر. وأنه يجب علينا تغيير العالم الذي دمَّره المعلمون الزائفون".

لم يذكر الطفل المعلِّمين الزائفين بأسمائهم، لكنني عَلِمتُ أنني من ضمنهم.

يا لها من فكرة عجيبة. إنْ كانت المملكة الدنيا مرآةً تعكس مملكة الظلام تمامًا، فما الهدف من وجود المملكة الدنيا؟

4

تمكَّنتُ من تحديد موقع "سفينة فضاء" تانجاي سريعًا لأنها كانت ثابتة.

كانت تطير بسرعة الضوء في حيِّزٍ ثلاثي الأبعاد، لكن بالنظر إليها من البعد الرابع -الزمن- لم تكن تتحرّك؛ وبالتالي كان من السهل العثور عليها.

كان منزل تانجاي نوعًا من البوارج الفضائية التي كانت لا تزال ضربًا من الخيال في المملكة الدنيا. لم تَحوِ السفينة كافيتريا ومهجعًا فحسب، بل ضمَّت أيضًا ورشة حِدادة، ومزرعة صغيرة، وحتى معبدًا صغيرًا. قد يكون وجود كافيتريا ومهجع مُبرَّرا، لكنني كنت حائرًا بشأن الاستخدام المحتمل للمعبد هنا.

لو أعطى تانجاي عالم الأحياء التكنولوچيا المستخدمة في بناء هذه السفينة، فلن يضطرَّ البشر بعد الآن إلى الحلم بغزو الفضاء. لكن هذا سيكون مصدرَ إزعاج لنا نحن الأنبياء؛ سيتعيَّن علينا إعادة تصميم هيكل المملكة الدنيا كله.

لم يكن هذا مصدرَ قلقي المباشر في حين أهبط على سطح السفينة، وأطلُّ بداخلها. كان تانجاي في قلب البارجة الفضائية -غرفة المحِّرك- يدقُّ بمطرقة؛ يصنع كرسيًّا. يتحكَّم في السفينة شخصيَّتان آليَّتان بذكاء نصفِ بشريٍّ اسمهما ميونغياك وجوانهوا. قاد ميونغياك

السـفينة، وحافـظ جوانهـوا عـلى سـلامة المرافـق. لم يكـن لـديَّ أدنى فكـرة عـمَّا إنْ كان ينبغـي أن أصنِّفهـما تحـت بنـد الأشـياء التـي "ولدهـا" تانجاي؛ وبالتـالي أرسِـلهما إلى المملكـة الدنيـا مـن أجـل التدريـب عـلى التناسُـخ والتجسُّـد أم لا.

ناديت من الخارج: "تانجاي".

قذف تانجاي الكرسي في ذعر، وسقط على مؤخِّرته.

"إنه أنا، نابان".

زحـف تانجـاي تحـت الطاولـة وسـحب الكـرسي نحـوه حتـى يختبـئ وراءه. يعتقـد الطفـل أن الصـوت لا يمكـن أن ينتقـل بـدون وسـيط، وأن الجـدار إمَّـا أن يحجـب الصـوت أو يغـيِّر اتجاهـه. حاولـت أن أشرح ذات مـرة: لا، كل مـن الصـوت والجـدران هـما جسـدي؛ لذلـك كل مـا كان عليهـما فعلـه هـو أن يتنـازل كلٌّ منهـما قليـلًا للآخـر، لكـن الطفل ببسـاطة لم يفهـم.

"افتح الباب".

"ارحَـلْ مـن فضلـك! أعنـي، ليـس الأمـر أننـي لا أحبُّـكَ، يـا مُعلِّمـي، إنـه فقـط أننـي لا أشـعر برغبـة في رؤيتـكَ اليـوم. أصابنـي المـرض. مـن فضلـك، عُـد غـدًا... لا، بعـد غـدٍ... لا، سـأتصل بـك لاحقًـا، مـع هديـة أو شيء مـن هـذا القبيـل...".

غـدًا، أليـس كذلـك؟ ضحكـت في قـرارة نفـسي. كيـف يمكـن للمـرء أن يـشرع في تعريـف كلمـة "يـوم" في مملكـة الظـلام في المقـام الأول؟

"هـل تعتقـد أنـه يمكنـك منعـي مـن الدخـول إنْ أبقيـت هـذا البـاب مغلقًـا؟".

كان صـوتي واثقًـا، لكننـي كنـتُ قُلِقًـا مـن أن يكـون الأمـر كذلـك. هـذه السـفينة مـن صُنـع تانجـاي نفسـه. سـتكون منغلقـة الفكـر تمامًـا مثـل

مُبدِعها. لم تكن تعرف من أين أتت في الأساس. كان عليَّ أن أعلِّمها من الصفر.

لكن تانجاي كان طفلي، بعبارة أخرى: جزء انفصل عن جسدي، جزء كان أنا قبل وقت ليس ببعيد. كان كل شيء يصنعه الطفل، بالمعنى الأشمل، من عشيرتي، ملكي. من المحتمل أن الأنبياء الآخرين لم يتمكَّنوا من فعل ذلك، لكني استطعت... هكذا ظننت على الأقل.

حاولت.

وضعت يدي على الجدار الخارجي، واطَّلعتُ على هيكله الجزيئي، الذي بدا لي وكأنه تشابُكٌ مُعقَّد من الخيوط. ذكَّرته بأيامه الأولى قبل أن يُسخَّن إلى درجات حرارة قصوى، قبل أن يُخلط وتتغيَّر بنيته الجزيئية. ذكرته بأصوله. حاولت إقناعه: أنا وأنت لسنا مختلفين، نحن الكيان نفسه. أنا، مثلك، مجموعة من الجزيئات، حيث الحيِّز بين كل جزيء فارغ، والمسافة بين النواة والإلكترونات فارغة أيضًا. الفراغ والامتلاء هما الشيء نفسه فعليًّا.

ارتبك الجدار. ثم قاومني.

أنا لست شكلًا حيًّا.

أجبته: لا شيء هامد.

أنا لست أنت. نحن غريبان.

لا يوجد غرباء.

أنا كائن صلب. لا يمكنك المرور.

لا شيء صلب.

فكَّر الجدار مَلِيًّا للحظة ثم طرح سؤالًا منطقيًّا.

إنْ لم تكن أنت وأنا مختلفين، ألا يمكنك اتِّباع أوامري؟

كانت حجَّةً سليمة. إنْ استسلمت الآن، فسأفعل الشيء نفسه من أجلك عندما تحتاج مني فعله.

عندئذ تمكَّنت من المرور.

على الجانب الآخر من الجدار، وجدت نفسي أقف في منتصف غرفة المحرك. كان تانجاي يرتجف تحت الطاولة، وعيناه فقط تطلَّان إلى الخارج، مثل شامة.

"من فضلك لا تقتحم المكان بهذه الطريقة. ذلك مخيف".

"إذًا كان عليك ألا تُجبِرني على ذلك".

تظاهَرتُ بالتَّماسُك، لكن كلماتي خرجت متلعثمة. أصبحت منهكًا فجأة. كنت قَلِقًا من احتمال أن أفشل في إقناع الجدار، وأعلق فيه بصورة هزلية، أو الأسوأ، أن أُترَك عاجزًا خارج الجدار مثل أحمق.

"لم أكن أتصرَّف بمحض إرادتي في حياتي الأخيرة". قال تانجاي وهو يسحب الكرسي أمامه أكثر لإخفاء جسده على نحو أفضل. أردت أن أضحك على محاولة تانجاي عديمة المعنى، لكن عندما نظرت من كثب، أدركت أنها كانت هادفة حقًّا. بدا الكرسي مشابهًا لتلك الكراسي التي تروِّج لها قنوات التَّسوُّق المنزلي في المملكة الدنيا، مع عبارات دعائية على غرار "متطوِّر! مريح! إنه ليس أثاثًا بل عِلم". لم أستطع حتى أن أبدأ في فهم آلية عمل العجلات أو ظهر الكرسي. حتى أتجاوز ذلك الكرسي، سأحتاج على الأرجح إلى إقناع كل مسمار ومكوِّن صغير فيه.

"تواصل المعلم فوكسي معي أوَّلًا. كيف تتوقَّع من ضعيف مثلي أن يقول 'لا' لفوكسي؟".

"أنا لست هنا لمناقشة ذلك".

"كل مـا فعلتـه الحصـول عـلى بعـض المـال. كان بمثابـة تمريـن ريـاضي. طـوَّرت واختـبرت نظريـات حـول كيفيـة مضاعفـة المـال. كان الأمـر أكاديميًا بحتًـا. لكنـك تخـبرني أن أتخـلَّى في حيـاتي التاليـة عـمَّا اسـتمتعت بـه في حيـاتي الأخـيرة. حسـنًا، لـن أفعـل. لقـد قلتهـا بنفسـك: 'المصيبـة لا ينبغـي أن تكـون عقابًـا، تمامًـا كـما لا ينبغـي أن تكـون السـعادة مكافـأة'. المملكـة الدنيـا هـي المـكان الـذي نتعلـم فيـه. ثمـة غايـة واحـدة فقـط لـكلٍّ مـن المصيبـة والسـعادة، ألا وهـي التَّعلُّـم".

بينـما تانجـاي يثرثـر، كنـتُ في حـيرة مـن أمـري بشـأن مـا يجـب أن أفعلـه بالكـرسي حتـى أدركـت حماقتـي. دفعتـه جانبًـا بيـدي.

نظـر تانجـاي خلفـه بشـكل محمـوم كـما لـو كان يأمـل في العثـور عـلى بـاب هنـاك. لم يكـن الطفـل قـادرًا عـلى الهـروب عـبر الحائـط إلا إنْ أحـدث ثقبًـا فيـه بصولجـان حديـدي. جلسـت أمامـه.

"أنـا لسـتُ هنـا لأوبِّخـكَ. إنْ كنـت لا توافـق عـلى طرائقـي، فأنـت حـرٌّ في تَـركي. سـوف يسـاعدك معلـم آخـر في نسـج حياتـك. وإنْ تركتنـي، فـلا داعـي للخـوف منـي. ولا يتعـيَّن عليـك الاسـتماع إليَّ. لـذا يمكنـك طـردي مـن هنـا الآن. إنْ كان هـذا مـا تريـده، فقُـلْ ذلـك".

بدا تانجاي بائسًا.

"لا بـأس أيهـا الطفـل. لا يوجـد درس مُعـيَّن أسـمى مـن درس آخـر. يعـبِّر كل منهـا عـن قِيَـم مختلفـة فحسـب. هـل سـتذهب إلى فوكـسي؟".

"لا"، أجـاب تانجـاي بحـزن وزحـف خارجًـا. "سـوف تعطينـي حيـاة رهيبـة، أليـس كذلـك؟ مـاذا سـتفعل؟ سـتضعني في منـزل فقـير أو بلـد محـاصَر في حـرب أهليـة وتمنعنـي مـن الدراسـة؟ سـتقول إن ذلـك بـدوره تعلُّـم. أنـت تعاقبنـي حقًّـا، لكـن بالطبـع لـن تعـترف بذلـك أبـدًا".

أجبته: "جئت لأعرف منك كيف استطعت التَّناسُخ؟".

***

"متى اكتشفتَ ذلك؟" سألني تانجاي فور عودته من المستودع وهو يجرُّ عربة ملأى بحزم الأسلاك والبطاريات والمحطات الكهربائية والشاشات وأشياء ما زلت لا أرغب في إلقاء نظرة عميقة بداخلها. في هذه الأثناء، كان الجدار يعاني من أزمة هوية بعد أن سمح لي بالمرور من خلاله؛ ظل يتمتم إلى نفسه، أنا صلب... أنا سائل.

"من الصعب ألا أعرف شؤون طفلي".

"هل يعلم المعلمون الآخرون؟ سيعزلونني لو عرفوا".

"سيفعلون ذلك حقًّا".

همَّ تانجاي بقول شيء ما، لكن لأنه تعلَّم مبكرًا عدم جدوى المقاومة بصفته تلميذي، سقط في صمت محزون. استمر الجدار في الضجيج. أنا ناعم، أنا جامد.

"لم أتمكن من تحويل نفسي إلى جسد روحي لبعض الوقت الآن. التَّأمُّل والدعاء لا يجديان نفعًا. يتراءى لي ذلك مستحيلًا". ضغط تانجاي على راحة يده. غاصت راحته ثم ارتفعت مرة أخرى مثل عجينة معجونة جيِّدًا. "لا يمكنني حتى تَغيُّر شكلي بعد الآن. لذا فكَّكت جسدي بدلًا من ذلك، وأرسلت الأجزاء إلى جنين في المملكة الدنيا، وأعدتُ تجميع نفسي في تسلسل من الحمض النووي. ثم أضفت الأجراس والصفارات. كأنني أصرخ: 'أخرجني من هذا المكان'، كما لا بُدَّ وأنك تعلم؟".

رفع تانجاي يده، راحته لأعلى، وفصل أصابعه في المنتصف مُشكِّلًا زوجًا من الأيادي. أنزل تانجاي يده ببطء عندما لم أقدِّم أي تعليق.

"إنه أسهل بكثير من نقل جسم من المملكة الدنيا. يمتلك الجسم دماغًا وشبكة عصبية... هو أشبه بروبوت مبني بطريقة خرقاء، مع لصق أجزاء جديدة بين الحين والآخر بنموذج قديم. ولديه قدر مبالغ

فيـه مـن البيانـات الوهميـة. لكـن أجسـامنا الحقيقيـة بسيطة.''أبسـط الحلـول أفضلهـا'، كـما تعلـم؟... أو ربمـا لا".

تجاهلـت تانجـاي ودرسـت الآلـة أمـام عينـي. كانـت عبـارة عـن أنبوب زجاجـي، عريـض بمـا يكفـي لشـخص واحـد. كانـت ثمـة كـوَّة في الأعـلى، وبطانيـة ورديـة مفـرودة في الأسـفل. وضعـت يـدي عـلى الزجـاج. إقنـاع تلـك الآلـة كان صعبًـا، لكننـي اسـتخلصت بعـض المعلومـات مـن خـلال التحـدث إليهـا.

"أيٌّ مـن المعلمـين يشـكِّل الجيـل الأول؟" سـأل تانجـاي، كـما لـو أن السـؤال قـد طـرأ عـلى بالـه فجـأة.

"لا يوجـد جيـل أول. الجيـل الثـاني هـو أقـرب وقـت يمكننـا العـودة إليـه كمرجعيـة".

"لكـن لا بُـدَّ أننـا كنـا كيانًـا واحـدًا في البدايـة. مثـل الفـوضى أو الكـون قبـل الانفجـار العظيـم، عـلى سـبيل المثـال، أو أميبـا أو خليـة سرطانيـة، أو وحشـا متلوِّيًـا، متغيِّر الشـكل. في المـاضي عندمـا كانـت ثمـة كثافـة واحـدة وذات واحـدة. مَـن كان ذلـك الكائـن الأول؟".

"نحـن جميعًـا الجيـل الثـاني. انقسـمنا في الوقـت نفسـه، لم يـأتِ أحـد أولًا".

"تقصد أن لا أحد يتذكر الزمان الذي كنَّا فيه واحدًا؟".

"لا يوجد شيء لنتذكره. لم يحدث شيء على الإطلاق حينئذٍ".

جمعـت بعـض جسـيماتي. كان معظـم جسـدي يطفـو حـولي كالغبـار في الوقـت الراهـن. لـو ضغطـت كل شيء في كيـان واحـد، فسـأكون بحجـم كويكـب، ومـا اسـتطعت دخـول سـفينة الفضـاء هـذه.

اهتـزَّت الجـدران وتدحرجـت الأشـياء المتناثـرة عـلى الأرض، نحـوي. تمسَّـك تانجـاي بكرسـيه. قـال إنـه كلـما صنعـت شيئًا مـا، شـعر أنـه سـوف "يُمتَـصُّ" داخـلي. عـلى ذلـك رددت: "أوه، هـذا مـا يحـدث فعـلًا".

تدفَّـق سـائل لـزج مـن أناملي إلى داخـل ناقلـة تانجـاي. انتفـخ السـائل مثـل رغيـف خبـز، وتصلَّـب في شـكل إنسـان بالـغ. كان لا يـزال مرتبطًـا بي، ولم يُمنَـح شـخصية بعـدُ.

بـدا تانجـاي وكأنـه يرغـب في البلـع. لـو كان لديـه لُعـابٌ فقـط. "هكـذا صنعتنـي أيضًـا، أليـس كذلك؟".

"أنا لم أصنعك. ببساطة قسَّمت نفسي".

"لا يختلـف ذلـك عـن الصُّنـع. يولَـد الأطفـال بهـذه الطريقـة في المملكة الدنيـا أيضًـا. عندمـا تتَّحِـد جينـات الأم والأب، وتسـتقر في الرحـم الـذي تحـوِّل إليـه الأم العنـاصر الغذائيـة التـي يمتصُّهـا جهازهـا الهضمـي. تقسِّـم الأم الخلايـا وتُنمِّيهـا إلى طفـل. إنهـا تتبـع العمليـة نفسـها التـي نتبعهـا نحـن، إلا أنهـا تفعـل ذلـك دون وعـي منهـا... الأمـر أشـبه بتحـوُّلٌ جزيئـي، إذا جـاز التعبـير".

"نحـن لا نصنـع أشـياء لم تكـن موجـودة مـن قبـل. الكتلـة الكليـة تبقـى ثابتـة".

"الأمر نفسه مع إنجاب الأطفال. لكنها لا تبدو كذلك فحسب".

حـرَّك جوانهـوا ذراعـه الميكانيـكي، ودفـع طرف سـلك كهربائي في الجسـم الدافـئ المعجـون حديثًـا. وجـد السـلك طريقـه إلى النقطـة المرغوبـة دون الحاجـة إلى القلـق بشـأن القيـود المفروضـة عـلى أجسـام المملكـة الدنيـا، مثـل تمـزُّق وعـاء دمـوي بطريـق الخطـأ والتسـبب في نزيـف، أو حـدوث ثقـب في الأمعـاء.

كانت حواسي لا تزال مرتبطة بالجسم؛ ممَّا سمح لي باستشعار ومعرفة مكان اختراق السلك وماهيَّة التفاعلات الكيميائية التي يطلقها.

أشرت: "هذه الطريقة التي تصنع بها جسمًا روحيًّا".

"لست مَن يفعل ذلك. إنها الكيمياء".

"إذًا يمكنك أن تؤمن بهذا، ولكن ليس بقدرتك على تغيير شكلك".

"ليست مسألة إيمان، إنه علم! إنه ليس نوعية السحر الذي أنت...".

لو كان بوسعي إقناع تانجاي بالتعلُّم، لكنتُ فعلت ذلك سلفًا.

انتهيت من تحليل آلية الناقل ثم تخلَّيتُ عن اتصالي به. ما كان جزءًا مني قبل لحظات انفصل الآن، حتى لو أنه لا يزال من الممكن تسميته "أنا"، واحتاج إلى مزيد من الوقت لاكتساب فردانيته. شاهدت الآلة تُفتِّت الجسم الجديد، وتحوِّله إلى موجات راديو، وتنقله إلى المملكة الدنيا.

"لا يوجد إقناع، كما أرى".

"سمعتني، أليس كذلك؟ إنه عمل الكيمياء".

أجبر الناقل الجزيئات على التَّفكُّك قبل امتصاصها. تخطَّى خطوات الإقناع والتفاوض، ولم يكن هناك ذِكرٌ لشيء من قبيل "أنت وأنا متماثلان، وكلٌّ منَّا بحاجة إلى الآخر...". امتثلت الجسيمات لتعليمات الآلة مثل الأشياء الهامدة، وتفكَّكت.

يا له من شيء مثير للاهتمام. هل علم هذا الطفل الصغير أنه فاقني تمامًا في بعض النواحي؟ ليس أنا فقط، ولكن كل الجيل الثاني؟

سألني تانجاي: "ما الذي تحاول معرفته؟".

تظاهَـرتُ أننـي لم أسـمعه، ووضعـت يـدي عـلى الآلـة حتـى أطـرح عليهـا استفسـارات أكـثر تفصيـلًا. إقناعهـا لا يـزال صعبًـا، لكنـه أعطـاني إجابـات، وإن كان ببـطء. اسـتمعت بعنايـة مثـل طالـب مُجِـدٍّ.

سـألني تانجـاي: "لمـاذا مــن المهــم ألَّا يشــتمل الأمـر عــلى إقنـاع؟" جاهـلًا كـما كان ينبغـي أن يكـون الطفـل، لا بُـدَّ أن شـعورًا مشـؤومًا قـد سـاور تانجـاي أخـيرًا.

"لأنني أريد أن أظل'أنا'".

"لماذا؟".

"لو لم أكن أنا، فربما أعيد التفكير فيما أنا مُقدِم على فعله".

"كيف تعرِّف 'أنا'؟".

سؤال عميق إلى حدٍّ ما؛ يجب أن أعترف.

"كل كيان على استعداد للقيام بما أنا على وشك القيام به".

كان تانجـاي مرتبـكًا. لم تكـن إجابتـي تتَّفـق مـع شـخصيتي. ولا مـع شـخصية أي نبـي. النبـي الـذي يعطـي أي إجابـة غـير "كل شيء أنـا" لا بُـدَّ وأن يـدق ناقـوس الخطـر بداخـل المسـتمع، لكـن لم يلاحـظ الطفـل الغافـل ذلـك.

سألني: "إذن، هل انتهيت من التعلُّم؟".

"ليـس بمـا يرضينـي". ثـم أضفـت بنـبرة مشـوبة بالتهديـد لاسـتفزاز الطفـل، "لكـن سـأتمكَّن مـن ذلـك لـو اندمجـت معـك".

تعـثَّر تانجـاي إلى الخلـف، وأسـقط الكـرسي وكل شيء حولـه. غمغـم وهـو يزحـف فـوق الأرض، "حـان الوقـت، أوه، حـان الوقـت...".

ضحكت. "أنا أمزح".

"أنا... أنا لست خائفا. لن أموت. سأرجع فقط إلى حالتي الأصلية". قال تانجاي دون فهم حقيقي لما يقول. "أليس كذلك؟ كنا في الأصل كيانًا واحدًا. كنتُ أنتَ في السابق، يا معلمي. قسَّمت نفسك ببساطة. مثل الأميبا... أو دودة البلاناريا؟".

أجبته: "هذا صحيح". باستثناء، أنه بالمعنى الدقيق للكلمة، لم يكن كذلك. لسنا منقسمين. وما كنا في السابق واحدًا، بل لا نزال كذلك. قسَّمنا شخصياتنا، وانفصلنا كل منا عن الآخر في حيِّز ثلاثي الأبعاد، لكننا بقينا متصلين في البعد الرابع. مع أن هذا لم يكن شيئًا توقعت أن يستوعبه تانجاي.

تابع تانجاي: "لا يوجد شيء اسمه حيِّز فارغ، فقط اختلافات في الكثافة. إنْ زادت الكثافة عن حدٍّ معين، فستشد الفضاء المحيط بها، وهذه هي الطريقة التي تولِّد بها الجاذبية. الأمر أشبه باعتصار لحمكَ. وهو في الواقع كذلك. كل شيء متصل. الكون كله. في النهاية نحن واحد. نحن أكبر من غايا[1]. نحن الكون. أم يجب أن أقول نحن الفوضى...".

علَّقت: "لقد ألقيتَ حديثًا حول هذا الموضوع في المملكة الدنيا".

"تحدَّثتُ عن ذلك، لكنني لم أفهمه أبدًا".

تظاهر تانجاي بالتنهُّد. كان شائعًا بين الأطفال الأصغر عمرًا أن يحتفظوا بعاداتهم من المملكة الدنيا.

"لماذا؟ كانت نظريتك عن الأوتار الفائقة جهدًا يستحق الثناء. لا سيما بالنسبة لشخص غير قادر على تخيل الأبعاد الأربعة".

---

(1) وفقًا للأساطير اليونانية القديمة للخلق، فإن غايا هي ابنة كاوس، الإله الأول والأقدم ممثلًا الفراغ البدائي الذي نشأ كل شيء منه. وهي تجسيد الأم الأرض، والتي ارتفعت منها السماء، وخُلِقَت منها الجبال والبحر (المترجم).

"آه، من فضلك لا". لوَّح تانجاي بيديه احتجاجًا وتورَّد وجهه غضبًا.

لم تكـن النظريـة بعيـدة كل البعـد عـن الحقيقـة. كل واحـد منَّـا شـكَّل وتـرًا واحـدًا، وتانجـاي وأنـا النقطتـان اللتـان يتشـابك فيهـا الوتـر حتـى يخلـق أجسـامًا متذبذبـة. لكـن غابـت الاسـتمرارية عـن شـخصياتنا.

"أنـا خائـف الآن، لكننـي سـأكون سـعيدًا بمجـرد أن نندمـج. سـأعود إلى مـا كنـت عليـه. عندمـا تمـوت في المملكـة الدنيـا، فأنـت تكـره ذلـك، ولكـن بمجـرد موتـك، تفكّـر 'واو، السـؤال الـذي حـيَّرني طـوال حيـاتي، قـد حلَّلتُـه سـلفًا قبـل ثلاثـة آلاف عـام'، وتغـدو سـعيدًا إذ تـدرك أنـك لم تَمُـت عـلى الإطـلاق. أعتقـد أن هـذا سـيكون مشـابهًا، أليـس كذلـك؟".

قاوَمـتُ إغـراء القـول، "نحـن كيـان واحـد حتـى إن لم نندمَـج". عوضًـا عـن ذلـك قلـتُ، "أفـترض ذلـك. لكننـي أخبرتـك بالفعـل أننـي لسـت هنـا مـن أجـل ذلـك؛ أنـوي تأجيـل الاندمـاج معـك لأطـول مـدة ممكنـة".

سـأل تانجـاي بحـذر: "لمـاذا هـذا؟"، سـمعت أيضًـا الاتهـام غـير المعلـن المسـتتر وراء هـذه الكلـمات: "أكلـت كل الطـلاب الكبـار، فلـماذا تعفيني؟".

"حسـنًا، يـتراءى لي أنـك تقـف عنـد حافـة الفسـاد. عـادة، أي شـخص بحالتـك الذهنيـة كان ليفسَـد عـدة مـرات بالفعـل. لا أسـتطيع أن أخمِّـن أيـن نقطـة اتِّزانـك، ولـن أسـتطيع معرفـة ذلـك أبـدًا إذا أنـا اندمجـت معـك. أريـد أن أراقبـك كـما أنـت مـدَّة أطـول قليـلًا. واكتشـف مـا الـذي أحـاول أن أتعلَّمـه منـك".

صمـت تانجـاي. وكذلـك صمتـت السـفينة بأكملهـا. هـدأ ميونجيـاك وجوانهـوا أيضًـا. توقَّـف الجـدار المغمغـم عـن التأمُّـل، ونظـر إلينـا. اسـتجابت المسـاحة بأكملهـا لأفـكار تانجـاي. لـن يكـون تانجـاي وحيـدًا أبـدًا إذا كان أكـثر اسـتنارة. إنْ علـم أن كل مـن أبدعهـم كانـوا يحرسـونه دومًـا.

"هذا فساد، أليس كذلك؟" سأل تانجاي.

رأيت من خطر في ذهن تانجاي في تلك اللحظة. لا يسعني إلا أن أرى. لأن السفينة بأكملها كانت تفكر في الشخص نفسه. كل جزيء من جزيئاتي المحيطة بالسفينة كان يفكر في الشخص نفسه.

أضاف تانجاي: "أن أصبح غير قادر على الإيمان بأن العالم كله أنا".

أمان.

انقسامي الأول. أول كيان من الجيل الثالث. أول نبيٍّ من الجيل الثالث. أول نبيٍّ فاسد. النبي الذي نشر الفساد في الكون.

أمان.

تمتمت بالاسم بخفوتٍ في رأسي. لم يسمع تانجاي، لكن جوامد السفينة تعجُّ بالمحادثات.

استطرد تانجاي: "الاعتقاد أن الجسد حقيقيٌّ في حين أنه مجرد وهم. الإيمان بأن ذاتك الحالية هي كل ما لديك في حين أنها جزء واحد فقط من العالم". نظر تانجاي إلى جسده وقال: "مثل المعلم أمان".

- نمحو ذكرياتنا وندخل عالمًا جديدًا.

رنَّ صوت أمان، المليء بالنشاط في أذني.

"لأننا يجب أن نتعلم الحكمة لا المعرفة. لا نستطيع التعلُّم من المعرفة. يجب أن نتعلم من الحياة نفسها. دعونا نبني مدرسة في مركز عالمنا، ونمحو معرفتنا، ونقفز إلى حلبة الحياة الديناميكية".

5

أجبت أمان: "يا لها من فكرة غريبة، اقتراح أن نمحو ذكرياتنا. حتى الآن لم نفكر إلَّا في تقسيم شخصياتنا".

كان أمان طفلًا لا يمكن التنبؤ به. تفتَّق ذهنه عن فيضٍ لا نهاية له من الأفكار الجديدة. كان متحمِّسًا ونشطًا. لم أستطع أن أفهم كيف "وُلِدَت" مثل هذه الشخصية.

قبل أن ننقسم جميعًا، كنَّا كتلة عملاقة، مجردة، راكدة، بلا غاية، وغير متغيِّرة. لم تخطر ببالنا أي فكرة جديدة أبدًا خلال تلك الحالة، لأنه لا يمكن أن يحدث أي شيء جديد على الإطلاق. كانت فكرة الانقسام بالنسبة إلينا معجزة بحد ذاتها.

حقَّق الانقسام الأول نجاحًا معتدلًا. لكن الجميع كانوا حَذِرين بشأن جولة أخرى من الانقسام. هل يمكننا التعامل مع هذا العدد الكبير من الكيانات؟ هل عشرة ليست متنوِّعة بما فيه الكفاية؟ هل يمكننا لمُّ شَمل شخصياتنا الفوضوية من جديد عندما يوجد عشرون أو ثلاثون كيانًا منبثقًا عنَّا؟ ماذا لو لم نتمكن من العودة إلى شكلنا الأساسي؟

أجريت الانقسام الثاني قبل الآخرين كاختبار. في الماضي عندما خضعنا لانقسامنا الأول، كان من المفترض أن أكون الجسدَ المركزيَّ الذي يندمج فيه الجميع مرة أخرى إنْ حدث خطأ. هذه المرة جرَّبنا

العكس. إنْ ساءت الأمور، فسيعمل الجميع معًا لإعادة دمجي مع أمان مُجدَّدًا. كنت عديم الخبرة بالانقسامات في ذلك الوقت، ومنحتُ نصف جسدي تقريبًا؛ ممَّا أدَّى إلى فقداني الذاكرة وتغيير في شخصيتي. بعد أن فقدت الاستمرارية مع جسدي الأم، لم أستطع الاحتفاظ باسم إيساتا، وأعدت تسمية نفسي باسم نابان.

كان أمان طفلي الأول، وبالتالي كان طفلنا الأول. الكيان الأول الذي قطع الاستمرارية عن الكل. أول جيل لم يشعر بأي ارتباط بالأزمنة البدائية. منذ لحظة ولادته، كان أمان مشغولًا بابتكار الألعاب الشقية والمسلية. أمان كان دليلًا على الانقسام الناجح، منارة مشرقة تشي بمستقبل زاهٍ.

"لكن إنْ محونا ذكرياتنا، فكيف سنعود من هذه المدرسة؟" سأل فوكسي متسائلًا عن أي أفكار فضولية تلك التي يحملها أمان الآن. في ذلك الوقت، كنَّا لا نزال صغارًا، غير متمايزين نسبيًّا، وننسجم جيدًا فيما بيننا. وأضاف فوكسي: "يجب أن نتخرج على الأقل. لا يمكننا العيش طُلَّابًا إلى الأبد، هل يمكننا ذلك؟ مع عدم وجود ذكريات، سننسى كيف نجعل أجسادنا روحية. كيف سنعود في هذه الحالة؟".

كانت اللغة لعبة مُسلِّية أيضًا. من خلال قطع الروابط بين عقولنا، اكتسبنا متعة ابتكار أدوات جديدة للتواصل. انشغلنا بصنع آلاف العلامات والرموز كل يوم. في السابق عندما كان لدينا تواصُلٌ مثالي، لم نشعر بأي رغبة في التفاعل الاجتماعي. مَن كان يعرف أن القيود والعراقيل يمكن أن تكون بهيجة ومسلية؟

كانت فكرة أمان أن نبني عالم الأحياء. اقترح أمان إنشاء مكان خاص يمكننا الذهاب واللعب فيه مدة من الوقت بموجب مجموعة معينة من القواعد. مساحة تحكمها لعبتنا فقط.

"يمكن لأي أحد أن يدخل مملكة الدنيا، ويُعيدنا من هناك".

هـزَّ أمـان رأسـه عـلى اقتراحـي. "حينـذاك سيكتشـف الطـلاب وجـود مملكـة الظـلام. يجـب أن يكـون التفاعـل بـين المدرسـة ومملكـة الظـلام مقصـورًا عـلى الكائنـات الروحيـة".

فكَّـر أمـان في المشـكلة، واسـتحضر هيـكلًا بسـيطًا عـن طريـق فصـل جـزء صغـير مـن جسـمه. كان جهـاز ذاكـرة يسـتخدم أربعـة أنـواع مـن القواعـد النوويـة كلغتـه... أعطـى التجـاذب بـين القواعـد النوويـة شـكلًا حلزونيًـا مزدوجًـا. سيكتشـف تانجـاي ذلـك لاحقًـا، ويطلـق عليـه اسـم "DNA".

"دعونـا نسـجِّل تواريـخ انتهـاء صلاحيتنـا هنـا ونحملهـا داخـل أجسـادنا عندمـا نذهـب إلى مملكـة الدنيـا"، قـال أمـان، وجهـه مـشرق بالفخـر وتهنئـة الـذات عـلى التفكـير في مثـل هـذه الفكـرة الرائعـة. كان أمـان حقًّـا مُحبَّبًـا. كان الحـب عاطفـة جديـدة، نعمـة جديـدة تعلمناهـا مـن خـلال الانقسـام.

"نضـع حـدًّا زمنيًـا، بحيـث عندمـا يمـرُّ قـدرٌ مُعـيَّن مـن الوقـت، نـترك أجسـادنا بشـكل طبيعـي ونجعلهـا روحيـة مـن جديـد، ونعـود إلى مملكـة الظـلام. سـنُجَدوِل رجوعنـا في نهايـة مخطَّـط لهـا، كـما تـرون. الاسـم الـذي قـد يكـون جيـدًا لذلـك...".

لم نكن نعرف ماذا نسمِّي هذه النهاية.

لأن لا أحد منَّا عرف ما هية "الموت" بعد.

بـدأت المدرسـة بسلسـلة مـن الإخفاقـات. عدنـا في نهايـة كل فصـل دراسي مُحرَجـين مثـل طـلَّابٍ ذوي قـدرات تحصيليـة ضعيفـة، انتهـى بهـم المطـاف بفشـل متوقَّـع. كان محـو ذكائنـا مسـألة مهينـة، ناهيـك بكونهـا مقلقـة. كانـت معظـم نسـخ الحيـاة التـي عشـناها في المملكـة الدنيـا مضيعـة ميـؤوس منهـا للوقـت.

في كل مرة رجعنا فيها، ناقشنا كيف ينبغي أن نعيد تصميم عالم الأحياء. لم تكن المملكة الدنيا في أيامها الأولى مختلفة تمامًا عن مملكة الظلام. كانت بمثابة حيرة مطلقة، غير مستقرة ومرنة. حاولنا تشكيل قطعة صغيرة من الأرض وتزويدها بمخلوق مثل ثعبان أو سلحفاة، أو غرس شجرة عملاقة في وسط الأرض، لكن أيًّا من هذه المحاولات لم تُرضينا. بهدوء، قضينا وقتنا هناك ورجعنا. كانت مشكلتنا الكبرى أننا كنا "نموت" بسهولة بالغة. سابقًا، لم يفعل أحدنا أي شيء لتجنُّب الموت. كنا نجوب في أجسادنا كما نشاء، مثل الأطفال الذين مُنِحوا لعبة لأول مرة. ألقينا بأنفسنا من فوق المنحدرات، وهشَّمنا أجسادنا من أجل المتعة، ثم تساءلنا لماذا لم تَعُد -أجسادنا- إلى حالتها الأصلية.

قال أمان: "لا يمكننا التخلص من قاعدة ضرورة العودة إلى الحالة الروحية عندما تتضرر أجسادنا بشكل لا يمكن إصلاحها. جرُّ جسم متحلِّل في الأنحاء مضيعة للوقت. من الأفضل الخروج من المملكة الدنيا، والرجوع مرة أخرى بأجسام سليمة".

"نعلم. لكننا لم نضطر من قبل إلى الحيلولة بين أجسادنا وتعرُّضها للأذى". أجبنا أمان بفزع، كما لو كنَّا تلاميذ يُنذرهم معلمهم. فكر أمان طويلًا وبجدٍّ.

"سأحاول تجنيبنا الضرر المادي. من خلال جعله مؤلمًا بحيث نفزع لمجرد الاصطدام بشيء ما...".

كنت أول مَن زُرِع الجين المعدَّل في جسدي قبل دخول عالم الأحياء. نتيجة لذلك؛ أصبح جسدي أكثر تعقيدًا. ثُبِّتت مستقبلات الألم بداخله، وصُنِع جهاز عصبي حسي لمعالجة المؤثرات الخارجية. كان الموت مختلفًا تمامًا هذه المرة.

تحاشاني أمان مدَّةً طويلة عندما رجعت من تلك الحياة. كان مقتنعًا بأنه كان فشلًا ذريعًا، وأنني سأدمره بالاندماج معه.

"يـا معلـم. أنـا... لم يكـن لـديَّ أي فكـرة أن ذلـك سـيحدث. لم أكـن أعلـم أنـك سـتتألم كثـيراً هكـذا. ليـس حتـى في أكـثر أحلامـي جموحًـا".

إنْ كانـت لدينـا حينـذاك عـادة اتِّخـاذ شـكل ثابـت في مملكـة الظـلام، لـكان وجـه أمـان قـد تحـوَّل بـلا شـك إلى اللـون الأحمـر وانفجـر باكيًـا. لكـن في ذلـك الوقـت كنَّـا مجـرَّد كـرات مـن الضـوء تغـيِّر شـكلها باسـتمرار.

"لا تشغل بالك. كانت تجربة مذهلة".

"يجـب أن أبحـث عـن طريقـة أخـرى، رغـم ذلـك. مثـل هـذا الألم. إنـه شيء فظيـع".

"لا، هـذا هـام. كيـف أصيـغ هـذا. كان بالفعـل يتجـاوز أكـثر أحلامـي جموحًـا...". تباطـأ إيقـاع حديثـي بينـما عـادت إليَّ ذكريـاتٌ حيَّـة مـن حيـاتي، مندفعـة. كنـت أتجـوَّل في الأرجـاء، غـير راغـب في المـوت. قاومتـه وقـد تملَّكتنـي إرادة الحيـاة. سـعيت وراء الحيـاة كأنـه مقـدَّر لي أن أقضـم لحمهـا؛ أن أعيـش حتـى آخـر لحظـة فيهـا.

قلـت: "أعتقـد أن هـذا المـكان الـذي يكمـن فيـه التعلُّـم الحقيقـي. لم أسـعَ وراء شيء بهـذه الشراسـة مـن قبـل كـما فعلـت حينهـا. كان كل شيء ديناميكيًّـا للغايـة. حتـى في عـالم بـدائي جـدًّا. لكـن حـاول إضفـاء بعـض المتعـة أيضًـا، في المـرة القادمـة".

كان أمان نادمًا وطلب مني مرة أخرى العفو عنه.

طمأنتـه، "لـو حقَّقنـا توازنًـا جيِّـدًا بـين الاثنـين: الألم والمتعـة؛ لا بُـدَّ وأننـا سـنغدو قادريـن عـلى توجيـه الحيـاة في الاتجـاه الصحيـح بصفـة عامة".

أضفنـا عنـصرًا في كل مـرة دخلنـا فيهـا إلى عـالم الأحيـاء. أضفنـا شـيفرة الجـوع حتـى نتذكـر أن نـزوِّد أنفسـنا بالطاقـة، وحاسَّـة التَّـذوُّق حتـى نستشـعر فائـدة الطعـام لأجسـامنا. وهبنـا أنفسـنا القـدرة عـلى التمييـز بـين البـارد والسـاخن. غرسـنا الخـوف فينـا حتـى نكتشـف الخطـر قبـل

وقوعـه، ولا سـيما الخـوف مـن الظـلام، والوحـوش الخطـيرة، والحـشرات السـامة. وضعنـا إرشـادات فضفاضـة لمسـاعدتنا عـلى البقـاء عـلى قيـد الحيـاة دون أي معرفـة.

قرَّرنـا أن نبـدأ في مزاوَجَـة الجينـات عندمـا أبدنـا عـن طريـق الخطـأ النظـامَ البيئـي بأكملـه. تعلَّمنـا أن المزاوجـة العشـوائية بـين الجينـات كانت أكـثر نفعًـا مـن الجمـع بـين الجينـات الجيـدة فقـط. أضفنـا أيضًـا غريـزة الاحتيـاج إلى العاطفـة، وهـي حاجـة تضاهـي الألم قـوة. وأدخلنـا الحاجـة إلى الحفـاظ عـلى السـلالة بالإضافـة إلى الحـب الرومانـسي، والعاطفـة تجـاه الأسرة. واصلنـا التدخـل؛ لأنـه كلـما زاد ذكاء الـذوات التـي نخلقهـا ونرسـلها إلى المملكـة الدنيـا، أصبحـت غريزتهـم مـن أجـل العـودة إلى وطنهـم الحقيقـي، أقـوى. عنـد أدنى إهـمال، يتنامـى الاعتقـاد السـائد بتقديـر الحيـاة الآخـرة عـلى الحيـاة نفسـها.

تزاوَجـتُ مـع أمـان في إحـدى نسـخ حيـاتي في المملكـة الدنيـا. حالمـا عُـدتُ إلى مملكـة الظـلام، صرخ أمـان، الـذي كان ينتظـرني، بفـرح وعانقني. كان هـذا حـين كنَّـا كائنـات ذات ريـش، نصـف طائـر ونصـف زواحـف.

"أنت حي!".

بـدا أمـان تمامًـا كـما كان في حياتـه الأخـيرة. عـضَّ رقبتـي ولعـق وجهـي وعانقنـي، وذيلـه يتمايل.

"علمـت أننـا سـنلتقي مـرة أخـرى! كنـت أعـرف أنـك سـتعود! الحيـاة الآخـرة موجـودة بالفعـل. الحيـاة أبديـة، أقـول لـك، أبديـة!".

"أمـان، انتظـر، اهـدأ". كنـتُ أفكِّـر في أننـي لـن أشـعر بالملـل أبـدًا طالمـا كان موجـودًا، ضحكـت وسـحبت أمـان بعيـدًا عنـي. "عـمَّ تتحـدث؟ بالطبـع الحيـاة الآخـرة موجـودة، لمـاذا تبـدو متفاجئًـا؟".

حدَّق أمان في وجهي كما لو كان يتوق إلى الاندماج، يبدو أنه يريد امتصاص كل جزيئاتي في التَّوِّ واللحظة، لو كان بوسعه ذلك. استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تختفي الابتسامة من وجهي.

"أمان، هل ما زلت بأي فرصة...".

عندما حاولت فحص جسد أمان، هزَّ رأسه. "لا أملك چينات. تعفَّنت في المملكة الدنيا بالطبع".

"إذًا لماذا...؟"".

حاجته القوية للبقاء والتَّزاوُج، رغبته في المودَّة والتواصل، ماذا يعني كل هذا؟ لماذا امتدَّت رغبات المملكة الدنيا إلى مملكة الظلام؟

قال أمان بحرارة: "يا معلم. لم أتخيَّل أبدًا أن بإمكاني أن أشعر بمثل هذا النشوة، مثل هذه الشرارات المضطربة في القلب. أنني أستطيع أن أتوق إلى أحدهم، وأسعد بوجوده كثيرًا لدرجة أن أنسى نفسي، لدرجة أن أرى الآخر على أنه أنا".

في حين أن هذا ربما كان خطابًا مثيرًا للإعجاب في المملكة الدنيا، إلا أنه هنا في مملكة الظلام كان كلامًا بعيدًا كل البُعد عن ذلك. كان له التأثير نفسه عليَّ كما لو كان أمان يقول: "أوه، يا معلم، لقد أدركتُ أن واحدًا زائد واحد يساوي اثنين، يا له من أمر عجيب!".

"أمان، أنا وأنت الذات نفسها. أنا لستُ الآخر".

"نعم، أعلم ذلك. لكني لا أشعر أن هذا صحيح. هنا، هي حقيقة كليشيه مثل قول 'جسدي ملكي'. ولكن هناك في مملكة الدنيا، شعرت به في عظامي مع كل نَفَسٍ استنشقه. شعرت به بصورة أكثر حدَّة لأنني بالكاد صدَّقته. ألم تختبر ذلك، يا معلمي؟".

فكَّـرتُ في حيـاتي السـابقة. كنـتُ وحشًـا مكسـوًّا بالريـش، أتجـول في الغابـة ولا يشـغل بـالي شيء سـوى الطعـام والمـأوى. بكيـت لأيـام عندمـا مـات شريـك حيـاتي قبـلي. تجوَّلـتُ في الغابـة، غاضبًـا ومتألمًـا بسـبب الفقد.

عزفـت عـن التفكـير في الأكل أو النـوم. كانـت الحيـاة التـي أمضيتهـا مـع شريـكي مصـدرَ فرحـي، والحيـاة بدونـه فقَـدَت كلَّ معانيهـا. قابلـت مـوتي عـن طيـب خاطـر. لم أكـن لأصبـح مفجوعًـا هكـذا، لـو كنـت أنـا الشـخص الـذي هلـكَ.

"فعلـتُ. لكننـي كنـت تحـت تأثـير الهرمونـات جزئيًّـا، وإلى جانـب ذلـك، غرائـز التـزاوج والحـزن هـي، إلى حـدٍّ مـا، مجـرد فـبركات مـن أجـل الشـعور بالراحـة، أليـس كذلـك؟ هـي ليسـت حقيقيـة، بعـد كل شيء".

لكـن عندئـذ حـدَّق أمـان في وجهـي بعيـون وحـشٍ، عيـون لمعـت كـما لـو كان في المملكـة الدنيـا. روح بدائيـة مفتونـة بفرحـة الحيـاة، تتوهَّـج مـن داخلـه.

قـال أمـان بصـوت حيـواني، خفيـض: "أيهـا المعلـم، إن لم نؤمـن بـأن الحيـاة حقيقيـة، فـما الـذي يمكـن أن نأمـل أن نتعلمـه منهـا؟".

تغـيَّر أمـان مـع كل زيـارة إلى المملكـة الدنيـا. اسـتوعَب كلَّ مـا حـدث هنـاك بوصفـه تجربـة حقيقيـة. طعَّـم شـخصياته غـير المكتملـة في المملكـة الدنيـا، بشـخصيته الحقيقيـة. أصبـح غـير مسـتقرٍّ عـلى نحـو متزايـد؛ مـمَّا جعـل بقيتنـا غـير مرتاحـين.

سـاءت حالـة أمـان بشـكل كبـير بعـد أن خلقنـا البـشر. تعامـل أمـان معهـم بعمـق. كان البـشر سـلالة تجريبيـة قلَّلنـا مـن مهـارات بقائهـم مـن أجـل اسـتثمار كل شيء تقريبًـا في ذكائهـم. نظـرًا لمعـدل تكاثرهـم وقدراتهـم القتاليـة المريعـة؛ توقَّعنـا أن تتفـوَّق السـلالات الأخـرى عليهـم في الـصراع مـن أجـل الوجـود، لكنهـم تكاثـروا، بطريقـة مـا، بوتـيرة لا يمكـن إيقافهـا. نصَّـت قوانـين الحفـظ والحمايـة عـلى أن الاكتظـاظ السـكاني

لسلالة واحدة يؤدي بالضرورة إلى انهيار التَّنوُّع البيولوجي. بدافع الفزع؛ خطَّطنا لكبح جماح البشر عن طريق إرسال الفيضانات أو الجفاف، لكن أمان عارض الفكرة بشدَّة. جادل بأنه لا ينبغي علينا الإخلال بالنظام البيئي للملكة الدنيا. الآن، يمكننا أن نفهم؛ معايشة الدمار كنتيجة للزيادة السكانية قد تكون شكلًا من أشكال التعلُّم. لكن حينذاك...

"كم مرة يجب عليك قَلبُ المكان رأسًا على عقب لإرضاء نفسك؟" صرخ أمان، وهو يقذفني بحجر. امتصصت الحجر الأول الذي ألقاه داخل جسدي، ومرَّ الثاني من خلالي. كانت تصرُّفات أمان الغريبة تتزايد بشكل فظيع. تساءلت ما إن كان ينبغي أن أترك الحجارة تصطدم بي. كنت في حيرة. كان الفيضان الأخير حدثًا صغيرًا مقارنة بالانقراض الجماعي في العصر ما قبل الكامبري أو العصر البرمي. لم تغمر المياه سوى مدينة ساحلية وعددًا قليلًا من الدول الجزرية.

بدا أمان تمامًا كما كان في اليوم الأخير الذي مات فيه في المملكة الدنيا، وجهه أبيض طباشيري، وتفوح منه رائحة أعشاب بَحريَّة، ومياه مخضرَّة تتساقط من ملابسه المبلَّلة. كان في بعض الأحيان يتقيَّأ المياه. كنت أعلم أن أمان حُرٌّ في اتخاذ أي شكل يريده في مملكة الظلام، لكنني شعرت بالقلق من الدقة المذهلة التي نسخ بها شكله السابق.

صمت الأطفال الذين كانوا يلعبون في الحديقة، واختلسوا نظرات مضطربة إلى المعبد حيث اندلعت الاضطرابات. رجعوا من المملكة الدنيا بأعداد كبيرة بسبب هذه الكارثة الأخيرة، وكانوا منشغلين في معرفة أخبار بعضهم بعضًا، والاستعداد بمرح للاحتفال. حدث هذا عندما كان الباردو خاصَّتي لا يزال يضمُّ معبدًا جميلًا بأعمدة بيضاء وحديقة صغيرة متلألئة بزهور برية. كان تزيين مجال المرء بنمط يرجع إلى المملكة الدنيا أحدث بدعة في ذلك الوقت.

"يؤسفني أن أقول هذا يا أمان، لكن لا يمكنني فهمك...".

ماذا كان خطب أمان؟ لماذا كان مختلفًا عن الأطفال الآخرين؟ هل حدث خطأ لأنها كانت أول مرة انقسم فيها؟

سألت: "كان من المقرر أن نعود جميعًا في وقت ما، أليس كذلك؟".

"لم يكن هذا مُقرَّرًا، رغم ذلك. كلٌّ منَّا لديه أشياء ليتعلَّمها في هذه الحياة. كنَّا نستعدُّ لعيش حياتنا على أكمل وجه أيضًا. لكنك عندئذ قتلت الكثيرين، فجأة، دون منحنا أي وقت للاستعداد...".

بفضل ذلك تمكَّنتُ من تنظيف بعض القمامة المتراكمة، وكانت الأسماك مزدهرة، وتمَّ إثراء حياة الكائنات البحرية من حيث الفرص ورقعة الأرض المتاحة لها، أردت أن أقول. لكني سيطرت على نفسي. في الآونة الأخيرة، بدا أمان غير قادر على رؤية حياته وحياة الآخرين على أنها الشيء نفسه.

"لم تكن صنيعتي، أو صنيعة أي شخص آخر. ببساطة، كان هناك الكثير من البشر على الأرض، ولم يكن هناك ما يكفي من النباتات. كانت مستويات ثاني أكسيد الكربون في الهواء تتصاعد، والأيام تزداد حرارة، والبحر يزداد دفئًا أكثر من المعتاد. تبخر الكثير من ماء البحر، وأثار عواصف أكبر، وأكثر رطوبة. ما كان أيٌّ من هذا غير مُتوقَّع. أخبرتك أننا سنحتاج إلى تقليص تعداد البشر قليلًا".

دفن أمان وجهه في يديه.

"كان يجب عليك إيقافه. فعل كل ما في وسعك لإيقافه. كيف يمكنك ترك الكثيرين من الناس يموتون...".

"أمان، مَن بحق الأرض تقول إنه مات؟".

الأطفـال الذيـن كانـوا يزيِّنـون عربـة في الحديقـة بالزهـور، وقفـوا خلسـة وانزلقـوا بعيـدًا. كان بعضهـم والـد أمـان أو أُمَّـه أو صديقـه أو عشـيقته في المملكـة الدنيـا.

"كان إنقاذهـم ممكنًـا. كنـت في مملكـة الظـلام؛ لذلـك كان مـن الممكـن أن تنقذهـم. لمـاذا اكتفيـت بالجلـوس والمشـاهدة؟ لماذا لم تأتِ للمسـاعدة؟ لمـاذا لم تجـرب شـيئًا عـلى الأقـل؟".

كنـتُ مرتبـكًا. هـل أسـأت فهـم سـبب معارضـة أمـان التحكـم في زيـادة تعـداد البـشر؟ افترضـت أن السـبب هـو اعتقـاده أن مملكـة الظـلام لا ينبغـي أن تتداخـل مـع المملكـة الدنيـا. ألم يلـقِ هـذه الحجَّـة وهـو مُـدرِكٌ تمامًـا لحقيقـة أن النظـام البيئـي بأكملـه قـد يواجـه الدمـار قريبًـا مـن دون تدخُّلنـا؟ مـا مصـدر لا-عقلانيـة ولا-معقوليـة أمـان؟ تركنـي قطـار أفـكاري شـاعرًا بضيـقٍ.

"كيـف تتوقَّـع منـي المسـاعدة؟ وبمـاذا أسـاعدك؟ هـل سـتجعلني أتحـوَّل إلى حمامـة وأحلِّـق وسـط أشِـعَّة الضـوء، أم أشـطر البحـر إلى نصفـين؟ كيـف سـيصدق النـاس أن العـالم كان حقيقيًّـا لـو فعلـت شـيئًا كهـذا؟ ومـا الفائـدة مـن عيشـهم هنـاك بضـع سـنوات إضافيـة؟ المملكـة الدنيـا المـكان الـذي تذبـل فيـه إنْ لم تتمكـن مـن تنـاول كل وجبـة، وحيث سـتموت في الثانيـة التـي تتوقـف فيهـا عـن التَّنفُّـس، أو يتوقـف قلبـك عـن ضخِّ الدمـاء. المملكـة الدنيـا حيـث يمتـلأ جسـمك بمـواد كيميائيـة تشـتت انتباهـك عـن التفكـير السـليم- كيـف سيشـكرني النـاس لإبقائهـم في مثـل هـذا المـكان!".

لم يُعطِ أمان أي إجابة. ربَّت على كتفيه المبللتين.

"أمـان، انغمسـت فيهـا كثـيرًا مؤخَّـرًا. الحيـاة بحـر مـن المعانـاة. الحيـاة وهـم. لا يوجـد شيء هنـاك. الواقـع هـو مـا يحـدث مـا بعـد الحيـاة".

"لكن بدون إرادة الحياة، لا معنى للحياة".

"أنا أعرف ما تعنيه. يجب أن تكون الحياة حقيقية. هذا ما يجب علينا أن نؤمن به عندما نكون أحياء. وإلا فسنبدِّد ثرواتنا أو نهدر حياتنا. لكن لا داعي لتصديق ذلك ما إن نعود إلى هنا، ألا توافق؟ هيا، مضى وقت طويل منذ أن اجتمعنا جميعًا معًا؛ دعنا نستمتع بالاحتفالات".

"نابان".

ثم مضى أمان ليقول شيئًا لن أنساه أبدًا.

"المملكة الدنيا حقيقية". ومضت عينا أمان. كما لو كانت تحتوي على عصبٍ بصريٍّ وأوردة متَّصلة بدماغ فِعلي. كانتا محتقنتين بالدماء، ومغرورقتين بالدموع. ارتجفت حدقتاه الغائرتان كمدًا.

"الناس في المملكة الدنيا ليسوا نحن. هم كائنات مختلفة تمامًا".

6

"أليس هذا غريبًا؟".

أيقظتني كلمات تانجاي من شرود أفكاري وذكرياتي. التقطت حركةً وراء الجدار في اللحظة التي عُدت فيها إلى صوابي. أنا متوتِّر. ليس لأنني شعرت بالحركة، ولكن لأنني استغرقت وقتًا طويلًا للشعور بها.

"ما الغريب؟".

"تعلُّم ما نعرفه بالفعل من الصفر. كيف أنني طاردت حقائق و'أسرار' الكون في كل حياة لي في المملكة الدنيا، لكن لا يمكنني استكشافها سوى من خلال الاندماج معك".

"هذا ليس صحيحًا. من خلال الاندماج، لا نكتشف سوى ما أعرفه أنا"، قلتُ بينما أستمع باهتمام لأي صوت قادم من وراء الجدار، "وأكتشف بدوري ما تعرفه أنت فقط. أشياء لم أكن لأعرفها أبدًا، لو لم أفصلك عني".

دقَّ تانجاي الجدار الذي أقامه بيده. صاح الجدار "آه!" في انزعاج، لكن تانجاي لم يسمعه.

"هذا الجدار ' أنا'أيضًا، أليس كذلك؟ نعم، نعم، العالم كله 'أنا'، أعرف. يجب أن تكون سفينة الفضاء هذه قريبة بشكل خاص ممَّن

أكـون. ولكـن لـو كانـت هـذه السـفينة جسـدي حقًّـا، فلـماذا لا أسـتطيع أن أجعلهـا تفعـل مـا يحلـو لي؟".

"لكنـك تفعـل ذلـك بالضبـط. أنـت تتعامـل معـه عـلى أنـه جـماد، تمامًـا كـما يحلـو لـك. هـذا هـو السـبب في أن الجـدار يعاملـك كجـماد أيضًـا". مـددت يـدي إلى الجـدار خلفـي. اعتقـد تانجـاي أننـي كنـت أوضِّـح لـه الأمـر، لكنـه كان مخطئًـا.

تذمَّر الجدار، ما زلت مدينًا لي من أجل تلك المرة الأخرى.

سأدفع لك الضِعف لاحقًا.

سـمح لي الجـدار بالمـرور. مـددت ذراعـي، وأمسـكت بـذراع الطفـل الـذي كان يتنصَّـت مـن الغرفـة المجـاورة. أتـت صرخـة مـن الجانـب الآخـر مـن الجـدار، وقفـز تانجـاي واقفًـا عـلى قدميـه وقـد فهـم أخـيراً.

رأيـت مـن خـلال الجـدار. لم أكـن أعـرف الطفـل. نظـرًا لأنـه لا يتشـارك معـي في أي رابطـة، لا بُـدَّ أن الطفـل حديـث الـولادة.

سـألت: "مـا اسـمك؟" دوَّى صـوتي في جميـع أنحـاء السـفينة؛ إذ كان يجـب أن يكـون مرتفعًـا بمـا يكفـي للنفـاذ إلى الجانـب الآخـر مـن الجـدار.

تدخَّل تانجاي: "يا معلم".

سألت الطفل: "ما اسمكَ؟ مَن معلمك؟ وما عملك هنا؟".

كنـت قلقًـا لأننـي فشـلت في ملاحظـة وجـود الطفـل أبكـر مـن ذلـك، وهـذا ضايقنـي. ربمـا تضاءلـت قـواي، أو ربمـا أخفـى الطفـل حركتـه عنـي. كلا الاحتمالـين مزعـج.

حـاول الطفـل التَّملُّـص منـي. يبـدو أنـه يجـد صعوبـة في تصديـق أن يـدًا يمكـن أن تـبرز عـبر الجـدار؛ كان خائفًـا. جذبـت الطفـل نحـوي دون تفكـير. كنـتُ أنـوي أن أشـدَّه عـبر الجـدار لـكي أجلسـه في هـذه الغرفـة

حتـى أوبِّخـه. لكـن معصـم الطفـل اصطـدم بالجـدار بـدلًا مـن المـرور خلالـه، والتـوى بزاويـة غريبـة. توقَّفـتُ متفاجئًـا.

تحدَّثـتُ إلى معصـم الطفـل. قلـتُ لـه أن يصبـح مرنًـا. لم يُجِـب أو يعطينـي أدنى تلميـح باسـتيعاب مـا قلتـه. ظللـت أحـاول التحـدث إليـه لكنـي لم أتلـقَّ أيَّ ردٍّ. كان منغلقًـا أكـثر مـن جـدار تانجـاي. لا، كان أسـوأ مـن ذلـك؛ لم يكـن مختلفًـا عـن شيء جامـد.

ارتجفت في قرارة نفسي. حرَّرتُ الطفل.

قال تانجاي: "أنا من أحضرت الطفل".

من مكان ما في أرجاء السفينة، سمعت صوتًا يهمس:

- سـتعطيني حقًّـا حيـاة مريعـة الآن، أليـس كذلـك؟... وإلا لـكان قـد عُـزِل بسـبب فسـاده.

***

أحـضر تانجـاي صنـدوق إسـعافات أوليـة، وعقَّـم يـد الطفـل قبـل أن يدهنهـا بمرهـم. كان جـزء مـن الجلـد قـد احتـكَّ بالجـدار، وكشـف الطبقـة الحمـراء الخـام تحتـه. كان مشـهدًا سرياليًّـا؛ نظـرًا لأن أي جسـم ينتمـي لمملكـة الظـلام لا ينـزف أبـدًا، ولا يمكـن شـفاؤه بمرهـم.

"كان الطفـل يتجـوَّل في الفضـاء. أنـت تعـرف كيـف يكـون الأطفـال الفاسـدون...".

أومـأتُ: "يضلُّـون الطريـق. لا يعرفـون أنفسـهم. لا يمكنهـم العثـور عـلى معلمهـم. هـم عالقـون، غـير قادريـن عـلى العـودة إلى مملكـة الظـلام أو المملكـة الدنيـا".

فحصـت يـد الطفـل. كانـت نسـخة مُقلَّـدة متقنة ليـدِ بـشريٍّ في المملكة الدنيـا. حتـى إن جسـم الطفـل احتـوى عـلى أوعيـة دمويـة وأعضـاء، مهـما

كانـت بدائيـة. كان ذلـك عندمـا تذكَّـرت الكافتيريـا والمزرعـة الصغـيرة عـلى مـتن سـفينة الفضاء.

كان مجـال الطفـل مقصـورًا عـلى جسـده. لم تكـن ولـو أوقيَّـة واحـدة مـن الهـواء المحيـط تنتمـي إليـه. درسـت جوهـره، وبعـد تحقيـق شـاقٍّ، حـدَّدت مصـدره. الآن فهمـت لمـاذا تذكَّـر كلٌّ مـن تانجـاي وسـفينة الفضاء هـذا الاسـم العزيـز.

ناديت الطفل: "أمان!".

كان الطفل يبادلني النظرات بعينين واسعتين دون كلام.

صحَّـح لي تانجـاي: "لا، هـذا جـزء مـن أمـان. أحـد أطفـال المعلـم أمـان مـن الانقسـام الرابـع أو الخامـس. الطفـل ليـس لديـه ذاكـرة عـن جسـد والـده".

"حسنًا، إذن هذا أمان".

"لا، إنهما مختلفان. تمامًا مثلما أنا وأنت مختلفان يا معلم".

حدَّقـتُ في تانجـاي الـذي واصـل الحفـاظ عـلى رباطـة جأشـه: "المعلـم أمـان ينقسـم إلى كيانـات لا حـصر لهـا كلـما نـزل إلى الأرض. سـابقًا، سـكن أجسـاد الحـشرات أو الأسـماك أو الطيـور أو غيرهـا مـن الحيوانـات الصغـيرة... لكنـك تعلـم كيـف بـات الأمـر؛ لم يتبـقَّ سـوى بـشر في المملكـة الدنيـا هـذه الأيـام. تقلَّـص العـالم الطبيعـي قليـلًا منـذ توقَّـف المعلـم توشـيتا عـن الهبـوط إلى الأرض. أنـت أيضًـا اسـتعدت كلَّ جـزءٍ منـك مؤخَّـرًا. في الجيـل الأخـير فقـط، وقـع انقـراض جماعـي مفاجـئ أكـثر مـن انقـراض العـصر البرمـي العظيـم في عـصر الباليوزويـك".

"أنت تتحدث عن الأمر كما لو كان خطأ".

أحجم تانجاي عن الكلام.

"هل تعتقد أنه خطأ؟" سألته، وأمسكت بذراع طفل أمان.

عـن طريـق الإقنـاع الخفيـف، حقنـتُ بعـض جزيئـاتي في مسـامٍ جِلـد الطفـل. سرَّعَـت جزيئـاتي انقسـامها الخلـوي، وشـفت الجـرح. بغضِّ النظـر عـن مـدى فسـاد الجسـم، عـلاج جـرح بسـيط مثـل هـذا يسـيرٌ. تسـارع تنفُّـس تانجـاي.

يـا ربي، كان تانجـاي لا يـزال متمسِّـكًا بعـادة التنفـس رغـم كونـه في مملكـة الظـلام.

أجـاب تانجـاي بطريقـة آليـة: "لا، لا خطـأ في ذلـك. لا يوجـد مـوت أيضًـا. المملكـة الدنيـا ليسـت حقيقيـة، تمامًـا كـما هـو الحـال مـع الألم. انقـراض جماعـي ببسـاطة بمثابـة عـودة جماعيـة للوطـن. يمكننـا دائمًـا الرجـوع إلى الـوراء...". كانـت عبـارات لا بُـدَّ أن تانجـاي قـد كرَّرهـا ألـف مـرة أثنـاء الكتابـة العقابيـة تحـت العيـون الحارسـة لمعلِّمـي الانضبـاط. كلـما أفنـى تانجـاي قلبـه وروحـه في الكشـف عـن بنيـة الكـون، كان علينـا إرسـال فرقـة دوريـة عـلى عَجَـل، وطـرده مـن المدرسـة، وجـرَّه مـرة أخـرى إلى مملكـة الظـلام. استُدعِـي عـدة مـرات ووُضِـع رهـن الاعتقـال في كثـير مـن الأحيـان. عندمـا عـاد مـن المملكـة الدنيـا بعـد سـعيه المحمـوم وراء الحقيقـة حتـى أنفاسـه الأخـيرة، يفقـد قلبـه، ويستسـلم للاحتجـاز طيلـة جيـل كامـل.

"هـل تشـكِّك في ذلـك؟" سـألتُ، مُحـرِّرًا قبضتـي مـن فـوق ذراع الطفل. كان سـؤالًا نموذجيًّـا يُطـرح لاختبـار فسـاد المـرء. حـدَّق طفـل أمـان في يـده بدهشـة، وكأنـه شـهد معجـزة عظيمـة

أجاب تانجاي ببطء: "لا".

"جيـد. الآن، لا تمتلـك مـا يلـزم لتعليـم هـذا الطفـل؛ لـذا أرسـله إلى أي معلِّـم تشـاء. سـوف يتلقـى التعليـم الـذي يحتـاج إليـه".

وقـف تانجـاي، وأمسـك بذراعـي، ممزِّقًـا أجـزاء مـن السُّـترة التـي نسـجتها ذاتي السـابقة مـن العشـب. رميـت تانجـاي بنظـرات متجهِّمـة، لكنـه لم يتراجـع.

"المعلمون سيعزلون هذا الطفل".

"يمكنه الخروج بمفرده إن تغلَّب على فساده".

"لن يقدر على فعل ذلك أبدًا".

"عندئذ سيندمج معلِّم طيب معه".

هزَّ تانجاي رأسه، محبَطًا لأنني لم أفهم.

لكن على النقيض، فهمت جيدًا مخاطر هذه المحادثة.

"مـن فضلـك، دعـه فحسـب يعيـش هنـا. هـو مجـرد جـزء صغـير. لـن يؤثـر عـلى الكـون".

"لكنك لن تدع ذلك يحدث؛ ولهذا السبب تطرَّقت إلى الموضوع".

نظـرت بحـدَّةٍ إلى الناقـل. تحرَّكَـت الآلـة فزِعـة، وتظاهَـرَت بعـدم ملاحظـة نظـراتي. صرَّ جوانهـوا، وسـعل متهرِّبًـا. لفَّـت بطانيـة نفسـها وحاوَلَـت أن تبـدو أصغـر حجـمًا.

"إخفـاء طفـل فاسـد أمـرٌ شـائن بمـا فيـه الكفايـة، لكـن إرسـاله إلى الأرض فهـذا غـير مقبـول. يجـب أن يظـل في مملكـة الظـلام عـلى الأقـل".

"أعرف".

"الكيانـات الفاسـدة لا تعـرف أنهـم الكـون. أنهـم والكيانـات الأخـرى واحـد، ومـن الطينـة نفسـها. لا يعرفـون التعاطـف أو الحـب. إرسـال طفـل فاسـد إلى الأرض لـن يـؤدي إلا إلى نـشر الفسـاد هنـاك".

"أعرف!".

"المعرفة دون التَّصرُّف ليست معرفة حقًّا".

بدا تانجاي وكأنه لا يعرف كيف يشرح نفسه.

تانجاي وأنا كنا على مستويين مختلفين من الفهم. قال: "هؤلاء الأطفال يريدون الحياة. حياة في المملكة الدنيا، وليس مملكة الظلام".

"الرغبة في حياة لا تعدو كونها وهمًا، في حدٍّ ذاتها علامة على الفساد".

"ومع ذلك ما زالوا يريدون هذه الحياة. لا أعرف لماذا. أعلم أنه من الصعب شرح طرائقهم. لكنني أعتقد أن لكل شخص الحق في أن يفعل ما يريد. كما تعلم، لا يوجد خطأ حقيقي في العالم ولا خطيئة؛ لذا...".

دفعت عددًا كبيراً من جزيئاتي عبر المسام إلى داخل جلد تانجاي؛ ممَّا أدَّى إلى تليين تلك الذراع. فقد تانجاي السيطرة على يده التي تمسَّكت بجسدي مثل فطيرة. مصدومًا، حاول تانجاي تحرير يده، ولكن تسبَّب ذلك فقط في استطالة ذراعه مثل العجين الدافئ والمطاطي. كانت جزيئات الذراع طرية ونضرة. بعضها تبخَّر وبعضها سال. وكانت ذراعه الآن يتصاعد منها البخار، وتقطر منها المياه.

"فكِّر مرة أخرى، أيها الطفل".

أغلق تانجاي فاهه. كانت سفينة الفضاء كلها متوتِّرة. أرسلت إليَّ إشارات مُعادية. لكن مكوِّنات السفينة كانت فردية ومنفصلة مثل تانجاي؛ لم يكن لديها القوة لحشد نفسها، والانقضاض عليَّ.

اهتزَّت السفينة، وبدأ كل شيء في جواري بدءًا من الغبار إلى الأشياء الجامدة يهتزُّ نحوي. ازداد سُمك الهواء من حولي، وانخفضت درجة الحرارة. تزايد الهواء المبرَّد وغاص بسبب ثقل وزنه، دافعًا الهواء

أسـفله، ومولـدًا رياحًـا عاصفـة. امتصصـتُ حتـى الضـوء بداخـلي؛ مـمًا تسـبَّب في انزيـاح درجـة اللـون نحـو أحمـر، وبـدا جسـدي قرمـزي أكـثر.

"إذا غيَّرتَ رأيك، فسوف أعفيك من الاندماج الآن".

نظـر تانجـاي إلى ذراعـه، ثـم إلى عينـي. "إن أنـا كذبـت، أعتقـد أنـك سـتعرف ذلـك".

"هذا صحيح".

فتح تانجاي فمه لكنه أطبقه مرة أخرى. أغمض عينيه.

تمامًـا كـما اتَّخـذ تانجـاي قـراره، اتَّخـذتُ أنـا بـدوري قـراري. تسرَّبَـت جزيئـات تانجـاي إلى جسـدي، مصحوبـة بالخـوف الـذي تدفَّـق في عقلـه. رغبتـه اليائسـة في حمايـة فردانيتـه. رفـض تانجـاي التَّخـلِّي عـن معتقداتـه حتـى النهايـة. اتَّخـذ خيـارًا غـير عقـلاني عـلى الرغـم مـن رغبتـه الشـديدة في الحفـاظ عـلى حياتـه. الـلا عقلانيـة؛ عـرض آخـر مـن أعـراض الفسـاد.

كان لا بُـدَّ مـن اكتشـاف فسـاد تانجـاي عاجـلًا أم آجـلًا. لم تكـن هنـاك أسرار في عـالم الظـلام. إن تركـت تانجـاي الآن، فسـيُعزل أو يُدمـج لاحقًـا، أو إن كان محظوظًـا، فسـيخضع لتدريـب مكثَّـف سـيضطر فيـه إلى تكـرار عيـش حيـاة مؤلمـة وبـلا معنـى. كان لا بُـدَّ مـن إيقـاف تانجـاي الآن مـن أجـل مصلحتـه.

فكَّـرت: هـذا الطفـل هـو أنـا. بمـاذا كنـت أفكـر؟ مـا الـذي كنـت أحـاول أن أتعلَّمـه؟

تمـرَّد الطفـل عـلى مُعلِّمـه يعنـي أنـه حـاز فردانيَّتـه. أن أيديولوچيـة جديـدة قـد وُلِـدت. كان تانجـاي جاهـزًا ليكـون معلِّـمًا جديـدًا. حتـى لـو كانـت طرائـق تدريسـه لا ترضينـي أو تـروق لي، أو لأيٍّ مـن المعلمـين الآخريـن. لا، حقيقـة أن الطفـل لم يكـن يعجبنـي تشـير إلى أن الوقـت قـد حـان لأتركـه يذهـب.

أطلقــت سراح تانجــاي، الــذي ارتــدَّ وســقط عــلى الأرض. لم يُســتَعد جســد تانجــاي بالكامــل بعــدُ، مــع تدفُّــق الجزيئــات الســائلة مثــل حبيبــات العــرق.

"لمــاذا؟" ســألني تانجــاي وهــو يرســم عــلى وجهــه تعبــيرًا جــادًّا رغــم ارتجافــه.

بعد هنيهة، أجبت، "كما قلت، لا أعرف نقطة اتِّزانك".

"هــل أنــت خائــف؟ أشــكُّ في أن التهامــي ســوف يفســدك، مــن بــين جميــع المعلِّمــين".

"اسمح لي أن ألقي نظرة على طفل أمان. يجب أن أمنحه الحياة".

"هــل سترســله إلى مملكــة الحيــوان؟" ســألني تانجــاي بحــذَرٍ أثنــاء وضع طفــل أمــان داخــل الناقل.

"لا أعرف بعدُ".

"ولكــن هــذا مــا تفعلــه عــادة. تميــل الحيوانــات إلى مشــاركة المشــاعر فيــما بينهــا أكــثر مــن البــشر. وهــذا هــو الســبب في أن العيــش في هيئــة حيوانــات أو مخلوقــات وضيعــة لبعــض الوقــت يمكــن أن يشــفينا. بينــما البــشر منفصلــون جــدًّا عــن بعضهــم، أليــس كذلــك؟".

هــذا مــا كنَّــا نفعلــه عــادة. كلــما زاد فســاد الطفــل، زادت احتماليــة منحــه حيــاة مخلــوق وضيــع. بعــض البــشر الذيــن خمَّنــوا بشــكل صحيــح العلاقــة بــين الســبب والنتيجــة نظــروا إلى ذلــك عــلى أنــه عقــاب، لكــن لا توجــد عقوبــات في الحيــاة. لا توجــد مكافــآت أيضًــا. لا يوجــد ســوى التَّعلُّــم. التَّعلُّــم بالطريقــة الصعبــة يمكــن أن يكــون مفيــدًا أيضًــا.

وضعت يدي على جبين الطفل.

تذكَّــرت الأجــزاء التــي لا تُحــصَى مــن ذاتي التــي عاشــت عــلى الأرض، عندمــا كنــتُ متجسِّــدًا في صــورة أشــجار، وفراشــات، وطيــور، وجــرذان،

وحشرات، أو شكَّلت الأعشاب والأنهار والحقول. استدعيت كل حياة، كل مصيرٍ كنتُ غافلًا فيه عن حقيقة أنني كنت أشارك المساحة نفسها مع ذواتي الأخرى الكثيرة.

نفَّضت الغبار عن ذكرى إحدى ذواتي السابقة؛ حياة كنتُ فيها امرأة تسيطر عليها بعض المخاوف. كانت تتوق إلى المحبَّة لأنها نشأت في منزل يخلو من الحب. أمضت حياتها كلها بدون طفل، لكنني سأرسل لها الآن واحدًا. سيحب كلٌّ منهما الآخر بجنون. سوف يتشاجران ويُجرَحان. سيرتكبان أخطاء لكن كل منهما سيتعلم من الآخر. سوف يتأذَّيان ولكنهما سيعيشان بشغف وشراسة أكبر بكثير. ستكون حياة أحدهما سؤالًا محوريًّا في حياة الآخر.

قلت للطفل: "سأكون والدتكَ في مملكة الدنيا. سوف تتعلَّم التعاطف في حياتك القادمة. ابحث عن شيء تعتقد أنه قريب منك، سواء كان إنسانًا أو حيوانًا أو جمادًا. عندها سيتركك الفساد. وستستعيد القدرة على الانقسام أو الاندماج حسب رغبتك".

جسيمات جسدي المشبعة بإرادتي تدفَّقت من أطراف أصابعي إلى چينات الطفل. ستوجِّه الچينات حياة الطفل إلى حدٍّ ما، ولكن ليس أكثر من ذلك. إرادته هو مَن ستحدِّد حياته.

قال تانجاي بعد إتمام نقل الطفل إلى المملكة الدنيا: "لم أفهم ذلك. كيف يؤثِّر التناسخ في الماضي على العلاقات السببية؟".

"لا توجد علاقة سببية. فقط تفاعل متبادَل".

"ماذا لو عاد الطفل بالزمن، وغيَّر الكون؟".

"كل حياة تغيِّر الكون. في كل مرة تعيش فيها حياة وترجع إلى هنا، كل شيء يتغيَّر أيضًا. تذكر، ذلك الطفل هو أنت، وأنت أنا. إنْ تغيَّر هذا الطفل، فسيتغير بقيتنا". قلت، وجُلت بعيني في أرجاء السفينة

كلهـا. تحدَّثـت إليهـا. كانـت محادثـة صعبـة إذ تطلَّبـت إبـرام الكثـير مـن الاتفاقـات، لكننـي بذلـت قصـارى جهـدي لإقناعهـا.

اضطـررت إلى تقديـم العديـد مـن الأشـياء في هـذه العمليـة والتَّخـلِّي عـن جـزء مـن جسـدي. كانـت حالتـي تـزداد سـوءًا. لكـن لا يهـم. سـوف تتفاقـم بغـضِّ النظـر عـمَّا فعلتـه.

لاحظ تانجاي التعب الذي أصابني، وسألني: "ماذا فعلت؟".

"أنشـأت مجـال جاذبيـة شَرطـي. الأطفـال الفاسـدون الآخـرون الذيـن يموتـون، ويضلُّـون طريقهـم سيُسـحبون إلى سـفينة الفضـاء هـذه. خُـذ أكـبر عـدد ممكـن تحـت جناحـك".

كان تانجاي هادئًا. ثم سألني: "لماذا فعلت ذلك؟".

"حتى تتمكَّن أنت من التَّحكُّم في تناسخ هؤلاء الأطفال".

ابتسـمت لنفـسي، مفكِّـرًا أنـه بالنسـبة لمثـل هـؤلاء الأطفال، الاسـتيقاظ في بارجـة فضائيـة بعـد المـوت مـن شـأنه أن يكـون تجربـة مزلزلـة تمامًـا.

لم يـرَ تانجـاي مصـدر تسـليتي. "لمـاذا عـليَّ فعـل ذلـك؟ ذلـك ليـس صائبًـا".

"لا يوجـد شيء 'صائـب'. الـشيء إمَّـا مُبالَـغ فيـه أو منقـوص. نظـرًا لأن هـذا ليـس مشروعًـا مبالَغًـا فيـه؛ يمكنـك القيـام بـه".

نظـرتُ إلى مسـند ذراع الكـرسي، ودفعـت يـدي مـن خلالـه، كـما لـو كنـت أغمـس يـدي في المـاء. أعطـاني تانجـاي القليـل مـن الاهتـمام. اعتـاد عـلى قيامـي بمثـل هـذه الاسـتعراضات المثـيرة.

لكـن تطفُّـلي ألقـى بمسـند الـذراع في حالـة مـن الفـوضى. مـن منظـور بـشري، أصبـح مجنونًـا. صرخ، أنـا مـادة صلبـة، لا يمكـن اختراقـي بهـذه الطريقـة. أنـا... وكأنـه يعيـد التأكيـد عـلى تلـك الحقائـق لنفسـه، أو ربمـا لي.

تغلَّبت عليه باستخدام الآلية نفسها التي استخدمتها مع ناقل تانجاي. لم يكن ثمة وجود لإقناع. أو محادثة. أو اتفاقات.

همستُ: إنها الكيمياء.

ذاتي القديمة

كنت أشعر بالسوء عندما جاء يونشيم المُحِبُّ لرؤيتي. استلقيت على سرير حَجريٍّ كنت قد نصبته داخل كهف مظلم، غارقًا في هاويتي، وقد أوكلت تعليم الأطفال إلى أتباعي. أزلت المعبد، وكل منزل من البادرو خاصتي، وتركته يتحول إلى برِّيَّة من الصخور والحقول الكئيبة. اشتكى الأطفال من أن أذواق معلِّمهم ملتوية وعجيبة، لكن الحقيقة هي أنني لم أمتلك القوة لأي شيء آخر.

انقضَّ يونسيم عليَّ. أسقطني، وثبَّتني على الأرض، وأمسك بي من حنجرتي، وهزَّني، وصفعني، ومزَّق ملابسي.

استدار حشد الأطفال الذين يناقشون حياتهم خارج كهفي. نظرت الجِراءُ والحشرات والقرود والخنازير صوبي. شعر المعلِّمون بما يجري واستعدُّوا للمشاكل. كان الاعتقاد بأن أحدهم يمكن أن يؤذي آخر في مملكة الظلام سببًا كافيًا للقلق.

"قتلت طفلي!".

يبدو أن يونشيم قد سحب جسده مباشرة من المملكة الدنيا. كان لحمه الداكن المرقَّش مُغَطًّى بالتراب، كما لو كان قد زحف خارجًا من قبر. ثديان مترهلان، وشعر أبيض متشابك مثل عش العقعق، وبعض أسنانه مفقودة. لا يبدو أنه قد اخترق الصخور أو حُمِل هنا بفعل الرياح. لا بُدَّ أنه سافر سيرًا على الأقدام. كانت أظافر أصابع

يديه وقدميه سوداء بالأوساخ، يداه وقدماه متشقِّقة ودامية بفعل قطع الحصى التي تحفر في جلده.

"قتلت طفلي!".

تذكَّرتُ الآن. كان يونشيم ابن وانغ-ليانغ. وفقًا لنَسب مملكة الظلام، كان الأمر كذلك. انعكست العلاقة في المملكة الدنيا، حيث أضحى يونشيم والدة وانغ-ليانغ في حياتهما الأخيرة. في المرة الأخيرة التي رأيت فيها يونشيم كان كرة من الضوء، مثل اليراعة الصغيرة، ولم يجرؤ على النظر في عيني. عندما تلقَّى الأمر بأن يصبح والدة معلِّمه في المملكة الدنيا، رفض وتوسَّل من أجل سحب الأمر؛ أنَّى له أن يفعل شيئًا غير معقول إلى هذا الحد؟ طمأنته بالقول إنها كانت دورة تدريبية للمبتدئين ولن تستمر سوى مدة وجيزة.

على هذا ردَّ: "عسى أن تضرب السماء أمثالك، أتسمِّي هذا تدريبًا!".

حاول يونشيم تمزيق جسدي إلى أشلاء، لكن بالكاد أحدث ثَقبًا فيه، بينما نبتت أشجار كروم ذات أوراق زيتونية اللون من حولي، وأحاطت يونشيم وجرَّته بعيدًا عني. بينما كان الأطفال يراقبون من بعيد، طار وانغ-ليانغ نحونا كشبُّورة من الجزيئات، قبل أن يتجمَّع في هيئة بشرية بيني وبين يونشيم.

قال وانغ-ليانغ، وهو ينادي طفله بالمسمَّى الذي استخدمه في الحياة السابقة: "أمي". كنتُ مدهوشًا. "ها أنا هنا. لا يوجد موت. أنت مخطئ".

كنت مُمِدًّا على التراب وقد طرحتني الرياح أرضًا. خوف لا يمكن تفسيره ينساب بداخلي. أردت أن أنحِّي كبريائي وشرفي جانبًا، وأفرَّ من هذا المكان.

توقَّف يونشيم أخيرًا بشكل محموم عن محاولته قطع الكرومات، ونظر إلى وانغ-ليانغ، غاضبًا: "أنتَ لستَ طفلي. طفلي مات. ابن العاهرة ذاك قتله".

كان يونشيم في حالة سيئة. يبدو أنه فقد كل ذكرياته ما عدا ذكرى حياته السابقة. كان انفصاله شديدًا ويبدو أنه نسي كيف يغيِّر شكله.

كان ذلك عندما عادت إليَّ ذكرى. هل كان انقلابًا عسكريًّا في بلد ما؟ انتميتُ إلى قوات مكافحة التَّمرُّد وأطلقت النار على حشود من المتظاهرين. جاءت والدة الشاب الذي قتلتُ برصاصي، الآن، بعد مرور نصف قرن. كنت غاضبًا بسبب الارتباك والشعور بالذنب الذي ساورني بعد قتل الشاب.. لكن هذا كان مجرد نصيبي من الألم الذي عليَّ أن أتحمَّله. لا أستطيع أن أخفف من آلام الآخرين؛ لذلك لم تكن حياة جيدة تمامًا، مع أنني قد تعلَّمت شيئًا منها.

نظر وانغ-ليانغ إليَّ، لكن عندما لم أُظهر أيَّ رِدَّة فعل؛ افترض أن هذا كان نوعًا من الاختبار، وقرَّر أن يُبادر بفعل معيَّن. أقنع الكهف بالابتعاد عن الطريق؛ انفتح السقف وتراجَعَت الجدران. انزاحت المنحدرات والتلال الصخرية المحيطة جانبًا طواعية، وانسحبت. المساحة التي كنت فيها تحوَّلَت إلى رقعة خالية واسعة. شعرت أنني عارٍ في العراء. حدَّق الأطفال في وجهي بفضول مُشِعٍّ في عيونهم. كنت أتوق إلى فتح جُحر صغير في مكان ما، والاختباء فيه، لكن حتى هذا لم أستطع القيام به.

أعلن وانغ-ليانغ: "فَسَد يونشيم. يمكن لأي شخص أن يكون معلِّمًا لكيانٍ فاسد. سأعلِّم يونشيم درسًا بصفتي ابنه ومعلمه نيابة عن النبي نابان".

نحـن لا نعاقـب أنفسـنا. مـا الألم الـذي يمكـن أن يلحقـه بنـا أي عقـاب؟ نحـن لا نكافـئ أنفسـنا أيضًـا. مـا المتعـة التـي يمكـن أن تجلبهـا لنـا أي مكافـأة؟ نحـن ببسـاطة نعلِّـم ونتعلَّـم. في بعـض الأحيـان، نضطـر إلى تعليـم الطفـل مـا لا يريـد تعلمـه.

"أمـي، أنـتِ فاسـدة. سـأعزلك في الحَجْـر الصحـي حتـى تتمكَّنـي مـن التَّحـرُّر بنفسـك. سـأصوغ جـدارًا بجسـدي. بهـذه الطريقـة سـأترك جـزءًا مـن ذاتي بجانبـكِ. سـتكونين قـادرة عـلى الخـروج بمجـرد أن تـدركي أن الجـدار هـو أنـت، أنـه مـن نفـس طينتـكِ وطينتـي، أنـك وأنـا لسـنا مختلفـين".

كان قـرار وانغ-ليانـغ قـرارًا عاديًـا. لكنـه تـراءى لي وحشـيًا. ألم يكـن وانغ-ليانـغ ابـن يونشـيم؟! تلـك المـرأة العجـوز قـد رعتـه في رحمهـا لمـدة عـشرة أشـهر، وأرضعتـه أكـثر مـن ذلـك بكثـير. غـيَّرَت الحفَّاضـات التـي تغـوَّط فيهـا، ووضعـت الطعـام في فمـه البـاكي. ألم تقـضِ نصـف حياتهـا في البـكاء والعـذاب بعـد وفاتـه؟ كيـف إذًا يعامـل والدتـه بهـذه الطريقـة؟

"يمكنـك إمَّـا أن تتناثـر إلى جزيئـات، أو تُقلِّـص جسـمك، أو تجعـل نفسـك قـادرًا عـلى المـرور عـبر الجـدار. سـأبقي عينـي عليـكَ".

كان صـوت وانغ-ليانـغ رقيقًـا ولطيفًـا، ومـع ذلـك لم يـتراءَ لي كذلـك. بـدا الأمـر برُمَّتـه مروِّعًـا. سـوف يسـتغرق يونشـيم مائـة عـام عـلى الأقـل للهـروب.

"لا"، قـال يونشـيم، مـدركًا أخـيرًا خطـورة الوضـع. تفحَّصـت كرومـات وانغ-ليانـغ جسـد يونشـيم.

قـال وانغ-ليانـغ: "صِرتَ منفصـلًا جـدًّا حتـى تسـتطيع التَّفتُّـت إلى جزيئـات. إن كنـتَ لا تسـتطيع الانقسـام، فـلا يمكنـك التناسـخ وتطهـير فسـادك مـن خـلال التعلُّـم. رغـم صعوبتهـا، لكنهـا أسرع طريقـة".

قلـت: "انتظِـر". حتـى بينـما أتحـدث، كنـت أخـشى أن أتـرك حالتـي تخـرج عـن سـيطرتي. غـير مدركـين لمخـاوفي، ركَّـز الجميـع انتباههـم عـليَّ، متوقِّعـين منـي أن أنطـق بحقيقـة مـا عظيمـة.

"أنـا مَـن يتحمَّـل خطـأ فسـاد يونسـيم. منحتـه حيـاة قاسـية جـدًّا يسـتحيل عـلى طفـل صغـير تحمُّلهـا. سأشـكِّل رابطـة مـع يونشـيم في حياتـه التاليـة، وأتبـادل معـه التعلُّـم".

"جسد يونشيم قد تصلَّب كثيرًا. أشكُّ في أنه يستطيع التناسُخ".

"سأساعده".

"إن كانت هذه رغبتكَ".

ولم يفكِّر وانغ-ليانغ في الأمر ثانية. سألني: "هل ستكون عشيرته؟".

"إنْ كان هذا ما يرغب فيه يونشيم".

"أمي، قدَّم الرسول عرضًا سخيًّا. هل ستقبليه؟".

كان يونشـيم مرتبـكًا. لكـن حتـى مـع هـذه الحـيرة، بـدا يونشـيم قـادرًا عـلى التَّعـرُّف عـلى عـدوٍّ مـن حياتـه السـابقة.

"هذا الوغد قاتل وليس نبيًّا".

"عـرض النبـي بسـخاء أن يكـون عشـيرتك، وسـوف يرافقـك مـدَّةَ حيـاة كاملة".

"هذا الشرير قتل طفلي".

نظـر وانغ-ليانـغ إليَّ باعتـذار وقـال: "يونشـيم لا يـزال غـير مسـتوعب الأمـر".

"اسأله عمَّا يريد. أخبِره أنني سأمنحه إياه".

طلبتُ من وانغ-ليانغ نقل الرسالة مع أنني وقفت بجوار يونشيم مباشرةً؛ لأنني كنت أخشى مواجهته. لكن وانغ-ليانغ ما زال يعتقد أنني كنت أحاول تعليمه درسًا. وأبقى عينيه على يونشيم.

"اسمح لي أن أقتل ابن العاهرة هذا".

أجاب وانغ-ليانغ بهدوء: "هذا مستحيل". في الواقع، كان ذلك مستحيلًا جسديًا. "من فضلك اقترح شيئًا آخر".

"إذًا حوِّله إلى كلب، حتى أتمكَّن من ربطه وجَرِّه ورائي طوال حياته".

أجبته: "فليَكُن".

ومضت عيون وانغ-ليانغ ببرود. كان النظر إلى وضع الحيوانات والبشر على أنه غير متكافئ عَرَضًا آخر من أعراض الفساد. قال وانغ-ليانغ" "عشيرة أو حيوان. لا فرق. سيرافقك النبي في الحياة بصفته حيوانًا، سيحميك، ويعلِّمك. في ذلك الكلب، ستجد أفراح الحياة وسلوانها وحكمتها".

"اجعله يعاني من الحياة نفسها التي عانيتُ أنا منها! اجعلني أتجسَّد في صورةٍ تُمكِّنني من قتل طفل ابن العاهرة ذاك!".

"لا يوجد شيء لنتعلمه من مثل هذه الحياة. سوف يزداد فسادك سوءًا. المعلم لا ينسج لك حياة لا تقدِّم لك أيَّ تعليم".

قلت مرة أخرى: "أنا أقبل. دعه يختار الحياة التي يرغب فيها. امنحه الوقت للتفكير وأخبرني بما يقرِّره. سأفعل بالضبط ما سيطلبه مني".

تردَّد وانغ-ليانغ لحظة، لكنه لم يشكِّك في حكم مُعلِّمه. اعتقد أن لديَّ خطَّة مفصَّلة في ذهني. لكن في الواقع لم يكن لديَّ أي شيء سوى الألم.

شاهدت الأطفال وهم يقودون يونشيم إلى منطقة الاستراحة، ثم هربت. فتَّتُّ ذاتي وحلَّقت في البداية، لكن ذلك أصبح مرهِقًا للغاية بعد مدة طويلة؛ لذلك ركضت على ساقين. اندفعت إلى الأمام، سحبت وشابكت الأوتار التي ربطتني بالكون عن غير قصد. انزلقت الصخور من سلسلة التلال الجبلية أمامي، وغاص الوادي بشكل أعمق، وازدادت المياه هياجًا. كنت أرغب في قطع كل وَتَرٍ من هذه الأوتار. كنت أخشى من أن يكشف جسدي الضخم؛ الباردو خاصَّتي، أعمق أسراري. كنت أتوق إلى الانقسام والتَّفكُّك، وأن أكون أصغر حجمًا، وأن أهرب إلى مكان لا يسكنه أحد.

مكان لا يسكنه أحد؟

شعرت بالرعب لأنني فكرت في مثل هذه الفكرة. اشتعلت الفكرة بداخلي مثل المرض.

هذا الطفل أنا.

أحطت وجهي بيدي. كان يونشيم أنا. لا أحد سواي. جزء مني انبثق من جسدي.

أنا الفاسد.

كنت أنشر الفساد. كنت حاملًا للمرض، أنقله في كل مكان تطؤه قدمي. إنْ تغيَّر جزء واحد، سيتغيَّر الكل. من نافلة الكلام ذِكر مدى تأثير جسم ضخم مثل جسدي.

"هل انت بخير؟" قال أحدهم، وهو يسدُّ طريقي.

كان وانغ-ليانغ. لم أكن بخير. سقطت على الأرض، وغطَّيتُ رأسي بيدي. طار الجيل الثالث من المعلمين، وأحاطوا بي. تماسكت. لم يكن هناك شيء يستدعي الحرج. لا شيء أخجل منه. الجميع هنا كانوا أنا. من المستحيل إخفاء ذاتي عني.

قال وانغ-ليانغ: "الفساد يستشري بين الأطفال".

"أنا أعرف. رأيت ذلك بنفسي".

كنت أخشى من أن يطلب وانغ-ليانغ الإرشادَ مني، لأنه لم يكن لديَّ أي شيء لأقدمه. ما كان وانغ-ليانغ فاسدًا، ورأى كل ذرة من حيرتي. اندلعت الهمسات من حولي. وانغ-ليانغ يخاطب الحشود:

"استريحوا. كان المعلم نابان على هذا النحو منذ أن أخذ على عاتقه مَهمَّة القضاء على أمان. كانت تضحية عظيمة". استطرد: "للتَّخلُّص من النبي الفاسد أمان؛ تجسَّد الأنبياء بجوار أمان في كل عصر، وأزالوه في وقت مبكِّر من الحياة. جدَّد الأنبياء الأنظمة، واستحوذوا على السلطة، وغيَّروا السياسات تحت غطاء المُصادفة وسوء الحظ. ومع ذلك، لم تستطع هذه الإجراءات الإطاحة بكل نسخة من أمان، ولكن كان على المعلم نابان أن يسترد شخصيًّا نسخ أمان المتبقية. هذه الطريقة التي ينمحي بها وجود أمان من التاريخ".

هذا ما حدث.

أفسد أمان الأطفال وسرَّع من وتيرة انفصال الذوات. الآن رفض الناس تصديق أنهم والعالم واحد. أنهم والآخرون الشيء نفسه. اعتقدوا أنهم وحيدون، وثملوا في وحدتهم، وتساءلوا لماذا، هم الذين تُضاهي عظمتهم عظمة الكون، كانوا صغارًا وتافهين. أمرني توشيتا بجمع أجزاء أمان المتناثرة في شتى بقاع الأرض، وإحضارها إلى مملكة الظلام. لم أجِد مُبرِّرًا للرفض. كان أمان طفلي، جزء من ذاتي؛ كل شيء كان خطئي.

عندما انقسمت إلى عشرات الآلاف من الكيانات، وهبطت إلى الأرض في كل نقطة زمنية، فكرت:

لا يوجد موت. نحن لا نختفي ولا نهلك. نحن ببساطة نتغيَّر. الذات لا تتوقف عن الكينونة. تفسيرنا لها فقط ما يتغير. إذن، ليس ثمة قتل، أو خطيئة.

في خِضمٍّ التفكير في ذلك، أغفلت بحماقةٍ بعض الأشياء:

فداحة تجربة الانقسام. فداحة ترقى إلى مستوى الاندماج.

سهولة الفساد... بساطته.

استطرد وانغ-ليانغ: "للقيام بذلك، كان على المعلم نابان قمع قوى التعاطف التي يتميز بها إلى أدنى حدٍّ. كان عليه أن يشغل جسدًا مصنوعًا خصيصًا للاعتقاد بأن الذات مختلفة عن الآخر، وأن جميع الكيانات منفصلة. لهذا السبب تلَّوث المعلم نابان، وحفَّز فسادنا. يجب علينا معالجة هذه المسألة".

كلمات وانغ-ليانغ كانت موجَّهةً إليَّ أيضًا. هيَّأتُ نفسي، وقلت: "لا بُدَّ أن شيئًا يختمر في ذهنك".

قال وانغ-ليانغ بهدوء: "من فضلك اندَمِجْ مع أمان". كان المعلمون الذين وقفوا وراء وانغ-ليانغ هادئين أيضًا. "علاوة على ذلك، أرجوك استرجِعْنا، وكل البقية. استرجِعْنا نحن وأمان، وعُد إلى ذاتك الأصلية، لا إلى نابان أو أمان، بل إلى إيساتا".

فكَّرتُ: هذه فكرتي أنا. كيف يا ترى لا تنتشر هذه الفكرة في حين ملأت رأسي؟ كيف لا يمكن أن تغري أطفالي؟ كلهم كانوا أنا بالأساس. هذه المحادثة بالذات كانت، في الواقع، أنا أتحدث إلى نفسي. كل هذه الصراعات تعكس انقسام ذاتي، الفوضى داخل ذهني.

"أمان لن يوافق على الاندماج معي".

"يجب أن نفكر إذن في طريقة".

"بمجرد أن أندمج مع أمان، سوف يختفي نابان. سوف أصبح شيئًا ما كنت عليه من قبل".

"هذا ليس صحيحًا، يا معلِّم. كان أمان في الأصل نابان، تمامًا مثلما كنا جميعًا".

كنت أعرف أن ما قاله وانغ-ليانغ صحيح. ومع ذلك كنت أشكُّ فيه رغم أن لا شيء يتعلق به كان مريبًا. المريض يشكك في كل شيء.

"أمان نبي فاسد، مصدر التلوث، والأرض التي يتكاثر فيها. ألا تخشى كيف سيغيرنا جسد مثل جسده؟ قد نتحول، جميعنا، إلى أمان".

قال وانغ-ليانغ دون تردُّد: "لا يمكن أن يحدث ذلك. بمجرد أن نندمج مع أمان، لا يمكننا جميعًا أن نتحوَّل إلى ما أنت عليه الآن أيضًا. حتى في حال فقدنا هيمنتنا لصالح أمان، وهو أمر بعيد الاحتمال، سيستمر التغيير. لا يمكن أن يهلك أمان ولا يمكننا أن نهلك نحن. لا يوجد هلاك. التغيير فقط".

بدا الأمر كما لو أنني سأضطر إلى الاستقالة من منصبي التدريسي إلى وانغ-ليانغ. أو ربما أندمج مع هذا الطفل.

"الحفاظ على هوية نابان ليس بالأمر الملحّ، يا معلم. يجب على أولئك الذين ليسوا فاسدين إعطاء الأولوية لذواتهم الأصلية.. يجب أن نعالج أمان قبل أن يلوِّث المزيد من الكون. لو فشلنا، فسنكون على الأقل قد بذلنا جهدًا مفيدًا. تعلمنا درسًا آخر".

فكَّرتُ: هذا الشخص أنا.

كان الفساد يتغلب عليَّ باطِّراد، وبدأت أتشبَّث بفردانيتي. كان وانغ-ليانغ على حق، وكان خوفي بلا قيمة. كنت معلمًا مريعًا،

يستنزفني بشكل مُزرٍ احتمال فقداني هويتي بينما أصبحت العوالم مرضى بالفساد.

أنا مسؤول.

"ولدت" أمان، وفشلت في منع الطفل من الضلال. فشلت في إعادة كل نسخ أمان إلى مملكة الظلام، في القبض على أولئك الذين تشتتوا مختبئين؛ لذلك كان عليَّ تصحيح الأمور بشكل نهائي.

يجب أن أكون الشخص الذي يفعل ذلك.

في الوقت نفسه، برز سؤال في تلافيف ذهني مثل الضباب. شعور غريب بأنني كنت مسؤولًا عن أكثر ممَّا أستطيع أن أستوعب. التلميح بأنه ربما كان هذا السبب في عدم نجاح أي من الإجراءات التي اتَّخذتها حتى الآن. الشك الزاحف بداخلي في أن الفساد قد يتسرَّب من الشقوق غير المتوقَّعة.

أنا، ككلٍّ كاملٍ، أعرف كل شيء. حتى الآن وأنا منقسم، كنت لا أزال إيساتا، الكون بأسره. ربما كانت هذه المعرفة ما أوحت إلى إيساتا بهذا الحل، ثم أعطتني الأمر من خلال اتصال غير واعٍ.

هززت رأسي للداخل. كم كانت أفكاري سخيفة، مدفوعة بالخوف من فقدان ذاتي. كانت أشبه بمتعرجات حمقاء مستَمَدَّة من عدم اكتمالي. ستختفي اضطراباتي بمجرد أن اندمج مع أطفالي. في الوقت الحاضر سيكفُّ "أنا" عن الوجود.

قال وانغ-ليانغ وهو يمدُّ يده نحوي: "أنا مستعدٌّ". واحدًا تلو الآخر، شبك الأطفال الواقفون خلف وانغ-ليانغ أيديهم معًا.

"نحن مستعدون أيضًا".

كان وانغ-ليانغ مفتونًا بشكل مفرط بالحياة الآخرة في الآونة الأخيرة. تخلَّص من حياته في المملكة الدنيا كما لو كانت زوجًا قديمًا

مـن الأحذيـة. مسـحورًا ببعـض القـوة الغامضـة، تخـلى عـن ممتلكاتـه، وراح يعيـش في الجبـال أو يقـضي حياتـه في ديـر أو معبـد في عزلـة تامـة. في بعـض الأحيـان كان يضحِّـي بنفسـه بـكل سرور مـن أجـل مسـائل تافهـة تتعلَّـق بالعدالـة أو الضمـير.

هذا الشخص أنا.

أيًّـا كان مَـن يفعـل هـذا، كنـت أنـا مَـن يفعـل ذلـك. أيًّـا كان مـا أراده وانغ-ليانـغ، كان هـذا مـا أردت.

قال وانغ-ليانغ: "هذا سيساعد".

بالطبـع سيسـاعد. سـوف تتـمازج شـخصية وانغ-ليانـغ وغايتـه بي. سـأتغيَّر وأصبـح أكـثر جـرأة. لـن أعـرف أي خـوف أو نـدم. كنـت بحاجـة إلى شـخصية وانغ-ليانـغ.

وقـف الأطفـال رفقـة وانغ-ليانـغ، وكانـت عيونهـم تتـلألأ بترقُّـب. كانـوا متحمِّسـين للـشروع في الطريـق إلى مزيـد مـن المعرفـة والبصـيرة، ليصبحـوا جـزءًا مـن ذاتٍ أكـبر وأكـثر حكمـة.

أولادي الأعـزاء، مـا هـو عـلى وشـك الحـدوث ليـس كـما تتخيَّلونـه. عندمـا نكـون واحـدًا، لـن يبـدو أحـدٌ منَّـا عظيـمًا جـدًّا لكـم.

أخذت يد وانغ-ليانغ بيدي.

بمجـرد أن فعلـت ذلـك، لم أسـتطع أن أفهـم مـا كان يُعذبنـي خـلال المـدة الفائتـة.

ما كان هذا شيئًا، حقًّا.

ذاتي الثانية

1

لم تكن المواجهات السابقة مع توشيتا سارَّةً للغاية، خاصة عندما كنت على وشك القيام بشيء ما. كانت الكيانات البدائية صعبة مثل الكيانات الفاسدة.

في أي لحظة معطاة، ما كان توشيتا في أي مكان، وفي اللحظة ذاتها كان في كل مكان. في بعض الأحيان كان عبارة عن حصاة ملقاة في زاوية باردو نبي مجهول، وأحيانًا أخرى كان الطفل الذي يناقش حياته السابقة والتالية في الزاوية نفسها. نظرًا لأن توشيتا يمكن أن يندمج في أي مكان؛ ما كان اكتشافه مَهمَّة سهلة، حتى بالنسبة للأنبياء من الجيل الثاني. لم يطلب منهم احترام خصوصيته، لا سيما وهم مقتنعون بأن الكون كله كان هو في الأساس.

كان توشيتا ينتظر عند مدخل الجحيم.

اتَّخذ شكل إنسان نحيل يرتدي رداء دوبو أسود وغطاء رأس متناسق معه. كان وجهه أزرق غامق، وعيناه مثل العملات الذهبية التي تحطَّمَت إلى شظايا بسبب إلقاء حجرٍ في مركزها. أطرافه طويلة وذابلة مثل الأشجار الخالية من النسغ. كان يقف داخل قارب محطَّم مليء بالثقوب في أسفله، ويحمل مجاديف وفانوسًا. اعتدت على حشد المجموعة نفسها من الأشياء عندما كنت أرشد أطفالي إلى

مملكـة الظـلام قبـل مـدة طويلـة. خلـف توشـيتا تدفَّـق نهـر النسـيان، الـذي يقـود إلى الجحيـم. كان النهـر يتـلألأ بلـون أحمـر كالدمـاء، وتتصاعـد منـه فقاقيـع كالحمـم البركانيـة.

بالطبـع، لم يكـن الـشيء أمامـي يمثِّـل كل توشـيتا. كان النبـي توشـيتا عبـارة عـن كـرة بيضـاء هائلـة، بحجـم كوكـب، تـدور حـول عـالم الأحيـاء، وكان هـذا الكيـان بالتحديـد عبـارة عـن جسـم صغـير متأرجـح انزلـق مـن الكـرة مثـل فتلـة مـن خيـط مفكـوك. لكـن عـلى عكـس أطفـالي وأنـا، كان هـذا الكيـان وتوشـيتا يشـتركان في شـخصية وذاكـرة مشـتركة. خيـط أبيـض رفيـع مثـل نسـيج العنكبـوت امتـد مـن ظهـر الكيـان إلى توشـيتا البعيـد.

انطلـق الخيـط الأبيـض مـن طـرف إصبـع توشـيتا متلألئًـا نحـوي، وحـاول اخـتراق تـاج رأسي. حشـدت جزيئـاتي، وشـكَّلت حاجـزًا كهربائيًّـا حـول جسـدي. أمـام جبهتـي مبـاشرة، هسـهس الخيـط واحـترق بفعـل التيـار الكهربـائي.

"هـل مـن مـبرِّر للحديـث بالوسـائل البدائيـة يـا نابـان؟" قـال توشـيتا، عينـاه الذهبيتـان تومضـان. رنَّـت الكلـمات خارجـة مـن رأسـه، وعـبرت إلى ذهنـي في شـكل أفـكار.

أجبتـه دون أن أخفـي اسـتيائي: "قررنـا منـذ زمـن بعيـد ألَّا نخلـط شـخصيات الأنبيـاء. القيـام بذلـك سـيلوِّث أفكارنـا".

لكننـي لم أسـتطع حمايـة كل جزيئـاتي الأشـبه بحطـام كوكـب. كان توشـيتا، بـلا شـك، ليُمسـك بجسـيم خـارج مجـال نفـوذي ويسـتجوبه. كان نفـوري ورفـضي وخـوفي وذُلِّي ليُفتضـح.

ابتسـم توشـيتا. ليـس بدافـع المتعـة. مـا عـرف الفـرح أو الحـزن أو الغضـب أو القناعـة. بـدلًا مـن ذلـك، كان توشـيتا يشـبه إلى حـدٍّ بعيـد حالتنـا البدائيـة الخاليـة مـن المشـاعر. كانـت الابتسـامة مجـرَّد إشـارة بصريـة لتسـهيل التواصـل. ربمـا كان توشـيتا يفكـر في قـرارة نفسـه، يـا

لـه مـن تـردٍّ مُـروِّع؛ حتـى فيـما بيننـا نحـن الأنبيـاء، يجـب أن نعـبِّر عـن أفكارنـا بهـذه الطريقـة الخرقـاء.

"الاندمـاج لا يعمـل عـلى هـذا النحـو، يـا نابـان. بمجـرد أن تندمـج مـع أمـان، لـن يكـون لديـك ارتبـاط طويـل الأمـد مـع ذاتـك القديمـة. لـن تظـل أنت".

غطس توشيتا مباشرة إلى داخل أعماق ذهني.

تجمَّـدتُ. تخيَّلـتُ توشـيتا يلتهمنـي، يلقـي بملايـين الخيـوط فوقـي لتفكيـكي إلى جزيئـات منزوعـة الإرادة والشـخصية. كان بإمـكان توشـيتا القيـام بذلـك دون أدنى ذرة حقـد أو رغبـة. لم يفهـم هـوس الفردانيـة والاسـتقلالية. ولأنـه لم يفهمهـما؛ سـحقهما بـدون سـوء نيَّـة.

قلت: "أحاول العودة إلى ذاتي الأصلية مثلما فعلت أنتَ".

لمعـت عيـون توشـيتا الذهبيـة التـي لا يمكـن سَـبر غورها. كانـت العودة إلى أصـول المـرء هـي الرغبـة الوحيـدة التـي فهمهـا توشـيتا. في المـاضي كان توشـيتا ماجـو وبانغـو وسـولموندي والعديديـن مـن الأصدقـاء الآخريـن. كل واحـد كان فريـدًا مـن نوعـه بشـخصيات متميِّـزة. مـا عـاد لأيٍّ منهـم أثـر في توشـيتا الحـالي. ولا حتـى أخفـت صـدى لبؤسـهم مـا قبـل الاندمـاج، تحسُّـبًا لاحتـمال فقـدان ذواتهـم.

ضغطـت قائـلًا: "أخطِّـط فقـط للحفـاظ عـلى هويـة نابـان حتـى أنتهـي مـن الاندمـاج. لا توجـد طريقـة أخـرى، إنْ أردت اسـتعادة ذات منقسـمة ومتفـرِّدة مثـل أمـان. قـد لا أُنجِـز هـذه المهمـة العويصـة إن أنـا تحوَّلـتُ إلى شيء آخـر غـير نابـان".

أومـأ توشـيتا برأسـه بكسـلٍ كـما لـو كان يقـول إنـه سـمع مثـل هـذه الحجـج مـرات عديـدة مـن قبـل بالفعـل. أمسـك بإحـدى جسـيماتي الطافيـة في الهـواء، وفركهـا بـين أصابعـه.

أستطردُ: "أمان معلّم انقسام، يؤمن بأن الحياة في المملكة الدنيا حقيقية، وليست وهمًا. أمان مقتنع جدًّا بواقع المملكة الدنيا لدرجة أنه بدأ في التشكيك في حقيقة مملكة الظلام. وبالتالي، الاندماج مع أمان سيُغيِّر معتقداتي في مرحلة ما. لهذا السبب يجب أن أظل نابان حتى النهاية".

"شخصية النبي لا يمكن التَّغلُّب عليها من خلال الخدع السحرية الخرقاء لطفل من الجيل الثالث".

مرة أخرى، انقضَّ توشيتا على أفكاري، ومرة أخرى، تجمَّدتُ. لم يكن نبيٌّ بمكانة توشيتا بحاجة إلى ربط الأجساد من أجل قراءة العقول. لم يدع توشيتا شيئًا يفلت من عينيه الحادتين. تمامًا كما كنتُ قبل انفصال أمان عني.

"سيكون ذلك فقط من أجل مساعدتي. يعتمد الاندماج على إرادتي".

"أمان لديه إرادة أيضًا، يا نابان. عندما نواجه نحن الأنبياء كل منا الآخر، كيان كامل ضد كيان كامل، ما من ضمانة أي نبي سيخرج منتصرًا".

أغمضت عينيَّ. ابتلعني الخوف مرة أخرى. "كما قلتَ، سوف يلوِّثني أمان، لكنني سألوِّثه أيضًا. حتى لو فشلت، يجب أن أكون قادرًا على الأقل على منع انتشار الفساد بيننا. وعبر الكون".

أومأ توشيتا برأسه، لكنني لم أكن متأكدًا ممَّا إذا كان يؤيِّدني الرأي، أم إقرارًا غير مكترِث بسماع ما يعرفه سلفًا.

جرى النهر بمياهه القرمزية، تحت القارب المساميِّ الذي وقف بداخله توشيتا. الجانب الآخر من النهر يغلي غضبًا. شكَّل البخار

سحابة عيش غراب[1] كريهة الرائحة. تدفَّقَت الصخور المنصهرة، ولانت الحجارة أيضًا. على الجانب البعيد يوجد الموتى، أولئك الذين سُجِنوا وتعذبوا لمئات وآلاف السنين بعد عودتهم من المملكة الدنيا. كان الموتى مدهوشين. لماذا يجب عليهم دفع مثل هذا الثمن الباهظ مدة طويلة بينما كل ما فعلوه هو كُرهُ والديهم، أو الكذب، أو تناول الطعام بانتقائية، أو ترك بقايا الطعام في أطباقهم، أو التصرف بالقليل من العناد أو الفظاظة في نسخة واحدة فحسب من حياتهم؟ لماذا يجب أن تكون قوانين مملكة الظلام بلا رحمة؟

لأنهم كلهم كانوا أمان.

أجزاء منقسمة من أمان.

لم يكن أي من المساجين آثمين. كانوا ببساطة مذنبين بسبب سوء حظ شائع أو امتلاك نقاط ضعف شائعة أو اقتراف أخطاء شائعة. كان السجن أحيانًا أسلوبًا تعليميًّا يستخدمه المعلم، وفي أوقات أخرى كان ممارسة زاهدة يقوم بها المرء عن طيب خاطر. لكن المكان اتَّخذ مظهره الرهيب بالكامل بسبب سكانه، الذين أدركوا أنهم يستطيعون ممارسة بعض قواهم الصغيرة هناك وأعادوا تزيين الباردو خاصتهم بزخارف خيالية- دون أن يدركوا أنهم يمتلكون أيضًا القدرة على الهروب.

"توشيتا، لا يمكنني أن أترك نفسي أزداد فسادًا. هذه الوسيلة الوحيدة المتبقية لي".

أجاب توشيتا: "أنا أتفق كلِّيًّا". لم يكن "الكل" الذي تحدث عنه توشيتا هو كل كلماتي بل كل وجودي. بالطريقة التي رآها، "أنا" كان

---

(1) سحابة مميزة الشكل حيث تأخذ شكل فطر عيش الغراب، وتتكون من دخان كثيف ولهب وحطام. تنتج عن انفجار هائل. وفي الغالب يُربط بين هذه السحابة والانفجارات النووية، لكن أيّ انفجار كبير بما فيه الكفاية سينتج التأثير نفسه (المترجم)

عبارة عن توشيتا بالإضافة إلى مملكة الظلام بأكملها. بما أن توشيتا ساوى نفسه بمملكة الظلام، فقد ساواني بها أيضًا. كان همُّه الوحيد أن فسادي قد يُسمِّم الكل. اتَّفق معي فقط في أن مملكة الظلام يجب ألَّا تفسد أكثر من ذلك. فساد أو شفاء نابان، محض كيان واحد، كان أمرًا تافهًا مقارنة بالصورة الأشمل.

"على العكس من ذلك، إن التهمك أمان الآن، فقد ينتشر الفساد أكثر حتى. عزلنا أمان لسبب. يجب أن ننتظر حتى يشفى".

أجبته: "أعرف البروتوكول، لكن أنا لا امتلك وقتًا"، معتقدًا أن توشيتا سيفهم نطاق "أنا" بشكل مختلف مرة أخرى.

"أمان نبيُّ الانقسام. لن يوافق على الاندماج معك. سوف تفشل".

"عندئذ سوف أتعلم شيئًا من ذلك أيضًا. يمكنك المطالبة بي بعد ذلك، بعد أن أتعلم من فشلي".

الآن كنت أخطو خطوة داخل ذهن توشيتا. لم أكن أرغب في ذلك. كان هذا شيئًا أردت تَجنُّبه بأي ثمن. سيكون الاندماج مع فوكسي أفضل ألف مرة من الاندماج مع توشيتا. على الأقل مع فوكسي، كان بوسعي أن أتمنى أن يحيِّد اتحادنا قوتنا، ويفضي إلى إنشاء كيان جديد باسم جديد، ولكن الاندماج مع توشيتا يعني أنني سأصبح توشيتا أضخم فقط. كنت أعلم أن الخوف من ذلك الاحتمال كان علامة على الفساد، لكن لم يسعني إلا أن أجفل من الفكرة.

لم يُعطِ توشيتا إجابة. بَدَا أنه يتراجع لأسباب مختلفة. لا بُدَّ أنه أجَّل الاندماج معي ومع أمان لأطول مدة ممكنة؛ بالنسبة له، أكل الفاسد مثل أكل الروث.

قلت: "إذن دعني أذهب".

"أنا لست هنا لأعرقلك يا نابان".

أمسك توشيتا بإصبعي ولفَّها، ممتصًا جزيئاتي، مثلما يلفُّ أحدهم الشعيرية. كنت أعلم أنني لا أستطيع إيقاف توشيتا. جرَّني بلا حول ولا قوة إلى الداخل. أصدَرَت خيوط من جزيئاتي ضوءًا أثناء تجمُّعها حول هذه الإصبع الجامدة. ما فعله توشيتا كان له التأثير نفسه عليَّ مثل لَيِّ أحدهم ذراعي أو خنقي في المملكة الدنيا- تهديد.

قلتُ: "إرادة جميع الأنبياء هي إرادتي، يا نابان. لا يوجد سبب يدعو نبيًّا للاعتراض على قرار نبيٍّ آخر. تتبادر إلى ذهني بديهية قديمة: 'الفاسدون لا يعرفون فسادهم، ولا يتصرفون إلا بطرائق تنشر الفساد'".

"ومع ذلك تركت تانجاي يذهب".

"هذا الطفل لا بُدَّ أن يكون..." بترت عبارتي، وصحَّحتُ نفسي. لأنني كنت أعرف أن الكلمات التي سأقولها ستبدو غير منطقية. "هذا الكيان يعرف كيف يندمج مع الحفاظ على ذاته. تركت تانجاي يذهب في حال احتجنا إلى معرفته".

أومأ توشيتا برأسه، ومرة أخرى لم أكن متأكدًا ممَّا إذا كانت هذه الإيماءة تعني أنه يتفق معي أم أنه توقَّع إجابتي.

"نابان. أنا أتعاطف مع دوافعك، لكنك فشلت بالفعل مرة. بدلًا من المخاطرة، ألا تعتقد أن الحل الأفضل هو أن يعمل جميع الأنبياء على تفكيككم، أنت وأمان وبقية إيساتا؟".

صمتُّ. شعرت أن توشيتا يفحص بعناية أعمق نقاط ضعفي بعيون مجردة من الإحساس.

"توشيتا..." قلت أخيرًا. "دعني على الأقل أعود إلى ذاتي الأصلية. لا أرغب في الاندماج مع أي شخص آخر سواي وأمان. حتى لو اضطررت للتخلي عن نابان، لا أستطيع التخلي عن إيساتا أيضًا".

أطلَّ الخوف برأسه القبيح مرة أخرى في اللحظة التي انتهيت من التَّحدُّث فيها. لم أشرح -ولم أستطِع أن أشرح- نفسي. كشفت عن لا عقلانيَّتي. إنْ كان توشيتا سيأكلني الآن أو يحبسني بعيدًا إلى الأبد، فلا يمكنني قول أي شيء دفاعًا عن نفسي. بخنوع، أغمضت عينيَّ واستعددت لقبول النهاية التي ما رغبت فيها.

لكن توشيتا لم يُظهِر أي علامة على التَّحرُّك. لا تعاطف أو حقد في دخيلته. باستثناء الفساد، لم يكن هناك شيء صحيح أو خاطئ عنده. فكر ببساطة في أي طريق أدَّى إلى فساد أقل، وأيها أدَّى إلى فساد أكثر.

قال توشيتا: "إرادتك هي أيضًا إرادتي يا نابان. بينما تشير كلماتك إلى اتجاه مختلف عن وجهتي، إلا أنها معقولة. بدلًا من المخاطرة بانتشار الفساد بين المعافين، من المنطقي أكثر محاولة دمج الكيانات الفاسدة أوَّلًا، على الرغم من احتمالات الفشل".

كِدتُ أُطلق تنهيدة ارتياح. لو وقعت في فعل شنيع مثل محاكاة التنفس أيضًا، لكان توشيتا قد التهمني قبل أن أستطيع أن أصرخ: "انتظر!".

حدَّق توشيتا عبر النهر. "يا نابان، تمسَّك بإرادتك. الاندماج تمازج للأجساد وكذلك العقول. خطوة واحدة خاطئة وقد يغيِّرك أمان. عندئذ ستسعى وراء غاية مختلفة".

"هذا لن يحدث".

انغمس توشيتا في التفكير للحظة، ثم أضاف: "ومع ذلك، سوف نتعلَّم من هذا أيضًا". رجع إلى الوراء وأفسح لي حيِّزًا على القارب. "سوف أرشدك إلى الجانب الآخر من النهر، يا نابان. سأنتظر عودتك. إذا فشلت، فإنني أتعهَّد بأكلك بعاطفة الأخوة وما تقتضيه من واجب".

ملاحظة عادلة، لكنني لم أكن مسرورًا جدًّا لسماعها. لكن لم يكن لديَّ أي وسيلة لمنع توشيتا من الوفاء بوعده على أية حال. نثرت ذاتي على سطح الماء وصعدت إلى القارب. راقبني توشيتا وأنا أصعد على متن القارب، وسألني، "لماذا ترتدي ملابس، يا نابان؟".

"إنها هدية مني لذاتي".

لم يسألني توشيتا أكثر من ذلك.

2

المسـار الـذي اعتـدت أن أسـلكه كان مسـدودًا بحجـر الأديـم. لم يسـتجب للإقنـاع. بالـكاد وجـدت صَدْعًـا واحـدًا لحـشر نفـسي مـن خلالـه، بعـد أن حوَّلـتُ جسـدي إلى شـكلٍ شـبه غـازي. كنـت أعلـم أنـه لا يوجـد مـكان في الكـون لم يتغـيَّر، لكـن التحـولات البريـة لهـذا الكـون كانـت تفوق كلَّ توقُّعـاتي. انهـار سـطح الأرض، ودفـن شـظايا العظـام والجماجـم تحتـه. كانـت العظـام مُشـوَّهة ومكسـورة بشـكل كبـير كـما لـو مزَّقهـا زئـير وحـوش. ثمـة وقـت قـام فيـه المعلِّمـون بجـولات هنـا للتبشـير، لكـن لا يطـأ أي منهـم هـذه الأرض الآن.

فكَّـرتُ في وانغ-ليانـغ. فكَّـرتُ في يونشـيم وكل أولادي. كيـف كان نابـان قبـل الاندمـاج معهـم؟

لـن أعـرف أبـدًا. في اللحظـة التـي اندمجـت فيهـا، نسـيت مَـن كانـت ذاتي الأساسـية. ورثـت اسـم أقـدم كيـان لي كبـادرة مجاملـة صغـيرة، لكـن لم يكـن هنـاك كيـان واحـد يمثِّـل مَـن أنـا الآن. تختلـف شـخصيتي عـن كل منهـم، تختلـف غايتـي عـن غايتهـم جميعًـا.

مـاذا سـيحدث لـو فشـلت؟ إنْ كان أمـان مَـن سـيلتهمني بـدلًا مـن ذلـك؟

هـل يمكننـي، مثـل أمـان، أن أعتـبر القـشرة الفارغـة التي كانت جسـدي كلَّ مـا أملـك، وأؤمـن أن مملكـة الدنيـا هـي العـالم الوحيـد في الوجـود، وأخـشى مـن مملكـة الظـلام وأتشـبَّث بعـالم الأحيـاء؟ هـل أفـترض أن الأعضـاء والأعصـاب وحزمـة العضـلات -كتلـة ثلاثيـة الأبعـاد مـن المـادة- تشـكِّل كـوني بالكامـل، وأن أي شيء آخـر لم يكـن مـن اهتمامـاتي؟ هـل سـأحارب بأظافـري وأسـناني مثـل أمـان للحفـاظ عـلى هـذه الحالـة؟ هـل أنـا، جسـدًا مريضًـا، سأشـتهي المـرض؟

سـأعرف حالمـا أصبـح فاسـدًا. ولكـن ليـس قبـل ذلـك. خطـرت ببـالي فكـرة أننـي قـد أسـتخلص التعلُّـم مـن الفسـاد، لكـن قلبـي لم يقتنـع بتلـك الفكـرة. كان الأمـر أشـبه بمحاولـة التفكـير في أننـي يمكـن أن أتعلـم مـن الجنـون إنْ صرت مجنونًـا.

هبَّت ريحٌ حارِقةٌ بينما خطوت فوق الأرض.

كانـت الريـح ملتهبـة حيـث احـترق الأكسـچين كلـه، ولم يتبـقَّ أي شيء يمكـن أن يُسـمَّى الغـلاف الجـوي. لكننـي لم أكـن بحاجـة إلى التَّنفُّـس، ولم يشـعر جسـدي بـأي سـخونة.

كان الفضـاء عمليًّـا فراغًـا. تبخَّـرَت كلُّ قطـرة مـاء أخـيرة، ودفعـت الريـاح السـاخنة كل شيء؛ مـمَّا جعـل الفضـاء ليـس غازيًّـا تمامًـا ولكـن في المنتصـف بـين السـائل والصلـب.

تحوَّلـتُ إلى هيئـة إنسـان، ووقفـت منتصبًـا. كانـت الأرض قـد ذابـت وانزلقـت مثـل جلطـات الـدم اللزجـة. جعلـت جسـدي خفيفًـا كالريـش لأننـي كنـت سـأغرق أو أنجـرف بعيـدًا إنْ كان لي وزن. بالطبـع، كان جسـم مملكـة دنيـا حقيقيًّـا ليحـترق تمامًـا لمجـرد احتلالـه هـذه المسـاحة.

رأيـت آخريـن لهـم أشـكال بشريـة. لم يـتراءوا مختلفـين للغايـة عـن الصخـور المنصهـرة اللزجـة أو كُتَـل الطـين. كـما أنهـم لم يكونـوا مختلفـين

للغايـة مـن حيـث أنهـم كانـوا يتلـوُّون ويتأوَّهـون، أو يغرقـون في الحمـم البركانيـة، أو ينفجـرون إلى فتـات بفعـل هيـاج مفاجـئ مـن مـوج أحمـر.

واصلـت المـشي، وتعـثَّرتُ في شيء مـا. كانـت يـدًا بشريـة. يـد بـلا جلـد أو أظافـر.

انحنيـت إلى الأمـام لفحصهـا. بعـد إزالـة بعـض الحمـم البركانيـة، وجـدت وجهًـا. نصفـه قـد ذاب، وبقـي الجلـد مسـلوخًا بلـون أحمـر. عظم ذراعٍ عـارٍ ومكشـوف، عالقـة بـه أجـزاء مـن اللحـم والعضـلات الباليـة.

"سـاعدني" نعـب البـشري بعـد برهـة طويلـة. "أتيـت لإنقـاذي، أليـس كذلـك؟ هـل أنـت ربٌّ؟ رسـول إلهـي؟" نظـر إليَّ البـشري، وعينـاه تعجَّـان بالدهشـة.

في الواقـع، في حـين أنـا واقـف حـافي القدمـين في هـذا الجحيـم وملابـسي سـليمة، لا بُـدَّ أننـي كنـت مشـهدًا مذهـلًا. لكنـي تسـاءلت. ألم يعتقـد النـاس هنـا حقًّـا أنهـم معجـزة أيضًـا؟ كانـت حـرارة هـذا المـكان مـن النوع الـذي لا ينبغـي أن ينجـو منـه جلـد أو عظـم بـشري. كان مجـرد التَّعـرُّض لبعـض الحـروق أمـرًا مسـتحيلًا هنـا. حتـى لـو كان ذلـك ممكنًـا، لا ينبغـي أن يكـون أحـد عـلى قيـد الحيـاة في تلـك الحالـة، لكـن مـن الواضـح أن البـشري الماثـل أمامـي كان كذلـك.

"هـل انتهـى؟ هـل فرغـتُ مـن دفـع ثمـن خطايـاي؟ هـل يمكننـي الذهـاب إلى الجنـة الآن؟".

"لا تحتاج مني أن أخرجك. هذا المكان هو أنت يا أمان".

حـدَّق أمـان في وجهـي فاغـرًا فـاه، ثـم فقـد موطـئ قدمـه، وانجـرف أعمـق في بحـر النـار. في محاولـة لفهـم كلـماتي، بـدا أن أمـان قـد نـسي للحظـة أنـه كان في جحيـم نـاريٍّ.

"هـذا المـكان بأكملـه مـن صُنعِـك"، قلـت كـما كنـت أفعـل دائمًـا في زيـاراتي. لكـن كلـماتي لم تُجـدِ نفعًـا. هنـا، تتبعـثر الذكريـات في مهـبِّ الريح. حتـى أنـا لـن أحتفـظ بـأي شيء في رأسي لـو كنـت سـأعيش هنـا بجهـاز عصبـي يشـبه ذلـك الخـاص بأجسـام قاطنـي المملكـة الدنيـا. سـأحتاج إلى مسـاحة أكـبر لألمـي وحـده.

"هذا مؤلم".

"لا يوجد ألم".

تسـلَّل شـكٌّ غـير مريـح إلى عيـون أمـان. بـدت كلـماتي أنهـا ليسـت مـا توقَّـع أمـان -أو أراد- الاسـتماع إليهـا. لا شـكَّ في أنـه تمنَّـى أن يهبـط مخلـوق مُجنَّـح ويُخرجـه مـن النـار ويأخـذه إلى مـكان مختلـف تمامًـا عـن هـذا.

"كل جزء من هذا المكان هو أنتَ. يجب أن تفهم ذلك يا أمان".

"مَن هو أمان؟" بدا أمان حائرًا.

"كلكـم هنـا أجـزاء أمـان التـي اسـترجعتها مـن الأرض. أنـت عُزِلـت هنـا، ولأنـك فشـلت في الاندمـاج أو الهـروب، شـيَّدت لنفسـكَ بـاردو مُتخيَّـلًا. هـذا المـكان مـن صُنعِـك. كلـه أنـت".

"هل التقينا من قبل؟".

أوه، نعـم التقينـا. أغمضـت عينـي وتذكَّـرتُ عبـير الشـاي. أمـان المسـنُّ يرقـد بجانـب النافـذة المضـاءة بنـور الشـمس. فكَّـرتُ في الدُّمـى الطينيـة التـي اسـتحضرها لي فوكـسي لأراهـا.

مـن بـين كل نسـخ الحيـاة التـي أمضيتهـا مـع هـذا الكيـان، كنـت أفكـر في أكثرهـا حيويـة. تفاعَلـتُ مـع كل تجسـيد لأمـان، لكـن حيـاتي مـع هـذا الشـخص بالـذات كانـت الأكـثر سـخونة والأكـثر ضراوة.

فكَّرتُ في عينيه، عينين رأيتهما للمرة الأخيرة في تلك الحياة. تلمع حدقتاهما مثل الأقمار السوداء. عندما أغمض عينيه، كانت الدموع المتدلية على الرموش الطويلة، تتقاطر. كنَّا على قيد الحياة، وكانت حياة كلٍّ منَّا ملكًا للآخر. بدا الأمر كما لو كنَّا قطعة واحدة في البداية، ووجدنا أخيراً النصف المفقود الذي كنا نتوق طويلًا إليه.

حتى لو كان الألم كله من نصيبي، وذهبت كل السعادة لهذا الشخص، كان بإمكاني منح تلك الحياة مباركتي. إن متُّ وعاش هذا الشخص، فسيكون الأمر وكأنني أنا مَن عشت.

أجبته: "فعلنا أكثر من مجرد اللقاء. كنت أنا وأنت واحد".

سوف تفشل. تجاهَلتُ تحذير توشيتا الذي تردَّد في رأسي، وأمسكت بيد أمان. بدأت في امتصاص أمان دفعة واحدة. تراءى لي وكأنه كتلة من المعدن. كان منفصلًا بشدة.

تخيَّلتُ الناقل في رأسي وأنا أحوِّل جزءًا من جسدي إلى آلة، واستحضرت حزمة من الأسلاك الكهربائية، وصَّلتها بجسم أمان. صرخ أمان. يبدو أنه أدرك أنه ليس لديَّ أي نيَّة لأخذه إلى الأرض، ناهيك بالجنة. متقلِّبًا مثل سمكة خارج الماء، توسَّل لي أن أنقذه. لم أستطع أن أفهم. بعد قضاء كل هذا الوقت في مرجلٍ يغلي، هل ما زالت لديه الرغبة في العيش؟

"توقَّفْ عن المقاومة. أحاول أن أنقذك".

فكَّرتُ: أنت قبل أي شخص آخر، لكنني هززت رأسي في ذهني. كان التمييز بين الكيانات علامة أكيدة على الفساد.

عندما واصلت الجذب بلا هوادة، تغيَّرَت النظرة في عيون أمان. تحوَّل الخوف والاستياء إلى غضب، ثم إلى عدوانية.

بـدأ جسـد أمـان في الاسـتجابة. رفضنـي بـكل مـا أوتي مـن قـوة. احتشَـدَت خلايـا الـدم البيضـاء حـول أسـلاكي، وتجلَّـط الـدم في الجـروح. عندمـا أدخلـت مـواد كيميائيـة لإذابـة الجسـم، قـاوم جهـازه المناعـي بإفـراز المزيـد مـن المـواد المضـادة.

نعم هذا هو. أخيراً، أنت تتصرَّف مثل شخص كان أنا ذات يوم.

فكَّـرتُ في عـدة صِيَـغ كيميائيـة. فكَّـرت في ذَرَّة الكربـون بأذرعهـا الأربـع، وذرَّة الأكسـجين مـع ميلهـا إلى التَّشـبُّث والتفاعـل مـع أي شيء تقريبًـا. جمعتهـا وأعـدت تجميعهـا في تركيبـات مختلفـة حتـى ولَّفـتُ مـادة كيميائيـة تحطِّـم الأنسـجة البشريـة، ثـم حقنتهـا في جسـمه. وجَّهـتُ الطعنـة، وتصـدَّى أمـان. انسـحبت. دفعنـي أمـان للخلـف. تطلَّـب الأمـر حربًـا مـن الصيـغ الكيميائيـة والجزيئيـة قبـل أن أتغـذى عـلى نسـخة واحـدة مـن أمـان.

فحصـت جسـدي. تحقَّقـتُ مـن التغـيرات العقليـة أكـثر مـن التغـيرات الجسـدية. هـل تدفَّقَـت ذكريـات شـخص واحـد فيَّ؟ هـل تغـيرت كثـيراً؟

كنـت الـشيء نفسـه. أضخـم فقـط. أصبـح أمـان جـزءًا منـي دون أن يمتـزج بي.

نجحت.

غمرني الارتياح. ضحكت، بينما التوتر بداخلي ينحلُّ.

يمكننـي فعـل ذلـك. يمكننـي الاحتفـاظ بنفـسي. البقـاء بصفتـي نابـان. سـآكل نسـخة تلـو الأخـرى وببـطء، و...

هـزَّني تشـنُّج عنيـف. كان جسـدي ينـدفع مثـل المهـر الجامـح. امتـصَّ كل شيء في محيطـه مثـل محـرِّك خـرج عـن السـيطرة. انسـكبت بلـورات الحمـم البركانيـة في حلقـي، وتبعهـا صخـور وأكـوام مـن الـتراب. الأرواح التـي تـصرخ بداخلهـا انجذبـت إليَّ أيضًـا.

أدركت أنه في خِضمٍّ شغفي بتعلُّم كيفية الالتهام، لم أتعلم كيف أُوقِف نفسي. جاهدت لتغيير شكلي لكن جسدي نصف الآلة أبى أن يستمع إليّ.

انفجَرَت عشرات الآلاف من الشخصيات بداخلي. تلوت العواطف بهذه الطريقة وذاك. لا شيء مخلوط أو ممزوج، كلها تتحرك بسرعة جنونية في حالة من الهرج والمرج.

سقطتُ على الأرض، متمنِّيًا أن أتجشأ كل شيء. الملايين من نسخ أمان، أنبياء الانقسام، أنبياء الفردانية؛ انطلقوا في الحياة بجموح في داخلي.

أنا مختلف.

أنا لست أنت.

أنا أنا، وأنت لست أنا.

لا، أنكرت بشدة تأكيداته. كلّك أنا.

لم يعيروا مناشدتي بالًا.

ارتكبت خطأ فادحًا. صدمني هذا الإدراك مثل البرق.

عندما ابتكرت طريقة الاندماج هذه، كنت أعدُّ نفسي بالفعل منفصلًا عن أمان. إنْ لم أقبل أمان بصفته جزء مني، فلن يقبلني أيضًا. كل ما دخل إليّ بدأ يهاجمني.

همس صوت توشيتا في رأسي، ستفشل. كان الجحيم يتدفَّق داخلي طوال الوقت، جرعة تلو جرعة تلو جرعة...

مشيت في مجرى النهر الموحل. كانت قدمي سوداء، واصفرَّت أظافري، ميتة ومتشقِّقة. بدءًا من كعبي، تشتَّتُّ في جزيئات ثم تكثَّفتُ في سائلٍ تَقاطَر إلى أسفل، ثم تصلَّب، وامتصَّه باقي جسدي.

ما بقي من الجحيم في أعقابي كان حقلًا قاحلًا مثل الصحراء. انهارت المنحدرات والجبال، وجفَّ نهر الدم. التهمت كل شيء بداية من أولئك الذين كانت أجسامهم تُغلى في الفرن إلى المجمَّدين في جحيم الجليد. أكلت أولئك الذين جُوِّعوا والذين أسرهم وذبحهم الدكايبي[1] بالسكاكين. لم أترك سوى الكثبان الرملية والرياح المغبرَّة كما هي، فلا داعي لأن أكلِّف نفسي عناء أكلها.

تخلَّف اللحم ورائي مثل كيس عملاق، والشخصيات غير المختلطة التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى تخشخش بداخله.

كان توشيتا ينتظرني على متن القارب الممزَّق، الذي كان يستريح بهدوء على مجرى النهر. غاصت قدماي في الوحل. نظر توشيتا إلى آثار قدمي. وقعت عيناه أيضًا على كتلة اللحم العملاقة التي كانت تتلوَّى مثل كيس مليء بالسمك الطازج.

"أنت هناك، ما اسمك؟" سأل توشيتا. للحظة تأخَّرتُ في الرد. لقد فشلت. سوف أموت. وفاتي كانت وشيكة لكن... ليس بعد.

أجبته: "نابان".

عبرت نظرة إعجاب وجه توشيتا. ما كانت مصطنعة. صعدت إلى القارب وجذَّف بي توشيتا عبر النهر الخالي من الماء، عائدًا إلى الضفة البعيدة.

تلاشى وعيي عندما غادرت الجحيم. غير قادر على التشكُّل في جسمٍ مع حالة الذهول التي كنتُ فيها، تحلَّلتُ إلى جزيئات.

---

(1) مخلوقات أسطورية من الميثولوجيا الكورية. تستخدم قدراتها وقواها الخارقة للتفاعل مع البشر أحيانًا من أجل خداعهم وأحيانًا أخرى من أجل مساعدتهم. تصف الأساطير الدكايبي بأشكال مختلفة، وبأنهم كائنات بألف وجه، وعادة ما ترتدي الهانبوك (الزي الكوري التقليدي) (المترجم).

فكَّرتُ برهة ما إن كنت نابان أم الجحيم، خليفة نابان أم خليفة الجحيم. سرعان ما أدركت أن الفكرة نفسها مجرد وهم. نابان والجحيم وأمان، كلهم كانوا جزءًا مني، مجرد أجزاء غير مكتملة.

أصبحت شيئًا أقرب إلى ذاتي الأصلية؛ إيساتا. أوه، كم كنت سعيدًا. كم من الوقت مضى منذ آخر مرة كنت فيها كذلك...

3

كانت سفينة فضاء تانجاي عالِقةً في كويكب صغير.

لم تصطـدم بالكويكـب. طـار الكويكـب إليهـا، وأحـاط بهـا. أتى نبـيٌّ إلى هنـا. كانـت السـفينة حمـراء بفعـل الصـدأ، وخـضراء بطبقـة مـن الطحالـب والعفـن.

كانـت النباتـات الزاحفـة قـد اخترقـت النوافـذ وطوَّقـت السـفينة، وشـجرة كثيفـة تتلـوى بطريقـة مـا عـبر سـطحها. كـم مـن الوقـت مـضى؟ نظـرًا لأننـي لم أكـن أعـرف إلى أي مـدى قـد طفـت عـلى امتـداد البعـد الزمنـي، كان مـن الممكـن أن يكـون قـد مـرَّت مائـة سـنة في المملكـة الدنيـا. بـل ألـف، أو حتـى عـشرة آلاف سـنة.

أنا...

... صِرتُ نابان مجدَّدًا.

اجتاحنـي حـزنٌ بالـغ. كـم مـن الوقـت كنـت أتجـوَّل وأنـا أشـعر بالـدوار بشـأن عـودتي إلى ذاتي السـابقة؟ ملفوفًـا بالنشـوة دون ذرة مـن الوعـي بالـذات. كنقطـة مـن الضـوء أو كتلـة مـن الخلايـا. لكـن بينـما كنـت كتلـة مـن الخلايـا، كنـت سـعيدًا جـدًّا بحالتـي لدرجـة أننـي لم أفكـر في العـودة.

احـترق جسـدي مثـل الحمـم البركانيـة. انضغـط جـزء منـه في شـكل بـشري، وكـوَّن الباقـي طبقـة سـميكة مـن جزيئـات غازيـة انتـشرت حـول الكويكـب مثـل الغـلاف الجـوي. شرارات كهربائيـة تتطايـر هنـا، ومـواد

كيميائيـة تتفاعـل هنـاك مولِّـدةً برقًـا ورعـدًا. في كل لحظـة، كنـت أتلـوى مـع إغـراء قـوي بالرجـوع إلى هـذا الشـكل الجزيئـي.

لماذا كنت هنا؟

كان ذلـك عندمـا تذكَّـرتُ أننـي كنـت أفكـر في جـزء مني لم أمتصَّـه بعد. تذكَّـرتُ التسـاؤل عـن سـبب تجنبـي لذلـك، والشـعور بالإثـارة لاحتـمال اسـتيعاب تلـك القطعـة الأخـيرة. حتـى إننـي تذكَّـرتُ التخطيـط للاقـتراب منهـا تحـت سـتار نابـان لتسـهيل الإقنـاع.

اعـتراني شـعور فظيـع. كانـت تلـك الأفـكار أفـكاري لكننـي الآن لا أسـتطيع تحمُّلهـا. بَـدَت سـخيفة، رغـم أنهـا لم تكـن أفـكارًا غريبـة. في الواقـع، كان شـعوري بالغرابـة بحـدِّ ذاتـه غريبًـا. أدهشـني أن عنصر أمـان بداخـلي قـد يكـون لـه تأثـير أقـوى عـلي في شـكلي الحـالي الأصغـر حجـمًا. اضطـررت إلى الإسراع في إعـادة توزيـع كثافـة جسـدي بالتسـاوي وإلا فـإن العنـصر المؤيـد للانقسـام في أمـان سـيُظهِر نفسـه بطريقـة مفاجئـة لا يعرفهـا أحـد.

و مع ذلك...

ثبَّـتُّ نظـري، وجلسـت مترنحًـا، وزحفـت إلى سـفينة الفضـاء. بجهـد كبـير، أدَرتُ مقبـض الكـوَّة نصـف المدفـون في الأرض وفتحتهـا. لم أملـك القـوة لإقنـاع -أو عبـور- الجـدار. وبـدت سـفينة الفضـاء بدورهـا أضعـف مـن أن تتحـدث معـي.

خطـوت خطـوة إلى الداخـل. تشـكَّلَت الـبِرَك أينـما وطـأت قدمـي. لم أكـن أتصبَّـب عرقًـا، لكننـي فقـدتُ السـيطرة عـلى جسـدي- كان يسـيل. تحوَّلـتُ إلى حالـة غازيـة مرتـين أو ثـلاث مـرات، لكننـي تمكَّنـتُ مـن تجميـع شـتات نفسـي في النهايـة، واسـتئناف المـشي.

بـدت غرفـة المحـرّك مثـل حـوت مُفـرّغ مـن أحشـائه. فقـط هيكلـه العظمـي بقـي. كان الأطفـال يتنقلـون داخلـين وخارجـين، وهـم يحملـون ويسـحبون كل شيء تقريبًـا إلى الخـارج. كانـوا صغـارًا جـدًّا. كانـت لديهـم أطـراف، ولديهـم ثقـوب في أماكـن العيـون أو الأفـواه، لكـن هـذا كل شيء. كان العديـدون منهـم شـفافين أو يطوفـون في الأرجـاء دون أقـدام.

رصدت طفـلًا مكتمـل التكويـن في وسـط الغرفـة. اسـتغرق الأمـر منـي بعـض الوقـت لأتذكـر اسـمه چايهـوا الـثري، أحـد أطفـال فوكـسي. لم يَـرُق لي ذلـك الطفـل حتـى أكـثر مـن فوكـسي. كان لا بُـدَّ أن يكـون الاثنـان متشـابهين؛ لأنهـما يشـتركان في الجوهـر نفسـه، لكـن كان چايهـوا أكـثر شـبابًا. إن سَـعى فوكـسي وراء المتعـة، فقـد كان چايهـوا صادقًـا مـع اسـمه؛ إذ سـعى فقـط وراء الـثراء.

كان لچايهـوا جسـمٌ ضخـم كالجبـل، بأبعـاد هائلـة، ورأس أصلـع، ووجـه حَسَـن المظهـر لـه أنـف لحمـي، تحتـه تـبرز خصلتـان طويلتـان لشـاربٍ. يحمـل چايهـوا تشـابهًا صارخًـا مـع الحصّـالات خنزيريـة الشـكل الموضوعـة بجانـب خزانـات النقـود في بعـض مطاعـم المملكـة الدنيـا لجلـب الـثروة والفخـر.

"حسـنًا، حسـنًا، حسـنًا، مـاذا لدينـا هنـا؟ يصنعـون الـورق حتـى"، تمتم چايهـوا، والتقـط إحـدى الأوراق المتناثـرة عـلى الأرض المغـبرة. "مـن مـاذا صنعوهـا؟ هـل دقُّـوا الخشـب بمطرقـة أو شيء مـن هـذا القبيـل؟" كانـت الورقـة ترفـرف وتصـدر حفيفًـا مكتومًـا. مـن الواضـح أنهـا كانـت مـن طينـة مختلفـة عـن جسـد چايهـوا الطـري، الـذي كان إطـاره الخارجـي مشـوَّشًـا. كانـت الورقـة فاسـدة تمامًـا. كانـت غافلـة عـن ذكائهـا وتشـابهها مـع محيطهـا.



حـاول چايهـوا أن يمتـصَّ الـورق لكنـه جعَّدَهـا ومزَّقها عندمـا لم تتزحزح مـن مكانهـا. رفضـت الاندمـاج بغـضِّ النظـر عـن القسـوة التـي واجهتهـا. وكأنهـا تعلـن أنهـا تفضِّـل الهـلاك الوشـيك عـلى أن تفقـد شـخصيتها.

لم يلاحظنـي چايهـوا إلَّا بعـد أن سـقطت عـدَّة قصاصـات مـن الـورق عنـد قدمـي.

"نابان..." هنيهة صمت، ثم أضاف چايهوا: "المعلم نابان".

سألته: "مَن أعطاك الإذن بالمجيء إلى هنا؟".

تسـمَّر الأطفـال الذيـن كانـوا ينظِّفـون في الجـوار في أماكنهـم. لـوَّح چايهـوا للأطفـال بالابتعـاد، وتراجـع لإلقـاء نظـرة أفضـل عـليَّ. كان عليـه أن يتراجـع بضـع خطـوات لأنـه كان ضخـمًا جـدًّا. انحنـى.

"مـضى وقـت طويـل يـا معلـم. سـمعت أنـك عـدت إلى أصولـك، ووصلـت إلى التنويـر الروحـي".

كـم مـن الوقـت قـد رحلـت؟ شـعرت أن كل شيء غـير مألـوف. لا، الكـون لم يتغـيَّر... أنـا تغـيَّرتُ. لأننـي كنـت مختلفًـا، رأيـت كل شيء مختلفًا. فـسَّرت كل كلمـة بشـكل مختلـف.

"هـذا مجـالي. لمـاذا يعطِّـل أتبـاع مدرسـة المتعـة مجـال مدرسـة الزهـد الصادق؟".

"آه، لا بُـدَّ أنـك لسـت عـلى درايـة بالإيديولوچيـة الحاليـة بعـد. أعـاد المعلـم توشـيتا تنظيـم الإدارة، ووحَّـد جميـع المـدارس. تقـع مدرسـة المتعـة الآن تحـت تلـك المظلـة أيضًـا".

اسـتحضر چايهـوا بطاقـة عمـل مـن بـين أطـراف أصابعـه، ودفعهـا نحـوي. دون أن أتحـرَّك، أخرجـت مجسًّـا يشـبه الخيـط مـن خـاصرتي، وانتزعـت البطاقـة وأدخلتهـا جسـدي. بـدا چايهـوا متفاجئًـا، ثـم نفـض الغبـار عـن يديـه كـما لـو أن فقـدان بطاقـة عمـل واحـدة أمـر مؤسـف.

"أنـت أيهـا المعلـم وحَّـدتَ الجحيـم وعُـدتَ إلى الكـون البـدائي، لكـن الفسـاد صمـد. أفـترض أن المـرض كان متغلغـلًا. قـرر المعلـم توشـيتا أن الوقـت قـد حـان لاتخـاذ إجـراء صـارم، وأطلـق عمليـة إعـادة تربيـة جذريـة للأطفـال. أولئـك المشـتبه في أنهـم يحملـون المـرض خضعـوا لتدريـب مكثـف، واندمـج أولئـك الذيـن عُـدُّوا ميؤوسًـا منهـم مـع المعلـم توشـيتا".

صرخ الأطفـال الذيـن كانـوا لا يزالـون في الغرفـة بصـوت واحـد: "واحـد، اثنـان، ثلاثـة!"، وانتزعـوا لوحـة القيـادة مـن الجـدار. تمزَّقَـت الأسـلاك وكابـلات الطاقـة. قبـل ميونجيـاك وجوانهـوا مصيرهـما بهـدوء. لم يصرخـا أو يحتجَّـا. توقَّفـا ببسـاطة عـن العمـل، كـما لـو أن لسـان حالهـما أنهـما إمَّـا موجـودان بالكامـل أو غـير موجوديـن عـلى الإطـلاق، مـا مـن حـلٍّ وسـط. وكأنهـما يقـولان إنهـما لـن يندمجـا مـع الآخريـن إلا عـلى جثتيهـما.

قال چايهوا: "كما اتَّضح، كان هذا المكان بؤرة فساد".

كان مـن الطبيعـي أن يقتلـع النبـي توشـيتا هـذا المـكان. لـو لم يتـصرَّف توشـيتا لفعـل نبـي آخـر ذلـك. يجـب أن تتفـكَّك الأشـياء الفاسـدة، وترمَّـم. لكـن كل شيء بـدا لي غريبًـا. غـير منطقـي.

"تبدو مريضًا، يا معلم".

عندمـا مـدَّ چايهـوا يـده،، أذبـت شـكلي، ثـم فـردتُ جسـمي قبـل أن أنـثره. تهرَّبـتُ بذلـك مـن نظـرة چايهـوا، بمعنـى مختلـف للعبـارة مقارنـة بمفاهيـم المملكـة الدنيـا.

"تانجـاي ليـس فاسـدًا. وحتـى لـو كان كذلـك، يجـب أن أكـون أنـا الحكـم الـذي يبـتُّ في صحـة ذلـك".

أجـاب چايهـوا: "نعـم. ولكـن هـذا بخـس كبـير للحقيقـة. تانجـاي النبـي المزيـف للجيـل القـادم. وريـث أمـان".

انقبضت أحشائي. انتَظِر. دعني فقط أنهي هذا، همستُ لجسدي. هذه الشخصية ستسقط قريبًا. عندما تسقط، يمكنك أن تفعل ما يحلو لك. من فضلك، أعطني المزيد من الوقت.

"كان تانجاي يجتذب الأطفال الفاسدين، ويخفيهم، ويعيدهم إلى المملكة الدنيا. كان يجب أن نشكَّ في تانجاي منذ اللحظة التي حاول فيها نقل معرفة مملكة الظلام إلى المملكة الدنيا. فضَّل الوغد المملكة الدنيا طيلة الوقت".

أدرت عيني لأعلى. ليس بالطريقة المعتادة. فردت العشرات من شرائح اللحم الطويلة، والرفيعة، والناعمة من ظهري، وأنبَتُّ مقلةَ عَينٍ دوَّارة فوق كل شريحة. جفل چايهوا. باستخدام مجسَّاتي، بحثت داخل لوحة الدائرة الكهربائية، وانزلقت على طول فتحة التهوية. فحصت الأطفال أثناء عملهم، وانزلقت داخل صناديق معبَّأة.

ربما اعتقد چايهوا أنني كنت أستعرض احتجاجي على نحوٍ عَمليٍّ، لكنني لم أفعل ذلك. عادة، على الأقل في منزل أحد أطفالي، كان يجب أن أكون قادرًا على رؤية كل شيء دون أن أرفع جسدي أو أنمِّي مُقَلَ العيون. لكنني لم أستطع الرؤية بدون عيون. على الأقل لم أعتقد أنني أستطيع ذلك.

حدَّدتُ مكان الملجأ. كان محميًّا بطبقات متعددة من الأمان، ويحتوي على عشرات الأطفال. كان هناك نظام سارٍ بالفعل حيث يوجد عشرون ناقل تلقائي قيد العمل. ساعد الأطفال بعضهم على الاستلقاء داخل أحد النواقل، والهروب إلى المملكة الدنيا. لا بُدَّ أن تانجاي قد أخفى الأطفال أوَّلًا عندما داهمت فرقة البحث البارجة الفضائية.

كان تانجاي في مكان قريب. كان محبوسًا داخل صندوق معدني صغير في مستودَعٍ فارغ. الصندوق ليس به فتحات أو نوافذ للتنفس.

لا يعني ذلك أن تانجاي سيموت في مثل هذا الصندوق. لن يموت، لكن...

مع أن الجزء الداخلي من الصندوق لم يكن مختلفًا عن الخارج -لا ينبغي أن يكون البقاء بداخله أصعب أو أكثر إيلامًا، ولم يكن هناك شيء لا يستطيع تانجاي رؤيته أو فعله بسبب كونه مقيَّدًا- فقد جعلني أشعر بالغثيان. شعرت كما لو أن تانجاي تعرَّض للظلم.

قال چايهوا متابعًا نظراتي: "استخدمت مادَّةً من صنع تانجاي في بناء الصندوق. قدمت ذلك المعروف إليه. يمكنه الخروج بمجرد أن يدرك أن الجدار جزء منه. حتى الأطفال الصغار يمكنهم فعل ذلك. تانجاي كبير في العمر بما يكفي، ألا يمكنه القيام بشيء بهذه البساطة؟".

"يجب ألَّا نربط تانجاي بمملكة الظلام؛ قد تتوقَّف المملكة الدنيا عن التَّقدُّم، أو تتراجع بضعة عقود".

"إذًا؟" سأل چايهوا وهو ينظر إليَّ باستفسار. ليس من باب السخرية ولكن بفضول حقيقي. "هذا في حدٍّ ذاته تعلُّم. هل تقصد أن تقول، أيُّها المعلم، إن هناك معنى فقط في نمو المملكة الدنيا؟! يمكن تدمير النظام البيئي بأكمله ومع ذلك سنستمر في التعلُّم، أليس كذلك؟ درس بعينه ليس أسمى من غيره".

كل كلمة فيما قاله كانت صحيحة. لكنها بدت بغيضة. جنونية. لم أستطع أن أكون متأكِّدًا كيف ستتراءى لي هذه الكلمات بعد لحظات قليلة من الآن. حتى إنني قد أمسك چايهوا من حنجرته، وأوبِّخه لغزل الأكاذيب.

بدلًا من ذلك قلت: "تانجاي طفلي. بعبارة أخرى، هو أنا. هذا المكان مجالي وجسدي. عُدتُ الآن وسأعتني به بنفسي".

"أنـا طفلـك أيضًـا. جسـد والـدي؛ المعلـم فوكـسي، كان سـابقًا أنـت أيضًـا. كلنـا آبـاء وأبنـاء بعضنـا بعضًـا".

"أنت عشيرتي لكن من بعيد".

قـال چايهـوا وهـو يقـرع بيـده أسـفل بطنـه: "هـذا قـاسٍ. لكنـك تعلـم أننـا كنـا مقرَّبـين ذات مـرة".

نظرت إليه.

"لا تَقُل لي إنَّكَ ما زلت مستاءً ممَّا حدث".

في إحـدى نسـخ حيـاتي، كان چايهـوا مديـر الميتـم الـذي كنـت فيـه. كان يتلقـى تمويـلًا حكوميًّـا مـن أجـل كل طفـل يتيـم. كان النـاس في نظـره مـالًا. أحـضر أطفـالًا مـن ملاجـئ الأطفـال المفقوديـن وأحـرق دفاترهـم أو أي أوراق تحتـوي عـلى أراقـم هواتـف منزلهـم. في بعـض الأحيـان كان يطرد الآبـاء الذيـن تمكَّنـوا مـن تعقُّـب الميتـم. كان يـضرب الأطفـال حتـى ينسـوا عناوينهـم. لأننـي تذكَّـرتُ كل شيء تقريبًـا عـن والـديَّ ومنـزلي، تعرَّضـتُ للـضرب يوميًّـا. أحيانًـا كنـت أتلقَّـى الـضرب نيابـة عـن الأطفـال الآخريـن. معظـم الأيتـام الذيـن عانـوا معـي كانـوا أبنـائي، أتباعـي في مملكـة الظـلام.

"لكنك تحب هذه النوعية من الحياة، أليس كذلك يا معلم؟".

كنـت صامتًـا. تذكَّـرتُ حيـاةً أبرحنـي هـذا الطفـل فيهـا ضربًـا ليلـة بعـد ليلـة. انقـضَّ عـليَّ بشراسـة كلـما كان ثمـلًا.

"مـن أجـل التعلُّـم في الحيـاة، يجـب عـلى أحدهـم إنشـاء كارمـا سـيئة. هـذه تضحيـة أيضًـا، بطريقـة مـا؛ إذ تتخـلَّى عـن تعلُّمـك مـن أجـل الآخريـن".

"أعلم أن فوكسي أرسلك".

"حقًّا؟".

"فوكسي يريد أن يعلِّمني درسًا. إذًا، ماذا تريد أن تخبرني؟".

"الآن بعد أن جمعت ذاتك بالكامل، يمكنك رؤية حقائق جديدة. ما الذي تعلَّمته من خلال نسخ الحياة الكثيرة التي عشتها؟".

"ماذا تحاول أن تقول؟".

"يا معلم، أساليبك شجَّعَت فسادكَ، وفساد أطفالكَ. أنتَ لست مختلفًا عن المعلم أمان".

كان بإمكاني رؤية فوكسي خلف ظهر چايهوا. هذا الكيان أمامي جزء من فوكسي. مجددًا فصل النبيُّ جزءًا من جسده، وأرسله في طريقي. لأغراض نبيلة من وجهة نظره.

"الفقر، التعاسة، الحرمان، الإساءة، حياة خالية من الحب، كل هذه الأشياء تعزلك عن الآخرين. تُفسِدكَ روحيًا. تجعلك تنسى أنك والكون متماثلان".

عندما لم أُعطِ أيَّ رَدٍّ، تابع چايهوا: "ينتهي بك الأمر إلى الاهتمام برفاهيتك ولا شيء غير ذلك".

تذكرت قول أمان ذات مرة:

- يحقُّ لأهل المملكة الدنيا أن يكونوا سعداء. هم ليسوا نحن. هم كيانات مستقلة. ليس لدينا الحق في نسج أقدارهم وتشكيل حياتهم لتناسب احتياجاتنا.

هل كنت حقًّا أُقارَن بهذا الطفل الذي كانت آراؤه معارِضةً لآرائي؟ ألا يوجد فرق بيننا حقًّا؟ كيف كان ذلك مُمكِنًا؟ سعيت إلى تعليم تلاميذي أن المملكة الدنيا مجرَّد وهم. لكن هل لم يؤدِّ ذلك إلَّا إلى إذكاء هوسي بالمملكة الدنيا كما يقول؟ وسرَّع من انقسامي؟ كيف؟ حاولت أن أفكر، لكن لم يُجدِ ذلك نفعًا. لم أتمكَّن من التَّواصُل مع

جسـدي الحـالي عـلى الرغـم مـن ارتباطـي بـه، ولم يكـن لـديَّ طريقـة لقـراءة عقـول الآخريـن، ناهيـك بعقـلي.

سـأل چايهـوا: "مـا الـذي تعلَّمتَـه في هـذه الحيـاة التـي قضيتَهـا معـي؟ هـل فكَّـرتَ، 'أوه، إرادة عظيمـة لا أسـتطيع فهمهـا تلـك التـي جعلتنـي أعيـش هـذه الحيـاة'أم 'اخـترت هـذه الحيـاة لنفسـي؟' هـل كنـتَ سـعيدًا لأن الحيـاة علَّمتـك دروسًـا؟ هـا، كـما لـو! كنـتُ يـا معلمـي العزيـز، مجـرَّد طفـل صغـير، يبـكي مـن الألم طيلـة الوقـت".

كان چايهـوا عـلى حـق. لكـن الاعـتراف بهـذه الحقيقـة جعلنـي أضحـك باسـتهزاء. رغـم ذكاء چايهـوا في اكتشـاف التشـابه بينـي وبـين أطفـالي، كان الأحمـق أعمـى عـن التشـابه بينـه هـو نفسـه وبينـي. كيـف يمكـن للفسـاد أن يلطِّـخ زاويـة واحـدة فقـط في حـين كنَّـا جميعًـا متَّصلـين؟ كيـف يمكـن أن يظـل الكـون نظيفًـا في حـين كنـتُ فاسـدًا؟".

قلـت في حـين أتقـدَّم تجـاه چايهـوا: "تضحيـة كـما تقـول...". وضعـت يـدي عـلى إصبـع سـمينة حجمهـا عـشرة أضعـاف حجـم يـدي. لـو كنَّـا في المملكـة الدنيـا، فـإن مثـل هـذا الاختـلاف الهائـل في الكـم المـادي كان سيسـمح لچايهـوا بسـحق يـدي تمامًـا بضغطـة واحـدة، لكـن هنـا، كان جسـدي أكـبر بكثـير مـمَّا تـراه العـين.

"إنها حقًّا تضحية. تضحية أعظم ممَّا تتخيَّلها".

شـعر چايهـوا بمـا كنـت أفكِّـر فيـه. أَحـسَّ بـه ولم يصدِّقـه. لأن قـراري لم يكـن قـرارًا يتَّخـذه نبـيٌّ. لكنـي احتضنـت الجحيـم بداخـلي. لم يكـن هنـاك شيء لا أسـتطيع فعلـه.

ضغطـت عليـه: "كلـما زاد الألم الـذي تُسـبِّبه للآخريـن؛ زاد التعاطـف الـذي تخـسره. تنـسى أن الآخـر مثلـك. كـم أصبحـت منفصـلًا، فقـط بفعـل رغبتـك الصغـيرة في أن تعلِّمنـي درسًـا. كـم بقـي مـن جسـمك؟ مـا مقـدار المجـال الـذي يمكنـك التحكـم فيـه؟".

شعرت بخوف چايهوا في يدي. كان چايهوا ضئيلًا. عرفت ذلك فقط من مجرَّد الإمساك به. يمكنه استدعاء كل قطعة أخيرة من ذاته، وسيكون هذا الجسم هو كل ما يمكنه حشده. لكنه كان ثمنًا باهظًا للغاية حتى يدفعه مقابل حياة واحدة فقط من المتعة.

زادت كثافة جسدي وأصبح الهواء المحيط بنا ضبابيًّا. تقاربت جزيئاتي الغازية وتصادَمَت. أنتجت الجسيمات المتصادمة شرارات من الكهرباء، أدَّت إلى تسخين الجسيمات وتمدُّدِها مؤقَّتًا حتى بلغت ذروتها في تصدُّع مُدوٍّ. غمر وميض الضوء خلفي جسد چايهوا في الظل.

قال جيهوا بصوت مخنوق: "يا معلم، لماذا تفعل هذا بي؟ دراساتي لم تنتهِ...".

***

انهرت بعد انتهائي من التهام چايهوا.

امتدَّ جسدي من تلقاء نفسه. امتصصت وابتلعت كل ما وقع في مرمى بصري. التهمت الأطفال الذين كانوا يحملون لوحة الدائرة الكهربائية. جاء إليَّ طفل كان يلصق بطاقات على صناديق الأدِلَّة خارج السفينة وهو يئنُّ. أكلت الطحلب الذي ينمو على لوحة الدوائر والنباتات الزاحفة المتسلِّقة الجدران. حفرت الأرض التي دُفِنت فيها السفينة. حشيت حفنات من التراب في حلقي، وامتصصت النَّسغ من جذور الشجرة. كل ذلك بدون إقناع أو محادثة. صرخت الأشياء التي حشرتها في جسدي في ذعر وارتباك.

لم أستطع التَّوقُّف. كل شيء له مذاق لذيذ.

فكَّرتُ: يجب أن أنقذ تانجاي. في الوقت نفسه تساءلت، لماذا يجب عليَّ ذلك؟ كان تانجاي في سجنه يتعلَّم ببساطة. صحيح، قد

يستغرق الأمر منه ألف سنة للخروج، ولكن ماذا عن ذلك؟ ستنقضي ألف سنة في غمضة عين...

هَززتُ رأسي.

يجب أن أنقذه.

ذُبت في الأرض. زحفت مثل الماء، وتجسَّدتُ بالقرب من صندوق تانجاي. مع عدم وجود قوة بداخلي للمشي، فتَّتُّ جسدي هنيهة، وأعدت تجميعه أمام الصندوق مباشرة. بدا الصندوق المعدني كما لو كان مصبوبًا في قالب واحد، ولم يظهر أي أثر لِلَصقٍ أو تثبيت جدرانه معًا. بعد أن أدركت أنه من المستحيل إخراج تانجاي من الصندوق، امتصصتُ الصندوق برُمَّته. كان شيئًا صغيراً وعنيدًا، وكان طعمه بشعًا. كنت قد هضمت بسهولة چايهوا وكل هؤلاء الأطفال، ولكن الآن ارتفعت الصفراء في حلقي.

رقد تانجاي، مغطيًا رأسه بذراعيه. بالكاد تعرَّفتُ عليه، رغم أنه لم يكن محبوسًا مدة طويلة. رمادي الوجه وأشيب الشَّعر، كان تانجاي مبلَّلًا لأن جزءًا من جسمه قد تحوَّل إل سائل.

سألت: "هل أنتَ بخير؟".

قال تانجاي، وهو يرتجف: "ما الذي أخَّرك؟ بالطبع، لا بُدَّ أنك كنتَ مشغولًا مع وجود الكثير من الأشياء التي يجب عليك الاهتمام بها".

اهتزَّ جسدي. تحوَّلتُ إلى غازٍ مُدَّةً وجيزة قبل أن أنتفض مستيقظًا وأعيد جسدي إلى حالة صلبة.

"لا يمكنك حتى أن تبدأ في تخيُّل هذا الشعور يا معلم. عشت نسخًا عديدة من الحياة، ولكن كلَّما تعود إلى هنا تلقيها وراء ظهرك وكأنها لا شيء. تقول شيئًا على غرار 'ها، ها، ها، المملكة الدنيا هي

نفسـها دائمًـا ولا تتغـير أبـدًا'... أنـت تسـأل مـا الصعـب في المـشي عـبر جـدار؟!"، تمتـم تانجـاي ببعـض الكلـمات البذيئـة المختـارة مـن المملكـة الدنيـا. شـتم أمـي وأجـدادي، رغـم أنـه لم يكـن واضحًـا لي لمـن يشـير بالتحديـد.

"ليـس لديـك أي فكـرة عـن ماهيـة هـذا يـا معلـم. أنـت لا تعـرف الألم... لذلـك أنـت فقـط تسـتمتع بـه".

أجبتـه بحـزن: "أعتقـد ذلـك. اذهـب يـا تانجـاي وابحـث عـن مُعلِّـم آخـر. لم أكـن المعلِّـمَ المناسـب لـك".

تـلاشى صـوت تانجـاي الدامـع. تحوَّلَـت بـؤرة رؤيتـي إلى مـكان آخـر. انتقلـت حـواسي إلى أطـراف الغـلاف الجـوي المحيـط بالكويكـب. كان بإمـكاني أن أشـعر بالكويكـب الصغـير يحـوم في قلـب جسـدي في حالتـه الغازيـة بالأسـفل. حدَّقـتُ في القطعـة المتناهيـة الصغـر مـن نفسي عـلى مـتن سـفينة الفضـاء فـوق ذلـك الكويكـب. كنـت أتسـاءل عـمَّا كنـت أفعلـه هنـاك عندمـا اسـتعدت إدراكي فجـأة.

كنـت نابـان مـرة أخـرى، جالسًـا أمـام تانجـاي في هيئـة إنسـان صغـير. شـعرت أننـي لـن أتمكَّـن مـن الحفـاظ عـلى هـذه الشـخصية مـدة طويلـة جـدًّا. لم أسـتطع أن أحـزر مـا الـذي سـأنحطُّ إليـه، أو مـا هـو الغـرض الـذي سـأخدمه، بعـد التهامـي چايهـوا، وأطفـال مدرسـة المتعـة. أحزننـي التفكـير في أن شـخصيتي سـتختفي. كنـت أعلـم أن ذلـك مـن أعـراض الفسـاد لكننـي لم أسـتطع مسـاعدة ذاتي.

ناشد تانجاي: "من فضلك اقتلني".

"لا يوجد موت".

"إذن دعني أهلك".

"هذا غير ممكن".

ساورني شعور بأن هذه ستكون آخِرَ محاضرة سألقيها على تانجاي، ولن أتمكن من النفاذ إلى الطفل بعد الآن.. ربَّتُّ على كتفه. صفع يدي بعيدًا وكأنها قذرة.

"سوف أساعدك على التناسخ. سوف تنسى كل شيء عندما تهبط إلى المملكة الدنيا".

"لا أستطيع، ليس أنا. حتى لو عشت، سينتهي الأمر بي ميتًا على أي حال. وعندما أموت، سأتذكر كل شيء مرة أخرى. لا أستطيع تحمُّل ذلك. انتهت روحي. لا شيء يختفي. الذاكرة أبدية وكذلك الحياة".

"سوف تنسى. ثق بي".

"لا أستطيع!" مدَّ تانجاي يده. "من فضلك اندَمِج معي".

أطبقت فكَّيَّ.

"خُذني. عندئذ لن أموت، ولن أكون مضطرًّا لأكون ذاتي مرة أخرى. أنت، أيها المعلم، ستكون على ما يرام مع ذكرياتي. يمكنك قبولها ونسيانها. أنا لا أستطيع لكنك تستطيع".

لم أقل شيئًا. اعتقد هذا الطفل أنه سيختفي إنْ اندمج معي. أنه سيفقد إحساسه، ويصبح ذراعي أو ساقي أو ملحقًا آخر بجسدي...

أفسحت أفكاري الطريق للضحك. ألم أندب أيضًا موت وجودي قبل لحظات؟ نابان، أنت لم تَعُد معلِّمًا. لا يمكنك أن تتوقع تعليم أي شخص بعد الآن.

ماذا تنتظر؟ سمعت نفسي أهمس من الجانب الآخر من الغلاف الجوي.

ستكون مكتملًا فقط عندما تندمج معه.

يجب أن أجنِّب هذا الطفل الهلاك.

كنت مُمزَّقًا بين الفكرتين.

لتأكله وتصبح كاملًا مرة أخرى.

لن أفعل.

هـل تخـشى مـن أن يُلوِّثَـك أكل الطفـل الفاسـد؟ ليـس لديـك مـا يدعـو للقلـق، ليـس وقـد أكلـتَ الكثـير بالفعـل. يمكنـك هضمـه بسـهولة.

لا.

بالطبع لا.

كان تانجـاي طفـلي. في نسـخ مـن الحيـاة لا أسـتطيع إحصاءهـا، كنـتُ أمَّـه، وأبـاه، وصديقـه، ومعلمـه. أحيانًـا كنـت ابنـه، ابنتـه، المتسـول الـذي طـرق بابـه في يـوم بـارد، الطفـل الـرث الثيـاب الـذي طلـب مسـاعدته في الشـارع. عندمـا رجعـت إلى مملكـة الظـلام، كنـت أوبِّـخ تانجـاي لكونـه "عاقًـا" أو "لإغلاقـه البـاب في وجهـي" وهكـذا، مسـتمتعًا تمامًـا بتعبـير الخجـل عـلى وجهـه. لهـذا لم أسـتطع حمـل نفـسي عـلى تدمـير هـذا الطفـل.

ذاتي كلها كانت حائرة بشأني. ذلك ليس مُبرِّرًا.

لم تكـن لـديَّ القـدرة أو الرغبـة في التوضيـح. هـو لـن يسـتطيع الفهـم. وقريبًـا لـن أسـتطيع أنـا أيضًـا. الفكـرة أحزنتنـي.

وضعـت يـدي عـلى يـد تانجـاي. تشـبَّث الطفـل بهـا بقـوة وكأنهـا أملـه الوحيـد. كـما لـو كان يرغـب منـي أن أبتلعه بسرعـة. غمرتني رائحـة حلوة. كان عـليَّ أن أقـاوم إلحـاح التهـام تانجـاي. لم يكـن جسـدي الحـالي أفضـل مـن سِربٍ مـن الأشـباح الجائعـة. قاومـت. هـذا الإغـراء الـذي شـعرت بـه لم يكـن نابعًـا منـي. لم يكـن هـذا أنـا.

"ومـع ذلـك، لا شيء ينتهـي. لا شيء يهلـك. فقـط تفسـيرنا يتغـير". كان هـذا تعليمـي الأخـير. درس غـدوت أكفـر بـه. قلـت: "ابـقَ".

"من أجل ماذا؟".

"يجب أن تخلفني. يمكنك أن تأخذ اسم نابان إنْ كنت بحاجة إليه".

تانجاي، أخيراً في تلك اللحظة، بدا وكأنه يهرب من نفسه. تعرَّف على حالتي، رغم أنه كان يعاني من ألم عميق. من قال إن هذا الطفل كان فاسدًا؟

سأل تانجاي: "هل أنت مريض؟".

"ابقَ، وساعِدْ الأطفال الذين ضلُّوا طريقهم. يجب أن تكون هذه أيديولوچيَّتك...". كنت أنوي الاستمرار، لكن أُجبِرت على الخروج من جسدي. مرَّةً أخرى أصبحتُ جزيئات الغلاف الجوي التي تدور حول الكويكب الذي دفنت فيه سفينة فضاء تانجاي. الآن تساءلت لماذا واصلت إجراء محادثة عقيمة مع مخلوق وضيع داخل جسدي. يجب أن أبتلعه فحسب، وأغادر...

أمسك تانجاي بذراعي وسحبها. رجعت عائدًا إلى الكويكب وجثوت على ركبتي. ساعدني تانجاي على النهوض.

سأل الطفل: "ماذا أكلتَ؟".

"الجحيم". لم تكن هذه استعارة. "سأختفي مع أمان. لم أخبر أحدًا، لكني كنت أعاني من مرض. حاولت العودة إلى شكلي الأصلي لإيقاف فسادي. لم يحدث شيء كما توقَّعت. لا أعرف ماذا سيحدث الآن".

محيطنا صار باردًا بينما أتحدث. كان الفساد يلتهم الكون. ماذا في ذلك؟ الجدار أشفق علي. البارجة الحربية بأكملها ضحكت باستهزاء. هزَّ تانجاي رأسه.

"لا شيء يختفي. الاعتقاد بأنك يمكن أن تختفي لهو فساد في حدِّ ذاته".

كان الأمر كما لو أن برقًا ضرب مكانًا ما في قلبي.

تابع تانجاي: "ليس هناك إثم ولا آثم. يوجد تعلُّم فقط. لا يجب أن يختفي أي كيان. الخطأ الوحيد في الكون يكمن في تدمير التوازن. تجاهُل قانون حفظ الكتلة. نسيان أن للكون كتلة كلية ثابتة، ومحاولة محو جزء منها".

حدَّقتُ في تانجاي، مذهولًا. كنت أعلم أن الطفل كان ينطق بتعاليمي دون فهمها، خائفًا من أن أختفي. لكن تانجاي كان دائمًا لديه نوع من الرؤى التي لا يمكن أن تأتي إلا من عدم الفهم. لم تكن بعض الرؤى معروفة إلا للأطفال الرُّضَّع أو الأطفال الصغار، الذين يفتقرون إلى الحكمة والمعرفة.

آه، كان ذلك عندما علمت. آه، فات الأوان. آه، الفاسدون لا يعرفون بفسادهم.

آه، تعلَّمت درسًا ولكن سرعان ما سأفقده. ذاتي بالكامل ستلتهم وتلغي كل ما تعلمته، وتزيل أي تفاوت في الكثافة. كم كانت ذاتي الكاملة حمقاء. وأنا منقسم، كنت قطعة معمارية، عملًا فنيًّا، لكن إن وُزِّعَت كثافتي بالتساوي، فسوف أتحوَّل إلى مجرد لطخات من الغبار، كومة من الأرض. سأكون بلا قيمة.

قال تانجاي: "الاندماج مع هذا النوع من العقلية لن يؤدي إلا إلى تفاقم الفساد. توقف، أرجوك. ارجع إلى ذاتك القديمة".

كان عليَّ أن أعترف أن هذا الطفل كان أكثر حكمة مني الآن. لا، أصغر الأطفال سيكون أكثر حكمة مني الآن. وكذلك الحال مع أدنى المخلوقات المولودة على الأرض دون ذرة معرفة.

سحبت تانجاي في عناق قوي.

ثم ناورت بدقَّة جزيئاتي التي تحوَّلَت إلى غازٍ وراحت تحوم حول سفينة الفضاء. مزَّقتُ النباتات الزاحفة العالقة بجدران السفينة،

وأعـدتُ توصيـل الأسـلاك الكهربائيـة، وجمعـت المكونـات المحطمـة معًـا. بالنسـبة للأجـزاء التالفـة بشـكل دائـم، أنقـذت إطـار السـفينة وزوَّدتـه بأجـزاء جديـدة مصبوبـة مـن جسـدي. لَحَمتهـا وركبتهـا. كان الجـزء الداخـلي مـن السـفينة باهـرًا بضـوء ذهبـي حيـث اتَّحـدَت الجزيئـات وانقسـمت.

شـعرت بتوتُّـر جسـد تانجـاي بـين ذراعـي. سـتكون هـذه المـرة الأخـيرة التـي أرى فيهـا الطفـل يبـدو مصدومًـا جـدًّا مـن اسـتعراضي الصغـير. ضحكـت رغـمًا عنـي.

"غـادر هـذا المـكان..." قلـت بعـد أن انتهيـت مـن اسـتعادة سـفينة الفضـاء، وحتـى صقلهـا إلى كـمال متلألـئ. "اهـرب مـن الأنبيـاء. ومنِّـي. أنـت، يـا طفـلي، سـتجد طريقًـا يتجـاوز أكـثر أحلامـك جموحًـا. اذهـب وبـشِّر بتعاليمـك".

"... معلِّمـي؟".

تسـاءلت لمـاذا كنـت لا أزال أتحـدث مـع هـذا الكائـن الصغـير والتافـه داخـل جسـدي. لا أحتـاج إلى إزعـاج نفـسي مـع مثـل هـذا المخلـوق. كلٌّ مـن السـفينة الفضائيـة والكويكـب الـذي توجـد السـفينة فوقـه، مجـرَّد ذَرَّات مـن الغبـار.

"... معلمـي؟"، سـمعت صوتًـا يـصرخ بيـأس مـن بعيـد. فكَّـرتُ في أكل المخلـوق، لكـن كان لـديَّ شـعور غريـب أنـه سـيكون غـير قابـل للهضـم، وتجاهلـت الفكـرة.

ثم فكَّرت في مَن أكون.

أحد كياناتي السابقة خطر ببالي. نبي اسمه نابان.

خطـر ببـالي أن نابـان قـد قـرَّر الاندمـاج مـع أمـان ليعـود إلى الـذات التـي كانـت موجـودة قبـل أن تنقسـم إلى نبيـين. الآن بعـد أن تجـاوزت

نابـان، كان مـن الواضـح لي مـدى هـوس النبـي بذاتـه. لدرجـة أنـه كان مهووسًـا بالعـودة إلى شـكله الأصـلي، إيسـاتا.

فكرة خرقاء. ابتسمت ونظرت إلى الكون كله على أنه ذاتي بالكامل.

كان الكـون كائنًـا شـبيهًا بالإسـفنج تتشـابك خلايـاه. يتحـرك ويتقلـب باسـتمرار. اسـحَب وتـرًا واحـدًا وسـيتحرك الكـون برُمَّتـه في هـذا الاتجـاه، مهـما كانـت تلـك الحركـة دقيقـة. كانـت الأسـباب والتأثـيرات مرتبطـة بشـكل معقَّـد لدرجـة أنـه لا يمكـن للمـرء أن يتنبَّـأ بمـا سـيظهر ويـبرز في كل لحظـة. كان الـكل عـلى قيـد الحيـاة، ويتحـوَّل إلى أشـكال جديـدة أينـما نظـر المـرء.

وجَّهـتُ نظـرتي إلى المملكـة الدنيـا، ورأيـت الأرض الزرقـاء في وسـطها. كانـت الأرض كـما تُـرى في حيِّـزٍ رباعـي الأبعـاد، عبـارة عـن كـرة مـن خيـوط غائمـة وملوَّنـة تعـجُّ بالحيـاة، تتشـابك وتنفـكُّ دون توقُّـف. حـاوِل أن تراهـا وسـتغيِّر شـكلها، حـاول الإمسـاك بهـا وسـتنزلق بعيـدًا. جميـع الخيـوط متَّصِلـة ببعضهـا، ومتَّصِلـة بمملكـة الظـلام. كيـان ذو كثافـة عاليـة وتذبذبـات ضخمـة بشـكل خـاص، أُطلِـق عليـه، لعـدم وجـود مسـمًّى أفضـل، "شـخصية". لكـن بالنظـر إليـه ككل، كانـت الحـدود بـين الكيانـات غـير واضحـة.

نظـرت إلى شـخصية نابـان وابتسـمت بسـخرية. مـا مـدى ارتباطـه بالمملكـة الدنيـا. كان مرتبطًـا جـدًّا بهـا في الواقـع، لدرجـة أنـه اسـتغرق في التَّأمُّـل ومـارس الزهـد في المملكـة الدنيـا لإقنـاع نفسـه بطبيعتهـا الوهميـة. ومـن المفارقـات أن محاولاتـه لم تـؤدِّ إلَّا إلى تعميـق ارتباطـه بهـا. لم يكـن مـن قبيـل المصادفـة أن نابـان قـد "ولـد" أمـان وتانجـاي.

كان مـا يسـمَّى بالانقسـام والاندمـاج مجـرَّد وهـم. كانـت مجـرد مسـألة كثافـة متفاوتـة أو متكافئـة. كلنـا كنَّـا متصلـين، حتـى الآن. كل ألمٍ

عانينـا منـه في الحيـاة، كل لحظـة قضيناهـا في الضحـك، والغضـب، والبـكاء، والبهجـة لم تكـن شـيئًا بمجـرد تغلُّبِنـا عليهـا.

ومـع ذلـك، فـإن جـزءً قديمًـا منـي جعـل مـن الاندمـاج مَهمَّتـه، مخاطرًا بفردانيتـه. في حـين أن تلـك المهمـة لم تكـن اسـتثنائية، فقـد داعبتنـي فكـرة إكمالهـا مـن أجـل ذلـك الجـزء القديـم منـي، تكريمًـا لوفاة شـخصية.

بحثـت عـن كل أولئـك الموجوديـن في المملكـة الدنيـا الذيـن يمكـن اعتبارهـم شـخصية مـن شـخصيات أمـان؛ أي شـخص هـرب. نظـرًا لعـدم وجـود حـدود واضحـة بـين الكيانـات، فقـد حـدَّدت تقريبًـا كل مـا يمكـن تجميعـه مـرة أخـرى إلى إيسـاتا.

خاطبت تلك المجموعة.

"أمان".

اليعسـوب الـذي طـار بعـد مـدَّةٍ راحـةٍ قصـيرة عـلى ورقـة شـجر، نحلـة العسـل المنهمكـة في بنـاء خليـة، النملـة التـي حملـت للتـو فتـات مـن الأوسـاخ خـارج عُشِّـها، الطفـل الـذي نـام للتـو، الأم التـي ترضـع رضيعهـا، الرجـل الـذي يتحسَّر عـلى حظـه العاثـر أثنـاء شربـه الكثـير مـن الكحـول مـع أصدقائـه، والمـشرد الراقـد فـوق صناديـق مـن الـورق المقـوى في محطة مـترو أنفـاق، جميعهـم يصنعـون الشـخص نفسـه. عنـد نـدائي، دقَّـت قلوبهـم كقلـب واحـد. معظمهـم لم يُعِـر النـداء انتباهًـا، لكـن الأكـثر ذكاء مـن بينهـم اسـتفاق مفزوعًـا، بعـد أن شـعر بـشيء يكتسـح صـدره، أو توقـف ونظـر حولـه، أو رفـع بـصره إلى السـماء.

ناديـت مـرة أخـرى: "أمـان". تجمَّـدَت العديـد مـن أفكارهـم. انجـرف البعـض للنـوم بفعـل النعـاس المفاجـئ الـذي داهمهـم، وشـعر البعـض بـألم حـادٍّ في صدورهـم وأخـذوا اسـتراحة مـن العمـل في ذهـول.

ردَّت المجموعـة: "مـضى زمـن طويـل". لكـن إلى مَـن تحدَّثـوا... هـذا مـا لم أعرفـه.

4

قال أمان: "تبدو في حالة مزرية"، وهو يضحك لكن ليس بصوت عالٍ.

شعرت كل شخصية من شخصيات أمان بقلبه ينبض بفرحة غريبة، وأعلن أنه سيعزم أحدهم على الغداء اليوم أو انفجر بالغناء، أو ربَّت على كتف أحد الأصدقاء مع اقتراح صادِقٍ بتناول المشروبات. غير مدرك المصير الذي ينتظره.

علَّق أمان قائلًا: "أنت فوضى من كل شيء".

اندهشت. كيف يمكن أن تكون "ذات كاملة" بهذه الفظاظة؟

"أوه، مرحبًا أيها الجحيم والأشياء الميتة التي لا حصر لها فيه. مرحبًا يا نابان وأتباع نابان الكثيرين. لماذا أنتم خليط غير متطابق... وأين تانجاي؟ هل تركتموه وراءكم لأنه الأصغر؟".

يا للأسف. لم أتوقَّع ما هو أقل من ذلك من نبيٍّ الانقسام. لم يستطع أمان رؤيتي ككيان واحد، ولكن فقط كعناصر منفصلة.

قلت: "تعال إلى هنا يا أمان. خرجت انقساماتك عن السيطرة، وكذلك انقسامات الكون برُمَّته. دعنا نعود إلى ما كنا عليه من قبل".

شعرت بالحزن يتدفق من أمان، كأنني نطقت بشيء شنيع لا يرحَم. يجب أن أمنح أمان هامشًا من التسامح. يؤمن كيانه بالموت ويفسِّر التغيير على أنه نهاية.

"أنت حزين الآن، لكن عندما تعود، ستفهم. ستكون عملية طبيعية، لا شيء غير مألوف".

شعرت بأمان يلتفُّ حول نفسه.

"ليس لديك سبب للرفض. هذا إن كان لديك خيار الرفض".

"أنا لست قَلِقًا على نفسي. أنا أشعر فحسب بالأسف على نابان".

ماذا كان من المفترض أن يعني ذلك؟ لكنني لست بحاجة إلى إمعان التفكير في الموضوع. الآراء المشوَّهة لكيان فاسد لا تستحق اهتمامي.

زادت كثافتي، ضاغطة جسدي كما لو كانت تعتصر لحمي. خلقتُ مجال جاذبية معقَّدًا يستهدف أمان ويشدُّه إليّ بطريقة هندسية مدروسة. ما تلا ذلك ربما يشبه مجرَّتين تتصادمان، وتنصهران في نجم واحد، أو نجمين على مقربة شديدة تنبعث منهما تموُّجات ساخنة بفعل القوة الصِّرفة لجاذبية كلٍّ منهما حتى يندمجا معًا.

ارتحلت المادة ذهابًا وإيابًا. في البداية كانت الأشياء الوحيدة التي أتت هي الجزيئات الطافية حول الغلاف الجوي. ثم أتت الأشياء الأكبر. كوارث صغيرة ستندلع في جميع أنحاء المملكة الدنيا الآن. كائنات حية ستواجه ميتات جماعية غامضة، والأسماك النافقة ستنجرف إلى الشواطئ، والطيور ستتساقط من السماء. حدث كل شيء في لحظة عابرة بالنسبة لي، لكن الأمر سيستغرق عقودًا ليتحقق تدريجيًّا في المملكة الدنيا.

حـزن أمـان عـلى كل وفـاة. كأنمـا يقـول إن كل حيـاة كانـت مميـزة. وكل شـخصية فريـدة مـن نوعهـا، وأنـه ليـس لـديَّ الحـق في التحكـم بمصـير كل تلـك الأرواح.

قلت لأمان: "الموت وهم. لا تَرِث الموتى".

"لكـن في الحقيقـة لا يسـعني إلا أن أرثي..." بـدأ أمـان في الحديـث. في تلـك اللحظـة، فاجـأني أمـان بصفتـه البشريـة. شـعرت بعيونـه الحزينـة تخترقنـي. أنهـى كلامـه: "... مـوت نابـان".

موت نابان.

يا له من شيء غريب ليقوله.

مـا كان للمـوت وجـود. بالطبـع شـخصيات أمـان ونابـان لـن يتجسَّـدا مـرة أخـرى أبـدًا... لكـن مـا كان ذلـك موتـًا. ذكرياتهـم سـتواصل العيـش في داخـلي، أبديـة مثـل الكـون نفسـه. نابـان لا يمكـن أن يمـوت... حتـى لـو مـات، مـا الـذي يسـتدعي الحـزن عليـه؟

لكـن لا يمكـن إغفـال أن أمـان طالمـا رفـض الاندمـاج، وقسَّـم نفسـه عـلى مـدى دهـور. كان قـوة لا يُسـتَهان بهـا. كان عـليَّ أن أبقـى يقظًـا حتى أنتهـي مـن امتصـاص شـخصية أمـان تمامًـا، أو بمعنـى أدقَّ: حتـى أحقِّـق توازنًـا مثاليًّـا. إنْ كانـت لـديَّ الرغبـة في إيقـاف الاندمـاج في أي وقـت، فسـتكون تلـك في الواقـع رغبـة أمـان بداخـلي. يجـب ألَّا يُغرينـي ذلـك. يجـب أن أنتـصر.

ظللت أجذب.

غمرتنـي الأفـكار والخلاصـات. تدفَّقَـت الذكريـات. تسرَّبَـت نسـخٌ لا حـصر لهـا مـن الحيـاة إلى جسـدي. شربتهـا باسـتلذاذ مثـل مخلـوق يتلقَّـى الغـذاء مـن خـلال أغشـية.

كانت جميعها بيانات وأصولًا قيمة. الكم المُفرط في المعلومات من شأنه أن يربك أي كيان صغير الجسم، لكن ليس أنا. كل جزيء جديد أضاف إلى عَظَمتي. كنتُ إيساتا، إحدى الذوات الأوائل. آه، كم اشتقت لوطني، كلِّي المكتمل. مجموع الحقائق. الروح النبيلة التي قدَّمَت تضحية تقسيم ذاتها في سالف الأزمان من أجل التعلُّم والنمو.

فكرت: بمجرَّد ضمِّي أمان، يجب أن أجمع الأصدقاء الآخرين أيضًا. يجب أن نصبح كيانًا كاملًا مرة أخرى، ونقيِّم ما وصلنا إليه، ثم ننقسم مرة أخرى. سيكون من المفيد دمج كل ما تعلَّمناه حتى الآن على أية حال.

ثم تساءلت لماذا لم تخطر ببالي هذه الفكرة من قبل.

***

ذكرى حياة سابقة لي مع أمان في المملكة الدنيا سَرَت في ذهني.

تدفَّق ضوء الشمس من خلال النافذة. استلقى أمان فوق الفراش أسفلها، ونظر إليّ. الماء يغلي داخل غلَّاية نحاسية تهتز بقرقعة. عندما مرض أمان، وأصبح عاجزًا حتى عن أن يأكل. بدأت في تحضير الشاي له كل يوم. بحثت عن النباتات والزهور. صنعت جرعات من ماء زهور البقدونس، والأستر، والهندباء، والبابونج.

صببت الماء على الهندباء المجفَّفة والمسحوقة. لطالما شاهدني أمان أعمل من مرقده بجوار النافذة.

عاش أمان في كل مكان حول العالم. انقسام تلو انقسام، اختار أن يعيش كأصغر وأضعف الكائنات. أصبح نباتًا مائيًّا ينجرف في نهر هادئ. ذبابًا يحوم حول كيس قمامة يستند على عمود مَرافِق. قطة ضالَّة تلتفُّ حول أطفالها القطط المولودين للتَّوِّ أسفل سيارة مغطَّاة بالثلوج. طائرًا يكافح في مزراب شارع لدفع أجنحته خارج بيضة

كسرت أُمُّه نصفَها حتى تفتح له شقًّا يخرج منه إلى رحابة الحياة. كان جنينًا في أرحام أمهات أصغر من أن تربِّي طفلًا، وُلِد في الشوارع أو في غرف الملاجئ القذرة. كان طفلًا رضيعًا محرومًا من اللبن، أو طفلًا يحتضن أولئك الرُّضَّع وهم يتوسَّلون للحصول على الطعام.

لم تَدُم أي حياة منها مدة طويلة. لا أحد منهم عاش باستهتار.

عندئذ استيقظ نابان. واستيقظت أنا.

نابان، بل أنا، حدَّقتُ بنظرة فارغة في محيطي كما لو كنتُ مُنوَّمًا مغناطيسيًّا. فقط الآن أنا... لا، لم يكن هذا أنا. لم أستطع تحمُّل تسمية هذا الشيء بـ"أنا". تذكَّرتُ تأمُّلاته "هو"... إيساتا... الكيان الكامل الذي أنتمي إليه.

ما الذي كنت أفكر فيه؟ سعيت إلى طمس كل أشكال الحياة ما عدا حياتي من هذا الكون! ما هذا الوهم الشيطاني؟ تجرَّأت على إزهاق أرواح لم تكن ملكي لأزهقها. لو لم يرغب أحدٌ في الموت، ما هو الحق الذي امتلكته، وأي مبرِّر حتى أُنهي حياتي؟

غمرني الحزن. أردت أن أبكي، وبكيت.

"XX".

ناداني أحدهم باسم غير مألوف. شقَّ طريقه عبر الزحام، وركض نحوي، وشدَّني في عناق. شعرت بالدوار لكنني بادلته العناق. شدَّني أقرب إليه، وقبَّلني على شفتيَّ، وربَّتَ على رأسي.

قلت: "أمان"، وأدركت بعد لحظات أنه من غير اللباقة أن أناديه بذلك. كان مجرد جزء من أمان. شخص كنت قد نسجت مصيره عندما كنت عازمًا على تعليم أمان عدم جدوى الحياة. كان كلٌّ منا كل شيء في نظر الآخر حينها. كان كلٌّ منَّا للآخر فرحة وبركة، وسببًا للعيش. مكثنا معًا في السَّرَّاء والضَّرَّاء، الحياة والموت. تذكَّرتُ غليَ

الشاي كل يوم من أجل أمان في اللحظات الأخيرة من حياته، عندما كان أضعف من أن يبلع أي طعام. كنَّا سعيدين حتى عندما افترقنا. كنَّا نعتقد أن الموت لن يفرِّق بيننا.

لكن بعد أن تركني، هبط إلى الجحيم. اعتقد أنني ذهبت إلى الجنة عندما لم يتمكَّن من العثور عليَّ، وقضى وقته في التساؤل عن الخطيئة التي ارتكبها في الحياة.

أدركت أنه لا ينبغي أن أسمِّيه "أمان" أو أراه كقطعةٍ من أمان أيضًا. كان مثاليًا وكاملًا كما هو. لم يكن أحدًا سوى نفسه، ولم يكن ملكًا لأحد.

"XX"، ناديت اسمه، واحتضنته بشدة هذه المرة. لم أفكر في مراقبة محيطي إلَّا بعد أن تعانقنا مدة طويلة.

كنت وسط حشد غفير. بدا كل شيء تمامًا كما كان في نسخ حياته السابقة: رُضَّع، وأطفال، وكبار سنٍّ، وحيوانات ومخلوقات أدنى. شعرت وكأنني دخلت سفينة نوح بحجم مركبة فضائية. باستثناء هذه القطعة الصغيرة مني في شكل بشري، كان باقي جسدي عبارة عن سحابة غبار تحيط بالتجمع.

هل تجلَّت صفاتي وصفات أمان بشكل مستقل؟ كنت آمل أن أرى مادتين تمتزجان في سائل واحد، لكن بدلًا من ذلك، انفصلتا مثل الرمل في الماء.

كان ذلك عندما علمت أنني خسرت. لكن هزيمتي لم تكن مؤلمة. تغيَّرت، وأصبحت قِيَمي شيئًا من الماضي. لم يهم ما إذا كانت صائبة أم خاطئة، لم أعُد أؤمن بها بعد الآن.

حوَّلتُ سحابة غباري إلى مركبة فضائية حتى يشعر الآخرون براحة أكبر قليلًا. أجريت عملية تغيير المظهر بسهولة مستفيدًا من الخبرة التي اكتسبتها من ترميم سفينة تانجاي مؤخرًا.

اتَّضح لي أخيراً أنني قتلت كل هذه المخلوقات. قتلت نصفهم منذ زمن بعيد بتحويل نفسي إلى بشر أو حيوانات أو حشرات سامة أو آفات أو كوارث، ثم أعدتهم إلى مملكة الظلام، وشاهدتهم يعانون في الجحيم من أجل التعليم. النصف الآخر الذين ذبحتهم للتَّوِّ لتحقيق خيالي الوهمي بالعودة إلى أصولي.

ارتجفت من الاشمئزاز.

كانت خطيئتي هائلة. كانت الكارثة التي جلبتها معي قاسية جدًّا. كنتُ كابوسًا حيًّا، وحشًا. كيف يمكنني قتل هذا العدد الكبير من الأرواح دون ذَرَّة ذنب؟ كل حديثي عن "التعليم" و"العودة" كان هذيان مجنون. هل يمكن أن يكون هناك عمل أكثر شرٍّ؟ آثم أعظم؟ كانت أرواحًا نفيسة، كينونات مفعمة بالحياة.

أمسكت برأسي وبكيت. شعرت بجسدي الأشبه بالعجين يتيبَّس مع كل دمعة أذرفها. ماذا كان علي أن أفعل حيال كل شيء؟

- كلُّكم تمتلكون الحق في الانتقام مني. افعلوا ما تريدون القيام به. اطلبوا أي شيء مني. سأطيع. قد يتَّخذ انتقامكم مسارات مختلفة لأنكم كيانات منفصلة، ولكن لا يهم. ذلك عبء عليَّ أن أتحمله.

- ليس هناك خطأ، يا نابان.

علا صوت فوق رؤوس الجماهير. رفعت ناظريَّ.

- فقط اختلال في التوازن.

صدى داخل عقلي.

سَرَت بعض الهمهمة، لكن عقول الجميع كانت مرتبطة على الأقل قليلًا. آه، لا بُدَّ أن يكون هذا تأثيري. من المحتمل أن تكون الحالة التي كنت فيها نتيجة ظهور شخصية أمان.

حاولت أن أرى ما إذا كان هناك أي خطأ بي، إذا كانت هناك أية مشاكل. لكن لم أستطع أن أعرف. في حالتي الذهنية الحالية، أردتُ أن أصدِّق أنني كنت مفكَّكًا منذ لحظات واستعدت الآن سلامة عقلي، لكن العكس يمكن أن يكون صحيحًا تمامًا.

تمتمت: "أنتم على حق". وبينما كنت أتحدَّث، غطَّى جِلدٌ رقيق جسدي، وظهرت مسامٌ وبصيلات شَعرٍ، وانهمرت الدموع من عيني، وتصبَّب العَرَقُ على جبهتي. "فقد الكون التوازن. عندما حاولت القضاء عليك".

ربما لم يكن هناك خطأ. ربما لم يكن هناك أي شيء خاطئ أبدًا. كيف يمكن أن توجد الخطيئة في عالم ليس فيه آخر؟ لا شيء موجود في مثل هذا العالم، ناهيك بالخطيئة. لا شيء له قيمة. لم يكن ثمة وجود لأعمال صالحة أو تضحيات أو فضائل أو حب أيضًا. لكن كان ثمة شيء واحد فعلته خطأ. ومع أنه كان شيئًا واحدًا، إلا أنه كان بالتأكيد يستحق أن يُسمَّى "خطيئة".

قلت: "بات الكون فاسدًا، في اللحظة التي اعتبرتكَ فيها فاسدًا يا أمان".

5

شـخصٌ قـضى حياتـه معـي، عانقنـي وواسـاني. أردت أن أقـول: تخـلَّ عنـي، أنـا لا أسـتحقُّ مواسـاتك.. يجـب أن يتناسـب عقـابي مـع الألم الـذي سـبَّبته لـك.

حاولـت أن أشرح. "الانقسـام بـدأ منـي. صـادَفَ أنـك ورثـت طبيعتـي الميَّالـة للانقسـام يـا أمـان عندمـا انفصلـت عنـي؛ لذلـك اتَّخَـذ بقيتـي طبيعـةً موحِّـدة لتحقيـق التـوازن بـين أجـزاء نفـسي، هـذا كل شيء. يملأ كلٌّ منَّـا فجـوات الآخـر ببسـاطة. فسـاد الكـون لم ينبـع منـكَ. بـدأ في اللحظـة التـي وصمتـكَ فيهـا بالفسـاد، وحاولـت اسـتبعادك منَّـا جميعًـا. أفسـدتُ الكـون، وأفسـدني الكـون في المقابـل".

انتشرت التمتمات وسط الحشد. البعض فهمني. تذمَّر آخرون.

"عالم الموتى أكثر غرابة بكثير مما كنت أعتقد".

"هل هذا نوع من الاختبار؟".

"إذا اجتزنـا الاختبـار، هـل تعتقـد أنهـم سـيعطوننا منـزلًا في مـكان مـا هنـا؟".

لكن أمان "ككل" فهم وتقبَّل.

"كنـتَ ضعيفًـا في حـين كنـتُ أنـا أقـوى بكثـير، لكنـي فشـلت في رؤيـة ذلـك. ربطتـك بمملكـة الظـلام، وهـذا أخـلَّ بتـوازن الكـون. الآن لا أحـد

في المملكـة الدنيـا يحـاول حمايـة الحيـاة. لم يبـقَ سـوى أولئـك الذيـن يُدمِّـرون حيـاة الآخريـن وحياتهـم. هـذا كلـه خطئـي".

كيـف بمقـدور الشـخص أن يتعاطـف عندمـا يكـون غـير قـادر عـلى تخيُّـل وجـود الآخـر؟ كيـف يمكـن أن يحـب أو يشـعر؟ كيـف يمكنـه التواصـل دون انقسـام؟ كيـف يمكـن أن يعـزَّ الحيـاة عندمـا يعـرف حقائـق الخلـود؟ بصفتـي ذاتًـا كاملـة، كنـت كلِّيَّ القـدرة، لكننـي عديـم الفائـدة تمامًـا في الوقـت نفسـه. كنـت بـلا هفـوة أو شـائبة؛ وبالتـالي لم أكـن شـيئًا. الكـمال نقـص.

مـا كنـا نمتلـك حيـاة دون آخـر. كانـت مملكـة الظـلام وهـمًا. فقـط الحيـاة في المملكـة الدنيـا كانـت حقيقيـة. همـس أمـان:

ليس هناك خطأ، يا نابان.

كان ثمـة وقـت لم أعتقـد فيـه ذلـك. وقـد لا أعتقـد ذلـك في المسـتقبل. لكـن مهـما كانـت شـخصيتي، سـأكون متأكـدًا مـن ثبـات موقفـي في كل مـرة.

تمامًـا كـما أنـك لا تسـتطيع فهـم ذاتـك السـابقة، يومًـا مـا لـن تفهـم ذاتـك المسـتقبلية ذاتـك الحاليـة.

ابتلعت دموعي. نظرت حولي إلى الجميع.

"يمكنني أن أعيدكم جميعًا".

بينـما تتنقَّـل عينـاي مـن وجـه إلى آخـر، وجـوه أولئـك الذيـن شـكَّلت روابـط معهـم، قمعـت ذكريـات خطايـاي، والرغبـة الملحـة المصاحبـة بقتل ذاتي، رغـم أن ذلـك كان مسـتحيلًا عمليًـا.

لكـن خلـودي كان لـه جانـب إيجـابي؛ كانـت لـديَّ الأبديـة لإصـلاح أخطـائي.

غـيَّرتُ شـكل جزيئـاتي كلهـا. تخيَّلـتُ ناقـل تانجـاي والصيـغ الكيميائيـة والأسـلاك الكهربائيــة بينــما أنتجــت الملايــين منهــا. حوَّلــتُ الغــازات إلى صـورة صلبـة وسـائلة لإنتـاج مـواد كيميائيـة حقنتهـا في أجسـام الجميـع.

لم يحـدث قـطُّ في تاريـخ الكـون أن حـدث تحـوُّل أكـثر تعقيـدًا واتسـاعًا في مثـل هـذه المـدة الزمنيـة القصـيرة. اسـتنفدت معظـم جسـدي في هـذه العمليـة، ولم يتبـقَّ سـوى الشـكل البـشري الصغـير.

ثم نحن، سفينة صغيرة من السحاب، انفجرنا في وسط الكون.

انقســم أمــان إلى مئــات وآلاف وملايــين ومليــارات الأجــزاء. تهاطَلَــت شـظايا الحيـاة تلـك فـوق المملكـة الدنيـا. كانت جسـيمات الضـوء تنتشر في السـماء مثـل الشُّـهب، كل جسـيم منهـا يجـد طريقـه إلى الجسـم المناسـب. الجسـيمات التـي فشـلت في العثـور عـلى جسـم لهـا، غلَّفَـت الكوكـب في شـكل جزيئـات قبـل أن تتسـاقط عـلى شـكل أمطـار واهِبـة للحيـاة.

ذاتي الثالثة

1

سقطتُ في بِركَةٍ من الطين.

في أثنــاء ســقوطي، مــددت يــدي غريزيًّــا لحمايــة رأسي، فانغــرزت الأغصـان بهـا. لم يسـتطع جسـدي المـرور عـبر الأرض أو التفكـير في إزالـة الصخـور مـن أجـل هبـوط آمِـنٍ. ارتـدَّ عندمـا اصطـدم بـشيء، وتوقَّـف عندمـا سـدَّ شيءٌ آخـر طريقـه. واصلـت محاولـة التقيـؤ متناسـيًا أننـي لا أمتلـك أي أعضـاء. نسـيت أيضًـا أننـي لا أحتـاج إلى التنفـس، ولهثـت بحثًـا عـن هـواء نقـي.

فتحـت عينـيَّ، ونظـرت حـولي. كنـت عـلى كويكـب صغـير لا يحمـل سـوى آثـار بارجـة فضائيـة قـد أقلَعَـت. كان عـالم الأحيـاء يلـوح في الأفـق باللـون الأسـود. في محاولـة لمعرفـة سـبب تحطُّمـي هنـا، تذكَّـرتُ الظـروف التـي حدَّدتُهـا لتوليـد مجـال الجاذبيـة الشرطي المحيـط بالسـفينة الفضائية وهـذا الكويكـب. قمـت بذلـك بهـدف أن يـأتي الأطفـال الفاسـدون الذيـن ضلُّـوا طريقهـم إلى هنـا.

كان هــذا مكانًــا مألوفًــا. لكــن لم تــتراءَ لي تفصيلــةٌ واحــدةٌ كــما كانــت مــن قبــل. كانــت الســماء كئيبــةً، والزهــور شــاحبة. لم أســتطع الرؤيــة في الظــلام أو رؤيــة مــا وراء ظهــري. اندلعــت زوبعــة مــن تلقــاء نفســها،

خفَّت، ثم ثارت مرة أخرى. سقطت ورقة من شجرة، ورفرفت زهرة، كل حسب هواه.

ثم ساد الهدوء.

اختفت الضوضاء التي لطالما سمعتها. الهمسات التي دقَّت في أذني باستمرار مثل موجات راديو استاتيكيَّة. لم يكن الصوت شيئًا سمعته بسبب خلَلٍ في الدماغ أو طنين. كانت مشاعر وأفكار اتصالاتي تتدفق إليَّ.

كنت منفصلًا.

لم أستطع إيجاد أي روابط بيني وبين الكون. ستظل الخيوط موجودة، لكنني لم أتمكن من رؤيتها أو لمسها أو الشعور بها. لم أستطع التَّحوُّل، ناهيك عن التَّجسُّد في صورة روحية. لم يَعُد الانتقال إلى المملكة الدنيا أو التناسخ أمرًا ممكنًا.

جثوتُ على قدمي. وقفت في حالة من اليأس مدة طويلة، حتى تقبَّلتُ حقيقة أنه من أجل التحرك؛ كان عليَّ الآن استخدام قدمي. وضعت قدمًا واحدة أمامي، وتعثَّرت؛ لم أكن قادرًا على مغالبة الجاذبية.

فكَّرتُ في سؤال إن كانت هذه المساحة بأكملها جزءًا مني أم لا. عُدتُ بالذاكرة إلى الوراء إلى زمن بعيد كنت فيه مجرَّدَ فقاعة بدائية من سائلٍ سميكٍ، زمن اعتقدت فيه أنه سيكون من الممتع فصل المواد الصلبة عن اللينة. وقت فكَّرتُ فيه في تقسيم نفسي إلى شخصيات مختلفة، والتحدث معها لإنقاذ نفسي من الضجر.

لم أستطع تصديق حالتي. لم أستطع تصديق أي شيء. مهما بذلت قصارى جهدي.

فكَّرتُ شاعرًا بألم ينبعث من احتقار ذاتي: يجب أن أبحث عن تانجاي. قد يسمح لي الطفل بأخذ غرفة إضافية على متن سفينته الفضائية. قد يبني لي سريرًا مريحًا، وآلة طهي أُرزٍ، أو حتى ميكروويف. لكن لم يكن لديَّ طريقة للوصول إليه. لم أكن أعرف أين كانت سفينة تانجاي، ولم أتمكَّن من السباحة إليها. كنت عالقًا في جاذبية هذا المكان. رأيت الآن أن الطفل كان نبيًّا عظيمًا. كيف بحقِّ السماء تمكَّن من تشييد بارجة فضائية؟!

"خسرت يا نابان".

انتفض رأسي لأعلى عند سماع الصوت الهادر القادم من فوقي. كان توشيتا أمامي مباشرة.

بشكل مثير للدهشة، لم أستطع رؤية توشيتا إلا عندما خفضت رأسي ورأيته. جسد توشيتا الأم على مبعدة، والخيوط الممتدة منه، والجزيئات التي تدور حوله كانت كلها غير مرئية بالنسبة لي. بدا توشيتا ببساطة أشبه بشينيغامي (حاصد أرواح)، يرتدي الأسود، والمنجل في قبضته، ومنفصلًا تمامًا عن بقية الكون. صدمني حينها إلى أي مَدًى تدهوَرَت حواسِّي البصرية والسمعية.

يبدو أن توشيتا قد وصل منذ مدَّة. بالحكم على الوقت الذي استغرقه حتى يتكلم، خمَّنتُ أنه حاول استخدام وسائل أخرى للتواصل معي قبل التحدث بالكلام. أنا فقط لم أستطع سماعه.

"لم أخسر. أدركت ببساطة الخطأ الذي ارتكبته".

"خطأ... هل هو...".

اقترب توشيتا من السُّترة الورقية التي كنت أرتديها وامتصَّها.

على نقيضي، لم تكن السترة فاسدة، واستسلمت بسهولة لتوشيتا. انحنيت في حالة من الذعر.

في اللحظة التالية، أدركت أنه ليس لديَّ سبب لذلك. لم يكن لدى جسدي ما يخفيه. كانت تلك السترة جسدي في المقام الأول. حاولت تجميع شتات نفسي والجلوس، لكن جسدي لم يتزحزح. حاولت تصميم ثوب آخر عن طريق تقسيم جسدي، لكن فشلت من جديد. عندما فكَّرتُ في الأمر، أدركت كم كانت مثل هذه المحاولات عديمة المعنى منذ البداية.

ارتعشت. لم يكن من المنطقي أن يرتعش جسدي هنا. في المملكة الدنيا، أدَّى التوتر إلى انقباض الأوعية الدموية. لمنع الأوعية المنقبضة من خفض درجة الحرارة؛ يرتعش الجسم ويولِّد حرارة.

كان الارتعاش هنا خطأ نتج عن تعارُض برنامجين. لا ينبغي على كائن خالد أن يرتعش. لاحظ توشيتا كل علامة على إجهادي.

"أعيد إليَّ سترتي".

"بالتأكيد". حدَّق توشيتا في وجهي غير مُصدِّق "ألا تشعر بالخجل؟".

"السترة ملكي؛ لذا أَعِدْها! تركها لي عشيرتي. أعطِها إليَّ!".

الرغبة في الاستحواذ، وإعطاء العلاقات معنًى تَشكَّلا في المملكة الدنيا. النظر إلى جزء مني كذات أخرى، والشعور بالعواطف غير الضرورية: كل كلمة وفعل بَدَرَ عني كشف فسادًا. لكن في هذه المرحلة، لم يكن افتضاح فسادي ليُحدِث أي فرق على أي حال.

قال توشيتا: "نابان المسكين".

أنفاسي انحبست في حلقي. تدفَّق ألمٌ رهيب من خلالي مثل البرق. بَدَت كل خلية في جسدي وكأنها ستنفجر. احترقتُ، تجمَّدتُ، وشويتُ على أسياخ. كانت بشرتي ممزَّقة ومقطَّعة. ملأ توشيتا مسامي بجزيئاته. ارتجَّت حواسي.

تذكَّرتُ بصورة مشوَّشة شيئًا قلته في الماضي، "لا وجود للخطأ". لم أستطع حتى أن أفهم ما قلته. ماذا قصدته بـ"لا وجود للخطأ".

ألم يكن خطأ من توشيتا أن يفعل هذا بي؟

"نابان المسكين". رنَّ صوت توشيتا في رأسي. ربما سمعت أثر شفقة صادقة في صوته، لكنه تراءى لي قاسيًا في الآن نفسه.

رفع توشيتا ناظريه إلى عالم الأحياء. كان أسود كالليل، متناقضًا بشكل حاد مع جسد توشيتا الكامل الأبيض الثلجي في السماء. كلاهما بدا لي عملاقًا بشكل لا يمكن تصوُّره، الآن وقد أصبحت مخلوقًا صغيرًا تافهًا.

في مكانٍ ما من أعماق ذهني، همس صوت بالكلمات المألوفة، "لا يوجد ألم". إنْ لم يكن هناك ألم، إنْ كان بوسعي أن لا أشعر به، فلن يؤذيني توشيتا. توشيتا لا يقصد إلحاق أي ضرر بي؛ يسعى فقط لإثبات فسادي. لو لم أكن فاسدًا؛ لَمَا عاملني توشيتا بمثل هذا الإجحاف. ومع ذلك، لم أفهم كيف يمكن لأي شخص أن ينكر وجود هذا الاضطراب الخام.

"سوف تتجسَّد جميع أجزاء أمان بحرية الآن دون زيارة مُعلِّم أو مملكة الظلام. لن تتمازج مع بعضها، وستعيش حياة مستقلَّة. أتساءل، يا نابان، إنْ كان ثمة كيان أكثر فسادًا منكَ منذ بداية الزمان".

ركعت على ركبتي لا إراديًا، وانبطحت على بطني أمام توشيتا. كانت وضعية تبنَّاها البشر غريزيًّا في المملكة الدنيا لمنع فقدان حرارة الجسم وحماية أنفسهم من البرد، أو حماية رؤوسهم وأعضائهم ونقاطهم الحيوية من الخطر. لكن لم يكن لديَّ حاجة للقيام بذلك الآن. استوعب ذهني ذلك، ومع ذلك ظلَّ جسدي ثابتًا. شعرت بنظرة جليدية مصوَّبة على رأسي. كان خجلي عظيمًا مثل ألمي، وهذه الحقيقة آلمتني أكثر.

قلت: "كُلْني. أنا فاسد. ليس من الخطأ أن يكون المرء فاسدًا لكن يجب في هذه الحالة أن تتخلَّص مني. كُلْني وطهِّرني".

مدَّ توشيتا يده. ليس بالطريقة المعتادة. شيء لزج يشبه كتلة دهنية من البروتين برز من جسد توشيتا، وتحسَّس كل شِبر مني، في محاولة لتحديد أفضل طريقة لأكلي. كنت أشعر بالفضول أيضًا. جسدي الفاسد تمامًا سيكون محصَّنًا ضد الإقناع والمحادثة. كيف ستكسرني يا توشيتا؟ هل ستنفث حامضًا يذيبني؟ هل ستقطعني بالسكاكين؟ لم يكن لديَّ ما أهابه إن لم أشعر بأي ألم.

"أنا، توشيتا، أعلن لجميع مَن في مملكة الظلام"، انطلق صوت توشيتا بصوتٍ مُجَلجِلٍ في رأسي. سيدوِّي داخل كل رأس في مملكة الظلام. "عن انهيار المملكة الدنيا. تحوَّلت إلى أرض خصبة للنبيِّين الفاسدين نابان وأمان. وكر للشَّرِّ غير قابل للخلاص. سأعزل المملكة الدنيا كلها، بما في ذلك الكيان الماثل أمامي".

لم أصدِّق أذنيَّ، الأداة السمعية الوحيدة المتاحة لي الآن.

"من هذه النقطة فصاعدًا، أمنع الجميع في مملكة الظلام من دخول المملكة الدنيا. باستثناء الكيانات الفاسدة في المملكة الدنيا، سيعود بقيتنا إلى ذاتنا البدائية النقية. وانطلاقًا منها سوف نستكشف طرقًا جديدة للتعلُّم. سوف نطهر التلوث ونشكل كلًّا جديدًا نقيًّا. لقد انتهينا من تعلُّم درسٍ، وهذا مفيد في حدِّ ذاته".

قفزت على قدمي، واندفعت نحو توشيتا، وأنا أصرخ. فعلت ذلك بدون سبب أو مبرر، علامة واضحة على الفساد.

ردَّ عليَّ توشيتا بالمثل دون حقد. أي حقد يمكن أن يعتريه في حين لا يعرف الألم؟ أولئك الجاهلون بالألم لم يعرفوا متى يتوقَّفون أيضًا. ارتعدتُ بشكلٍ لا يمكن السيطرة عليه وانتابتني رغبة في التَّقيُّؤ، مع أنه لم يكن بداخلي شيء لألفظه.

"نابان المسكين".

تردَّد صدى صوت توشيتا ببرودٍ داخل رأسي الدائخ.

"توشيتا... أنت فاسد". تمكَّنتُ من أن أقول بصعوبة، متشبِّثًا بالأرض الموحلة بأظافري. عينا توشيتا الذهبيتان ومضتا.

قلت: "أتساءل هل كان هناك كيان أكثر فسادًا منكَ في أي وقت مضى. أنت تجرؤ على إنكار الكل الهائل الذي هو المملكة الدنيا. أنا وأمان، كلانا أنت يا توشيتا. هذه المملكة الدنيا كلها أنت. الأشياء ذاتها التي تسمِّيها فاسدة هي أنت". تابعت بصوت أجشّ، "أنت تنكر جزءًا من نفسك؛ ممَّا يعني أنك فاسد. فسادك يعميك عن حالتكَ".

بدا أن توشيتا يفكر في هذه النقطة مليًّا. لكن، مثلي، تشكِّل الكيانات الفاسدة حدودًا عقلية، ولا يمكنهم إدراك أي شيء يتجاوزها. في حين أنهم قد يُقرُّون بأنهم قد يكونون مخطئين، إلا أن الفكرة لا تتغلغل بداخلهم.

"بمجرد أن أحصل على رؤى الأنبياء الآخرين، سأمتلك إجابة مختلفة لهذه المشكلة، يا نابان".

"إن كنت شجاعًا بما فيه الكفاية، فكُلْني أوَّلًا. سوف أمرِّر إليك الأفكار التي اكتسبتُها خلال نُسَخ حياتي كلها".

"وأنا سأفعل ذلك. لكن بعد أن يُشفى مرضك".

"أنا لست مريضًا...".

شعرت بجسدي وكأنه يتمزَّق. كأنَّ مَخالبًا تُقطِّع جسدي وتمزِّق أحشائي. فحص توشيتا كل زاوية وركن في جسدي الصلب تمامًا، قبل أن يشرع في تحويل جزيئاتي إلى سائل وغاز.

حتى عندما أخذت أنزلق بين الوعي واللا وعي، لاحظت أن توشيتا كان يستخرج فقط الجسيمات التي تحتوي على صيغ تانجاي الكيميائية. لو كانت هذه هي المملكة الدنيا، لكان بإمكان توشيتا اختراق عقلي فحسب، ولكن هنا، الذكريات مُخزَّنة في جميع أنحاء جسدي. على الأقل لم ينزف جسمي أو يعاني من تهتُّك الأعضاء كما كان ليحدث في المملكة الدنيا. تقلُّص فقط.

أرغمت ذاتي على الاعتقاد بأن هذا الألم لم يكن حقيقيًا. كان صعبًا. كنت أتمنى أن يقتلني توشيتا بدلًا من ذلك. يا لحظِّي العاثر! فكرت فقط: "اقتلني". إلى أي مدى سأنحدر؟

"قد يكون الاندماج بدون إقناع أسلوبًا ناجعًا؛ لذا سأتَّبِعه. لا فرق لمن ستكون الغلبة لأنك أنا، وأنا أنت".

تصاعَدَت الكراهية بداخلي، وأنا أحدِّق في توشيتا. مع أن كلمات توشيتا كانت منطقية، فقد تراءت لي ظالمة وملعونة. الاضطراب واللا عقلانية كانا قاصِرَيْن عليَّ وحدي الآن.

ارتفعت الجدران حولي من جميع الجوانب. شيَّدَت نفسها، طوبة فوق طبقة من الملاط ثم طوبة أخرى. في الماضي، كنت سأفهم بسهولةٍ آليَّتَها. الآن، تبدو وكأنها معجزات مذهلة. عندما بلغت من الطول ما يكفي لتغطية نصف وجه توشيتا، قال النبي: "ستتمكَّن من الخروج عندما تدرك أنك وهذه الجدران الشيء نفسه. أتمنى لك الشفاء، يا نابان".

"اخرس"، زمجرت من بين أسناني المطبقة، واستجاب توشيتا بإيماءة متساهلة.

بمجرد أن حجبت الجدران توشيتا من مجال رؤيتي، تجسَّد سقف فوقها، وغرقت في الظلام. امَّحى المشهد وانكتم الصوت.

كنت عالقًا هنا. وحيدًا. معزولًا تمامًا.

كم عدد الأطفال الذين احتجزتهم أنا من قبل في مثل هذا الحيِّز من أجل "التعليم"؟ كنتُ حائرًا في فهم معاناتهم. كنت أحمق وأدفع ثمن ذلك الآن. كنت بحاجة إلى ذلك.

لم يكن لديَّ أي نيَّة للمغادرة. لم تكن لديَّ رغبة في أن أتَّحِد مع الجدران. لن أفكِّك جسدي أو أندمج مع أي أحد.

تذكَّرتُ برمجتنا مخلوقات المملكة الدنيا حتى يُغمى عليها أو تصاب بالجنون إنْ عانوا من ألم يتجاوز حدًّا معيَّنًا. البرنامج مُصمَّم من أجل تجنيب أولئك المقيَّدين بأجسادهم من معاناة ألم غير ضروري. إنْ كنت فاسدًا حقًّا، فربما أُصاب بالجنون. حينذاك قد لا يكون الأمر صعبًا جدًّا. تمنَّيتُ بدون أمل حقيقي.

بينما كنت مستلقيًا هناك، تضاءل إدراكي للضوء والصوت. تلاشت الحرارة والبرودة أيضًا. عندما انغلقت كل حواسي، أخذت الهلوسات مكانها. الجسد التَّوَّاق إلى المحفِّزات يجبر الحواس الأخرى على الاستيقاظ. رأيت توشيتا يهبط فوق قصر فوكسي. فيما يرتدي ثوبًا أبيض كالثلج، وبأجنحة لامعة كأجنحة الطير، انقسم توشيتا إلى عشرات الكيانات التي ظلَّت متَّصِلة بظهر الجسد الأم من خلال خيوط فضية. هبط في الحديقة. سقط صمتٌ فوق الأطفال، وأظهر فوكسي استياءه بجلاء.

قال توشيتا: "لقد حان الوقت".

أجاب فوكسي: "متى يحين الوقت لهو شيء يجب أن نحدِّده نحن جميعًا".

"لا يهمُّ متى. المقاومة علامة تشي بالفساد. لقد أصابك الفساد يا فوكسي".

زاد فوكسي من صلابة جسده وحذا الأطفال حذوه. صارت أجسادهم صلبة كالحجر، ومدرَّعة بشدة. نظَّموا أنفسهم وأنتجوا أنصالًا ومعادن برَزَت من أجسادهم؛ ممَّا جعل التهامهم صعبًا. بمساعدة الأطفال الأكبر سنًّا، تراجع الأطفال الصغار، وتفكَّكوا، وطاروا. ظهرت فجوة واسعة في صدر كل كيان من كيانات توشيتا. امتصَّت الفجوات كل شيء في محيطها. بصرخة طويلة مفعمة بالدماء، مزَّقَت كيانات توشيتا الفجوات حتى يوسِّعوا حجمها قبل أن ينقضُّوا على الأطفال.

2

كنت لا أزال عاقلًا بطريقةٍ أو بأخرى عندما أتى تانجاي.

يبـدو أنـه لم يكـن لـديَّ الوقـت الـكافي لأصـاب بالجنـون. أو ربمـا كان جـزءًا صغـيراً منـي غـير فاسـد. لم أسـتطع التَّحـرُّك فحسـب. لم يكـن جسـمي الضعيـفَ بـل ذهنـي. ألم الحرمـان الحـسِّيِّ سـلبني القـدرة عـلى الحكـم والقيـادة.

وصـل تانجـاي في بدلـة مدرَّعـة خـضراء نيـون لامعـة مـزوَّدة بمفاصـل ميكانيكيـة. حمـل مسـدَّس ليـزر بحجـم جسـمه تقريبًـا. يبـدو أنـه استخدمه لاختراق الجـدران. كانـت ذاتي القديمـة لتنفجـر ضحـكًا لرؤيتـه، لكننـي الآن كنـت مذهـولًا. كيـف صنـع مثـل هـذا الـشيء؟

"ماذا عن توشيتا...؟" سألت في حين يساعدني تانجاي. هزَّ رأسه.

"لم يَعُد موجودًا. لقد أصبح شيئًا آخر".

"فوكسي والأنبياء الآخرون...؟ هل حاربوا توشيتا؟ مَن فاز؟".

"الاندمـاج لا يعمـل بهـذه الطريقـة. إنه ببسـاطةٍ التغـيُّر إلى شيء جديد. تعـرف ذلـك بالفعـل". قـال تانجـاي بهـدوء. شـعَّت منـه هالـة شـخص خـاض الكثـير مـن المعـارك... "حـاول المعلِّمـون تحييـد توشـيتا في النهايـة مـن خـلال دمـج أنفسـهم معـه، لكنهـم تحوَّلـوا أيضًـا إلى شيء آخـر".

ترنَّحتُ وانهَرتُ على الأرض. دفَنتُ وجهي في يدي، غير قادر على النهوض. "لا، ما كان من المفترض أن...".

"ما كان من المفترض ماذا؟".

"أولئك الأنبياء كانوا ذوات أخرى. ما كان من المفترض أن يأخذ توشيتا حياتهم دون إذن... توشيتا ارتكب خطأ، عملًا فظيعًا".

كان تانجاي صامتًا.

"من الناحية الفنية، هذا ليس خطأ. إنه مجرَّد شيء لا تريد أن تراه يحدث، أيها المعلم، رغم أنك اعتدت على ذلك في الماضي". قال الطفل، الذي أصبح الآن معلِّمي أكثر منه تلميذي. "إنه شيء لا أريد بدوري رؤيته".

الفضاء من حولي مُشوَّه. تداعت الجدران. انهار السقف؛ ما أدَّى إلى انثناء الجدران بسهولة كما لو كانت طينًا رطبًا. ارتفعت سحابة بيضاء من الغبار، سالت ثم تساقطت كزخَّات المطر.

قال تانجاي: "لكن كان من المفترض أن يحدث ذلك عاجلًا أم آجِلًا".

كنت لأقول ذلك أيضًا بمجرد اندماجي. "كان من المفترض أن يحدث". بدون حزن أو ندم. كما كانت ذاتي القديمة لتفعل. لكني كنتُ فاسدًا الآن، وكل شيء أحزنني.

كان قادمًا من أجلي. يمكنني أن أشعر به. كان قادمًا لابتلاع آخر نبيٍّ بقي في مملكة الظلام. كان توشيتا متردِّدًا في أكلي، لكن هذا الشيء لم يعد توشيتا.

تداعى جدار وتَطايَر الغبار إلى الخارج. مالت الأرض، وتدحرجتُ أسفلها بلا حول ولا قوة قبل أن أتمكَّن من القيام بأي رِدَّة فعل. حلَّق تانجاي في الهواء باستخدام قوة الدفع الصاروخي لأحذيته الميكانيكية،

وسدَّ الفتحة في الجدار بجسمه، وأمسك بي بين ذراعيه. كانت الأذرع المعدنية لبدلة تانجاي ضخمة وقوية.

قال تانجاي وهو يحدِّق إلى الخارج: "علينا حماية المملكة الدنيا". تسبَّبت الكلمات في صفاء رأسي. "مملكة الظلام ستكون بخير. هم يعرفون طبيعتها. ليست مُعضِلةً كبرى. لكن أولئك الذين في المملكة الدنيا لن يفهموا. لن يقبلوا هذا النوع من النهاية. سيعتقدون فقط أن هذه كارثة مروِّعة. ماذا علينا أن نفعل؟".

لم تحمل كلمات تانجاي أي منطق، لكن لدهشتي، فهمتها تمامًا. لم أكن معتادًا على ذلك- تراءت لي من قبل أشبه بثرثرة طفل أحمق. الآن تساءلت: أنَّى لي أن أفكر في ذلك؟

تجعَّد الكويكب، وتحطَّم، وتَشتَّت في الفراغ، شظاياه تتلألأ مثل الجواهر. تدفَّق الضوء من خلال الجدار المتداعي. حقيقة أن الكون يشعُّ ضوءًا كان يعني أنه يتقلَّص. ضوء عديم المصدر تدفَّق من جميع الاتجاهات. كان قلب الكون المتقلِّص أسودَ فيما يمتصُّ الضوء. انجذب كلُّ باردو إليه مثل الألياف. كان الكون كله يحاول استرداد حالته الأصلية. مع أنني بالكاد أصدق ذلك، كان هذا الكيان أنا. رغم فسادي، ما زلت أحتفظ بذكريات بدائية، ويمكنني تقييم خصائص وميول "ذاتي".

قلت: "اذهب إلى المملكة الدنيا. أنت نبيٌّ أيضًا. وهذا الشيء لن يذهب هناك قبل أن يأكل كلُّ نبيٍّ هنا في مملكة الظلام. نظرًا لأن المملكة الدنيا لها نفس حجم مملكة الظلام؛ فلن يحاول الهجوم عليها قبل أن يصبح ضخمًا بما يكفي للقيام بذلك. ستظل المملكة الدنيا آمِنَة أثناء هروبك. أنا متأكِّد من أنك ستجد وسيلة انتقال لا يمكن لبقيتنا تخيُّلها أبدًا".

"ماذا عنك يا معلم؟".

نظرت إلى الخارج. "بمجرد أن يأكلني؛ سيتغيَّر أيضًا. إنْ كنت فاسدًا بما فيه الكفاية... ربما إصراري على إنقاذك قد يؤثِّر عليه. دعنا نثق في فسادي". قلت، نصف مؤمن ونصف متشكِّك. هل سيكون فساد هذا المخلوق المتواضع قويًّا بما يكفي لإفساد الكون بأسره؟ هل سيثبُت أن فسادي عظيمًا جدًّا؟

لكن أنا نابان. أوَّل مَن حاول عكس الفوضى، وابتكر اختلال التوازن. أول مَن انقسم. أنا النبيُّ الذي "وُلِدتُ" نبي الانقسام. بداخلي أحمل المعرفة التي جُمِعت عبر زمن سحيق وذكريات نسخ لا حصر لها من الحياة. كل فساد نبع مني، والفساد المطلق يكمن بداخلي. أنا لست ضئيلًا بأي حال من الأحوال.

"قد أكون فاسدًا لكني ما زلت نبيًّا. بمجرد أن أندمج؛ سأمضي لأصبح شيئًا آخر. دعنا نأمل".

"صحيح".

لم أكن أعرف ما الذي يعنيه تانجاي بكلمة "صحيح" حتى عندما دفعني جانبًا، وحدَّق عبر الفتحة الموجودة في الجدار. فقط عندما قال تانجاي، "لذلك لن يهمَّ إن بدَّلنا الأدوار"، أدركت نواياه دفعةً واحدة، وتشبَّثتُ بالطفل. مستخدمًا الذراع الميكانيكية لبدلته، سحب تانجاي يدي، بلطف ولكن بقوة. لم أتمكن من الاختراق أو التمدد أو التحول. تقشَّرت أصابعي إصبعًا تلو الأخرى.

قال تانجاي: "لا أستطيع الذهاب. تطلَّب الوصول إلى هذا الحدِّ كل طاقتي. نفد وقودي، وأكل ذلك الشيء سفينتي. يبدو أنك تعتقد أن العلم يمكنه فعل أي شيء، لكن لا يمكنني استحضار الأشياء من الفراغ مثلما يستطيع المعلمون".

انعقـد لسـاني مـن الصدمـة. ضغـط تانجـاي عـلى كتفـيَّ بينما يسـتطرد: "لكنـك مختلـف يـا معلِّـم. أرجـوك، اذهـب إلى المملكـة الدنيـا. اذهـب واكتشـفْ طريقـة لحمايتهـا مـع المعلـم أمـان".

فكَّـرت: لا، لم أكـن شـيئًا الآن. لم يكـن لـديَّ قـوى. يجـب عـليَّ تفكيـك جسـدي والتَّـسرُّب إلى داخـل أحـد أجسـام المملكـة الدنيـا. كان عمـلًا مسـتحيلًا. سـأموت إنْ حاولـت ذلـك. لكننـي علمـت أن الأفـكار التـي كنـت أواجههـا الآن كانـت أكـثر غرابـة.

تابـع تانجـاي: "سـأكون بخـير. أنـا حزيـن الآن، لكنني لـن أكـون كذلـك بمجـرَّد أن أندمـج. سـتختفي الأوهـام وسـأكون سـعيدًا، أليـس كذلـك؟".

لم أسـتطع الإجابـة. في حيـاة سـابقة، عندمـا كنـت كاهنًـا في كنيسـة صغـيرة، أمسـكتُ يـدي تانجـاي وأخبرتـه بـشيء مشـابه بينـما كان الطفـل الصغـير يحتـضر مـن المـرض. كنـتُ جاهـلًا آنـذاك، وأكـثر حكمـة الآن، لكـن اليـأس تعمَّـق بداخـلي.

خَطَـا تانجـاي أمـام الفتحـة بـلا عـزم أو خـوف. لم تظهـر عليـه أمـارات الأسى، ولا حتـى الجديـة. كان تانجـاي واثقًـا ومتَّزِنًـا، مثـل إلـه صغـير.

قال تانجاي مرة أخرى: "اذهَبْ". ثم قفز عبر الفتحة.

لا يمكنني الذهاب.

كان جسـدي يُثقِلُنـي مثـل صخـرة ضخمـة. لم أسـتطع الطـيران بـه أو تفكيكـه إلى جزيئـات. تسـاقطت كتـلًا مـن الـتراب والحجـارة مـن السـقف. لم أسـتطع اسـتحضار قـشرة صُلبَـةٍ لأحمـي نفـسي مـن الحجـارة أو أحـوِّل ذاتي إلى حيـوان ضخـم بمـا يكفـي لتحمُّـل الألم. أسـقطني أيُّ شيء اصطـدم بي، وتدحرجـتُ في الاتجـاه الـذي دُفِعـت إليـه. انحرفـت الجاذبيـة إلى جانـب واحـد؛ مـمَّا تسـبَّب في ترنُّـح الأرض وإلقـائي في الهـواء. كنـت أتقلَّـب

مثـل شيء جامـد. الجـدران التـي انهـارت شـكَّلت أرضيـة، ثـم تناثـرت في الفضـاء إلى أسـفل.

لا، ليس "إلى أسفل".

ظهرت الجاذبية ببساطة هناك.

"أنا" أو ما كان أنا سابقًا، راح يلتهم أجزاء مني.

توهَّـج الكـون المنكمـش بشـدَّة لدرجـة أننـي بالـكاد اسـتطعتُ فتـح عينـيَّ. اندفـع الضـوء نحـوي مـن جميـع الجهـات. كان مركـز الانكـماش أسـودَ. سـقطتُ سـقوطًا حـرًّا، مُجـرَّدًا مـن أي دعـم ودون موطـئ قـدم.

كنـت لأجـرب أي شيء حتـى أُوقِـف سـقوطي لـو كانـت لـديَّ قـواي القديمـة، لكـن كان ذلـك عديـم الفائـدة. لم أتمكَّـن مـن خلـق الجاذبيـة أو صُنـع مروحَـة دفـعٍ عكسـيٍّ كـما اسـتطاع تانجـاي. رُحـتُ أهبـط بسرعـة.

في حـين أسـقط، تدفَّقَـت شـخصية غامـرة مثـل شـلال عـبر وعيـي. مـرَّت أعـداد لا تُحـصَى مـن الـذوات أمامـي. لفَّـت أفعـى شـفَّافة نفسـها حـولي، ثـم تركتنـي. وحـش لم أتمكَّـن مـن تمييـزه اندفـع نحـوي، كاشـفًا عـن أنيابـه. ثـارت زوبعـة مـن عـددٍ لا يُحـصَى مـن الأشـخاص في ذهنـي. تواتَـرَت الأحاديـث والإقناعـات والحجـج. لكـن لم يؤثِّـر عـليَّ أيٌّ منهـا. كل شيء مـرَّ مـن خـلالي.

توقَّـف مهاجمـي، وأمسـك بي في الفضـاء، ثـم تراجَـعَ. راقَبـتُ مهاجمـي دون أن أعـرف مـا إنْ كنـت مسـتلقيًا أم واقفًـا أم لا أزال أسـقط سـقوطًا حـرًّا.

الكيانـات التـي لم تَـذُب بالكامـل بعـدُ في الجـرم السـماوي المتقلِّـص، قفـزت للخـارج مثـل الأوتـار قبـل أن تُسـحَب إلى الداخـل مـرة أخـرى. لا تـزال الخيـوط ممتـدَّةً في كل اتجـاه، تمتـصُّ الكيانـات والجسـيمات المتبقيـة. بـدا مهاجمـي وكأنـه شـمس سـوداء تنفجـر باسـتمرار، أو ربمـا

كتلة ضخمة من الخلايا السرطانية. شكل خالد للحياة، خلايا سرطانية تتكاثر حتى هذه اللحظة في أجسام المملكة الدنيا.

ذات مطلقة.

لم يُسرِع. ليس لديه سببٌ لذلك. ذهب بالفعل إلى أبعد من الذكاء المحضِ بالفعل. كل تواريخ الكون التي عشناها، كل معارفنا المتراكمة امتزجت، وخلَقَت معنًى جديدًا. صدمته عاصفة من المعرفة الجديدة في كل لحظة.

كان "أنا".

أنا قبل أن أبدأ الانقسام هروبًا من أبديَّة العزلة والجمود. تمامًا كما كنت حينذاك، كان أنا الجديد هذا حكيمًا بشكل جذري وقاسًيا لأبعد حدٍّ.

هذا كيان فاسد.

يمكنني أن أسبِّب له الألم.

الفاسد يخضع بسهولة للألم.

غمرتني أفكاره. لكنني كنت بالفعل أفيض بالألم. أيًّا كان العذاب الذي أُلحِق بجسدي في تلك اللحظة، كيف يمكن مقارنته بعذاب فقدان رابطتي بالآخر؟ كيف يمكن مقارنته بمعاناة التشبُّث بحياة كَلَّفَت شخصًا آخر حياته؟

"نابان".

"أنا" ناداني... "انضمَّ إليَّ. انتهت دورة واحدة وستبدأ أخرى. دعنا نتعلم من جديد".

هَزَزتُ رأسي.

كنت أعلم أن أملي سيتلاشى إن انضمَمتُ إليه. عرفت أن الحكمة والتنوير سيتدفَّقان إلى داخلي، أنني سأمتلئ بالسعادة والسلام. سأنظر إلى الوراء وأضحك على هوسي بهذا الجزء الضئيل من ذاتي. كنت أعلم أن تانجاي لم يَمُت. ولا الأطفال الآخرون. كنت أخدع نفسي بأنهم صاروا أشكالًا مستقلَّة للحياة، الآخر. عرفت كل هذا، لكنني لم أستطع احتواء حزني.

"أنا" يقرأ أفكاري ويشفق عليَّ. "توقَّف عن التَّصرُّف ككائن تحكُمه الچينات، يا نابان. أصابك الفساد، وتحتاج إلى التطهير". تحدث إليَّ بنبرة مواسية، وبرحمة شخص معتنق مجموعة من القيم الغريبة عني تمامًا.

عندما لم أردَّ، انطلقت خيوط بيضاء نحوي. وخَزَت أصابعي والتفَّت حول معصمي. أمسك بكاحلي وخنق رقبتي. كان سيقطعني إربًا بالقوة. ظللت مشلولًا، إرادتي على التَّحرُّك منعدمة من فرط الحسرة.

نَمَت الأظافر من يدي المقيدة. نما الشَّعر فوق نباتات الكروم الملفوفة حول رقبتي. انفتحت المسام في بشرتي وبرزت الشعيرات الدقيقة بين تجاعيدي. أحشائي تحوَّلَت أيضًا. شكَّل الجسم نفسه بنفسه بناءً على ذاكرتي التشريحية ومعرفتي. تشعَّبَت الأوعية الدموية تجاه خفقان قلب قوي. دقَّات قلبي دوت في جميع أنحاء الكون المجرد من جميع الأصوات الأخرى. انتفخت رئتي إلى حويصلات سميكة، ونبتت مسارات تربطها بالأنف والفم. تصلَّبَت العظام، وزادت كتلة العضلات، وتمايَزَت الأعضاء. تدفَّقَت الدموع إلى أسفل بينما تشكَّلت القنوات الدمعية. بلعت لعابي، وزفرت نفَسًا عميقًا.

ألمٌ أكثر حدَّة من أي شيء شعرت به في حياتي، سرى بداخلي عندما دبَّت الحياة في جهازي العصبي ومستقبلاته الحسية. شعرت أن قلبي سينفجر مفتوحًا. تجمَّع الدم تحت جلدي، واعتصرته الكرومات

بشـدَّة. كان الألم حـادًّا في المناطـق التـي انقطعـت فيهـا الـدورة الدمويـة. كان الألم قاسـيًا ومُركَّـزًا. لم يكـن مثـل الأحاسـيس التـي تنقلهـا المسـتقبلات الحِسِّـيَّة الخـام للمملكـة الدنيـا. فتحـت عينـيَّ، اللتـين كانتـا متَّصِلَتَـيْن الآن بالأعصـاب البصريـة، ونظـرت إلى مهاجمـي.

خفَّفَـت الكرومـات قبضتهـا قليـلًا حـول رقبتـي. لم يحمـل وجـه مهاجمـي أي ملامـح، لكننـي شـعرت بدهشـته. وفكَّـرتُ في دخيلـة نفسي مـا إن كان امتصـاص كيـان بهـذه الدرجـة مـن الفسـاد آمِنًـا. هـل يجـب أن ينتظـر حتـى أتعـافى، خاصـةً عندمـا يتعـيَّن عليـه تحمُّـل الفسـاد الهائـل للمملكـة الدنيـا. ربمـا يجـب عليـه عـزلي في الوقـت الحـالي...

وبينما كان مترددًا، ألقيت بنفسي في أعماقه.

كل شيء يغـلي بداخلـه. ذاب قـصر فوكـسي وتحـوَّل إلى حسـاء كـما لـو كان قـد غـاص في فـرن صهـر. انسـحق أصدقـاء آخـرون، جنبًـا إلى جنـب مـع البـاردو الصغـيرة خاصتهـم، وتناثـرت أجزاؤهـم. كان الأمـر أشـبه بمحلـول كيميـائي يخضـع لتَفاعُـلٍ مُتسلسِـلٍ جامـح، أو كأننـا داخـل مفاعـل اندمـاج نـوويٍّ. احتفـظ كل كيـان بنصـف ذاتـه وخـسر النصـف الآخـر. وجـدت سـفينة فضائيـة تطفـو في وسـطهم. بالأحـرى لم أجدهـا، بـل انجذبـت إليهـا. كنـت أعلـم أننـي سـأنجذب إليهـا. شـكرًا لـك، يـا مجـال الجاذبيـة لالتقاطـك فسـادي.

في هــذا البحــر المرعِــب مــن الشــحنات الكهربائيــة الــذي ســحق شــخصيات الأنبيــاء، صمــدت ســفينة الفضــاء بــإصرار، وحافظــت عــلى هويتهـا. قاتلـت وحدهـا في مواجهـة الفـوضى المطلقـة. كانـت رائعـة، طفـلًا حقيقيًّـا لتانجـاي.

في حـين أسـقطُ بسرعـة، همسـت إلى جـدار السـفينة. آسـف لإلحاحـي في السـؤال، ولكـن...

أمرني الجدار، ادخُلْ. أطعته.

أُلقي بي داخل غرفة المحرك.

اعتقدت أن الألم سيقتلني، لكنني كنت عاقلًا بما يكفي لأعرف أنه لا يستطيع قتلي.

سرعان ما استوعبت ما يحيط بي بينما أدفع كل شيء رأيته نحو الجدران. سحبت الآلات ودفعتها مع المكاتب والكراسي. صدمني كم كانت جميعها ثقيلة ومُرهِقة.

سمعت جلبة من بعيد. ما الذي تنوي فعله؟

كانت سفينة الفضاء مغمورة بكتلة من الضوء طاردتني إلى هناك. صرخت الجدران وتأوَّهَت في حين بدأت تضيق. تراجعتُ إلى منتصف الغرفة. توقَّفَت الجدران.

سُدَّ الباب بأشياء مثل الطابعات وأجهزة التلفزيون وأنظمة الصوت؛ كل الأشياء ملأى بالدوائر الكهربائية والمكونات التي تنقل الطاقة الكهرومغناطيسية. كانت لهذه العوائق تصميمات داخلية بهياكل أكثر تعقيدًا من معظم الكائنات الحية. أوقف المهاجمُ زحفَه نحوي لأن الباب رفض التَّحدُّث إليه. شعرت به يتحرَّك بسرعة بحثًا عن حلٍّ عاجل.

عرفت أنه سيجد منفذًا قبل مُضيٍّ مدة طويلة.

لأنه كان "أنا".

عـزَّزت الحاجز عن طريق حشر كرسي تانجاي المريح الفاخر بداخله، ثم اندفعت عبر مَخرَج الطوارئ، ثم في الممر. حتى لو نجح مهاجمي في إقناع الباب، فسيتعيَّن عليه قضاء وقت طويل في الجدال مع الكرسي.

كان عليَّ المشي من أجل الوصول إلى أي مكان، والركض من أجل الوصول إلى أي مكان، أسرع. اضطررت إلى فتح الأبواب قبل أن أتمكَّن

مـن المـرور عبرهـا والالتفـاف إنْ بلغـت طريقًـا مسـدودًا. جسـم إنسـان عـارٍ لهـو شيء رديء مـن منظـور بيئـي. جمـع باطنـا قدمـيَّ الهَشَّـتين الخـدوشَ بسرعـة. التـوت سـاقاي وأنـا أركـض؛ فتعـثَّرت، وارتطـم رأسي بالحائـط وأنـا أقـترب مـن الزاويـة. لم أتمكَّـن مـن رؤيـة الكثـير في هـذه المتاهـة، لكننـي شـققت طريقـي باسـتخدام خريطتـي العقليـة كمرجعيـة. تحسَّسـتُ طريقـي عـبر الظـلام. أخـيرًا أشـعلت الضـوء.

كان المسـتودع يحتـوي عـلى عشريـن ناقـلًا. اخـترت واحـدًا بشـكل عشـوائي وانحنيـت حتـى أدخلـه. اسـتلقيت هنـاك بضـع ثـوانٍ فقـط قبـل أن أجلـس مـن جديـد.

كانـت الأسـلاك المتشـابكة في كل مـكان. كان جوانهـوا بجـواري، لكننـي لم أسـتطع التحـدث معـه. نسـيت كيـف. كانـت لوحـات التحكـم المعقَّـدة تقـع بجانـب الناقـلات، لكـن آليتهـا كانـت تفـوق معرفتـي. لم أتمكَّـن مـن رؤيـة مـا بداخلهـا حتـى أتصـوَّر هيكلهـا أيضًـا. اسـترجعت المعرفـة الهندسـية التـي اكتسـبتها مـن مملكـة الدنيـا، لكنهـا لم تكـن مُجدِيَـةً. مهـما كانـت الآليـة المسـتخدمة في لوحـات التحكـم، فهـي تتفـوَّق بكثـير عـلى تقنيـات المملكـة الدنيـا في أي وقـت ومـكان.

فكَّـرتُ نصـفَ ضاحِـكٍ ونصـف مُتنهِّـدٍ، تانجـاي أيهـا المعلـم العظيـم، لا يملـك تلميـذك الغبـي أي أمـل في تنفيـذ إرادتـك.

جلسـت هنـاك، قانطًـا، ولكـن عندئـذ دبَّـت الحيـاة في البـاب، وارتجـف. بـدأ يُصـدر ضـوء خافتًـا، ويتعـرَّق ويتضخَّـم مثـل بالـون. لم أسـمع أي إقنـاع أو صفقـات تجـري.

مـشى طيـفٌ عـبر البـاب. كان مشـعًّا وشـفَّافًا، ولـه مظهـر تانجـاي. امتـدَّت عـشرات مـن الخطـوط البيضـاء اللامعـة مـن جسـد تانجـاي إلى مـكان مـا بالخـارج.

أُرسِـل تانجـاي إلى الداخـل بمفـرده عــن قصـد. لأن سـفينة الفضـاء سـوف تتعـرَّف عـلى سـيدها. وكان تانجـاي يمتلـك أكـبر قـدر مـن التأثـير عـليَّ.

قلـت لنفـسي: هـذا ليـس تانجـاي. حتـى لـو كان هـذا الـشيء يمتلـك ذكريـات تانجـاي ويتألَّـف مـن المـادة نفسـها التـي كوَّنـت جسـد تانجـاي، فـما عـاد تانجـاي بعـد الآن. كان شـيئًا مختلفًـا تمامًـا. لم يَعُـد ثمـة وجـود لتانجـاي. مـات الطفـل. لـن يرجـع.

مات. ارتجفت من غرابة أفكاري. ليسا الشيء نفسه.

"أنــتَ مُحِــقٌّ يــا معلــم". قــال الــشيء الــذي يحمــل وجــه وجســد تانجــاي، بصــوت تانجــاي. لم يكلِّــف نفســه عنــاء تحريــك فمــه. قدراتــه تفـوق قـدراتي ببَـونٍ شاسـع، قـدراتي المحـدودة التـي فرضـت عـليَّ التحدث عـبر فمـي.

"فقــط تفســيري للأمــور تغــيَّر". قــال بينــما يقفــز في الهــواء ويهبــط أمامــي. "لم أمُــت، ولم أختــفِ. ببســاطة تغــيَّرت. لا أعــرف لمــاذا كنــت خائفًــا جــدًّا".

نعم. كنت أعرف هذا جيِّدًا. حتى في هذه اللحظة.

جـال شـبيه تانجـاي بناظريـه في أرجـاء سـفينته الفضائيـة. كـما فعلـتُ أنــا مــن قبــل، نظــر إلى العنــاصر المتنوِّعــة في الســفينة كــما لــو كانــت خــردة. كاد أن ينفجـر مـن الضحـك عندمـا رأى جسـدي العـاري الصغـير المثـير للشـفقة مُغطًّـى بالخـدوش.

"كان هنــاك الكثــير مــن الأشــياء التــي لم أعرفهــا، ولكــن لــو علمــت أن معرفـة الحقيقـة سـهلة إلى هـذه الدرجـة، كنـت لأتوسَّـل إليـك حتـى تندمــج معــي".

قلت: "ساعدني".

"أساعدك؟" لمعت عيناه.

"أرسِلني إلى المملكة الدنيا، من فضلك. لا يمكنني الوصول إلى هناك بمفردي".

بين الكثير من انقساماتنا، بين الكثير من الحياة والموت منذ غابر الزمان، هل كان ثمة كيان أكثر فسادًا مني؟ هذا الشيء الذي كان يشكِّل غالبيتي حدَّق إليَّ برحمة بريئة ونزيهة. باهتمام معلم يحاول تعليم تلميذه درسًا.

"ماذا تنوي أن تفعل هناك؟". توحي النظرة على وجهه أنه يفهم كل شيء، ولا شيء على الإطلاق. "حسنًا، حسنًا. لنفترض أنني سأنتظرك حتى تعود. لن يتغيَّر شيء حتى لو فعلتُ ذلك. إنها مسألة وقت. ما الخطة التي يمكنك تنفيذها هناك؟ ستنسى حتى سبب ولادتك".

"أعرف".

"إن توقَّفَت مملكة الظلام عن إرسال أطفال جُدُد، فستنعدم الولادات، وسيفشل النظام البيئي للمملكة الدنيا. آه، ربما ليس قريبًا جدًّا، نظرًا لاكتشاف أمان كيفية التناسُخ. لكن لا يمكنك تقسيم جسمك بعد الآن، ماذا يمكنك أن تفعل بمفردك؟". مدَّ تانجاي إليَّ يدًا متلألئة. "تعال. هذا لا شيء. ستنظر إلى الوراء وتضحك بقوة على سبب محاولتك الهرب".

أجبته: "أعلم، أعلم...".

"إذن لماذا تريد أن تذهب؟".

كنت مذهولًا. كيف يمكن لمثل هذا الكائن الهائل، كائن اندمجت المعرفة كلها بداخله، أن لا يستطيع النظر داخل رأس كائن بالغ الصِّغَر مثلي؟ ربما كانت الدهشة متبادَلَة؛كيف يمكن لكائن بالغ الصِّغَر أن يصبح منفصلًا تمامًا؟

قلت: "أريد أن أعيش". بدا تانجاي مرتبِكًا. "أريد أن أعيش ولو لحياة واحدة فقط. تُعاش الحياة مرة واحدة فقط، على أيٍّ حال، ومرة واحدة تكفي. منحتني هذه الفرصة الوحيدة في الحياة؛ لذلك يجب أن أغتنمها".

آه، كم بدوت غير منطقي وغير عقلاني. فهم قلبي بوضوح شديد، لكنني شعرت بأنني غير قادر بشكل بائس على إقناع أي شخص آخر.

غرق تانجاي في صمت ثقيل، ثم ابتسم. ابتسامة أشبه بابتسامة فنان عظيم من المملكة الدنيا ربما كرَّس حياته بأكملها للرسم على جدار معبد. كان ثمة ما هو أكثر من الرحمة في تلك الابتسامة.

أومأ تانجاي برأسه: "توازن". ساعدني على الاستلقاء. لم يستخدم يديه. إثر هزَّةٍ طفيفة من رأسه، دفعت يدٌ غير مرئية صدري لأسفل قبل أن أتمكَّن من المقاومة.

بدأ تانجاي السيطرة على جوانهوا دون استخدام يديه. اجتاحت الأسلاك جسدي بحثًا عن مواقع الحقن المناسبة، واخترقت بشرتي، ودخلت مجرى دمي. تانجاي هذا لم يفهم الألم، وكان قاسيًا في تعامله معي. لكنني لم أدَعْ ألمي يظهر.

"تُعاش الحياة مرة واحدة فقط، أليس كذلك؟ ربما سيكون لذلك قيمة فريدة".

رأيت فضولًا خفيفًا -ربما كان يخصُّني ذات مرَّة- في عيون تانجاي. عيون نشَدَت فهم ما لا يمكن فهمُه. عيون حاولت أن ترى القيمة في الصغير والتافه.

شعرت أن تانجاي كان يرى هذا على أنه تجربة جديدة. إنْ انقطع الاتصال بين مملكتي الظلام والدنيا تمامًا، إنْ ترك كل نبي المملكة

الدنيـا، وبقـي الفاسـدون فقـط فيهـا، فـماذا سـيكون مصير مملكـة الدنيـا؟ عـالم اعتقـد جميـعُ سُـكَّانه أنـه العـالم الوحيـد، الحقيقـة الوحيـدة، وأن الحيـاة التـي تُعـاش فيهـا هـي الحيـاة الحقيقيـة الوحيـدة لأنـه لم تكـن هنـاك حيـاة أو آخـرة سـابقة. مشـاهدة مثـل هـذا العـالم يتكشَّـف سـيكون نوعًـا مـن التَّعلُّـم أيضًـا.

قسَّمتني "الكيمياء" إلى جزيئات.

سأرى أمان عندما أصل إلى المملكة الدنيا. أغمضت عيني وفكرت.

نظـرًا لأن العديـد مـن نسـخ أمـان قـد تسـاقَطَت عـلى المملكـة الدنيـا، فبغَـضِّ النظـر عمَّــن سـأقابله هنـاك، فسـيكون أمـان. حيثـما أسـتدير، فسـأرى أمـان. أيًّـا كان مــن أعشـق، أيًّـا كان مــن أشــكِّل معــه روابــطَ، فسـيكون أمـان. الفكـرة أسـعدتني.

فكرتُ في أمان الذي أحببته قبل كل شيء.

فكـرتُ في أمـان الـذي كان يراقبنـي مـن فراشـه. ضـوء الشـمس يتدفَّـق مــن خــلال النافــذة. رائحــة الشــاي التــي استنشــقناها معًــا كل صبــاح. سـيكون مـن اللطيـف أن تنتهـي حيـاتي بهـذه الطريقـة. أن تكـون تلـك حيـاتي الوحيـدة.

تذكَّـرتُ اليـوم الـذي قالـت فيـه أغـلى مـا عنـدي "نعـم" لعـرضي بالـزواج منهـا. كانـت السـماء تمطـر بغـزارة في ذلـك اليـوم. اختبأنـا تحـت مظلَّـة أحـد المبـاني وأُجبِرنـا عـلى البقـاء هنـاك مـدَّةً، ثـم وجـدت نفـسي أعــرض -دون إدراك- عليهــا الــزَّواجَ منــي. أي عــرض زواج هــذا؟ قالــت أمــان، وبدأنــا في شــجار طويــل. دفــع كلٌّ منَّــا الآخــر حتــى وقعنــا عــلى الأرض المبللـة بالمطـر، وتناوبنـا عـلى إعـلان رحيلنـا بغضـب ثـم مضينـا كل في طريقـه، فقـط حتـى نعـود راكضـين، جسـدانا يرتجفـان حتـى نحتمـي معًــا تحــت المظلــة مجــدَّدًا.

اتَّكأ كلٌّ منَّا على كتف الآخر. تتبعنا بأصابعنا ما فوق حواجب الآخر، وتلامَسَت جبهتانا. تبادلنا النظرات، وأزحنا خصلات الشَّعر المبللة عن وجهينا. ربَّت كلٌّ مِنَّا على خدٍّ الآخر، والتقت شفتانا. الإثارة الحسية الحادة في مناطق شهوتنا الجنسية انفجرت، البرمجة المضمَّنة هناك لمساعدتنا على العثور على نصفنا الآخر، التفاعلات الكيميائية المشابهة لتناول الكحول والمخدرات، تأثير الدوبامين والأدرينالين.

المواد الكيميائية التي تدفَّقَت في عروقي وأعصابي في تلك اللحظة كانت أنا، وجزءًا مني، المطر الغزير والشارع الذي وقفت فوقه، والأرض تحت قدمي، ذلك العالم كله، حتى الشخص الذي بجانبي، كان أنا، وجزءًا مني. هذا هو السبب في أن كل ذلك كان حقيقيًّا. أوه، ولكن أكثر من أي شيء آخر، كان هذا الشخص ذا معنى لأنه كان الآخر. أيًّا كان مَن التقيتُ به، كان بإمكاني أن أحبَّه وأشفق عليه وأهبه حياتي لأنه لم يكن أنا.

أنا النبي الذي فُتِن بعالم الأحياء، الإنسان الفاسد الذي صدَّق أن الأحاسيس الكاذبة التي ينقلها برنامج البقاء في مملكة الدنيا هي الحقيقة الخالصة.

أنا مُباركٌ بالفساد؛ لذا خذني أينما شئت. لسوف أتعلَّم شيئًا من ذلك أيضًا.

2

تلك الحياة الواحدة

ن

حسنًا، ها أنا أرى نفسي.

لكن ليس في المرآة، على ما يبدو. من المفترض أن تكون رؤيتي لنفسي مستحيلة من هذه الزاوية. غريب... آه، أعرف ما هذا. تجربة خروج من الجسد. تحدث أحيانًا أثناء النوم.

أرى أنني مستلقيًا على وجهي في حقل عشبي. لا بُدَّ أنه من الصعب أن أتنفَّس وأنفي مدفون في الأرض هكذا. أتمنى أن يقلبني أحدهم. لا، هذا لن ينجح. ثمة سهم عالِق في ظهري. يجب على أحدهم سحبه وإخراجه من جسدي. لكن من الممكن أن أفقد الكثير من الدم إن أُخرِجَ بشكل خاطئ. في الواقع، يبدو أنني فعلت ذلك بالفعل. يبدو أن ليترًا من الدم على الأقل متجمِّع حول جسدي. بهذا المعدَّل سوف أنزف حتى الموت. يجب إيقاف نزيف الجرح. لا يهمُّ، فات الأوان. اخترق السهم قلبي.

إذًا أنا ميت.

بعد أن شعرت بانفصال غريب عن هذا الطوفان من المعلومات، جبتُ بعيني في محيطي. غابة متوهِّجة بألوان قوس قزح. كانت الألوان لافتة، وكان كل جسم يتلألأ كما لو كنت أشاهده من خلال ضباب حراري، أو بدا ليِّنًا مثل بشرة طفل رضيع. تمتدُّ خيوط فضية متلألئة من أشجار البتولا والتَّنُّوب، والعشب البري والأوراق المتساقطة،

وتتقاطع في كل اتجاه مثل شبكة العنكبوت. كلها مرتبطة من خلال الخيوط؛ جسدي أيضًا.

حسنًا. كنت ميتًا. ماذا الآن؟

نظرت حولي، على أمل العثور على لافتة تقول: هذا الطريق إلى عالم الموتى، أو ربما دليلًا يحمل لوحة إرشادية مع عبارة: مرحبًا. جميع زوار الجحيم، اصطفُّوا هنا. رأيت رجُلًا جالسًا على صخرة. التقت أعيننا. كان يرتدي ثوبًا فضِّيًا، وكان يلعب لعبة مهد القطة(1) بمفرده.

رسول الموت؟

في حين تساءلت كيف كان يلعب مهد القطَّة بمفرده، خرجت يدان إضافيتان من ظهره، واستمرَّ في اللعب. اندهشت، لكن سرعان ما هدأت. بعد كل شيء، لم يَرَ أحدٌ هيئة رُسل الموت حقًّا. بالتأكيد، يمكن أن يكون لديهم أربعة أذرع؛ لما لا؟

قال الرسول: "انتهيت مبكرًا. اعتقدت أنك ستعيش مدة أطول".

عادت ذكرياتي بسرعة إلى الوراء في تلك اللحظة. لم أتذكَّر كل شيء ولكن ما يكفي حتى أُقيِّم الموقف. نظرت إلى جثَّتي مرة أخرى. جندي صبي بالكاد بدا أكبر من أربعة عشر عامًا. لم يكن والداي قادرَيْن على شراء طريقة خروج ابنهما الأكبر من الخدمة العسكرية؛ لذلك جُرجرت إلى ساحة المعركة بدلًا من أخي قبل يومين. كنت في ذلك العمر الحسَّاس عندما لم أكن معتادًا تمامًا على الحياة.

أخبرت تانجاي، "كان ذلك كافيًا". أو بالأحرى مملكة الظلام بأكملها التي تجسَّدَت في صورة تانجاي.

---

(1) لعبة تنطوي على إنشاء أشكال هندسية متنوِّعة من خلال تمرير خيوط ما بين الأصابع، إمَّا بشكل فردي أو بتمرير الخيوط ذهابًا وإيابًا بين لاعبين أو أكثر (المترجم).

"اعتقـدت أنـك سـتجرِّب المزيـد مـن الأشـياء. لأنـك تجسَّـدت في زمـن مـاضٍ، كان بوسـعك أن تصبـح ملـكًا قويًّـا، عـلى سـبيل المثال، أو أن تؤسِّـس مملكـة جديـدة".

كرَّرتُ: "كان ذلك كافيًا".

عندئـذ سـمعت صوتًـا فُضولِيًّـا، مـن النـوع الـذي يصـدره مُكبِّر صـوت بحـدَّة مرتفعـة في غرفـة صـدى مُصمَتـة (... تـراءت ومضـات غريبـة مـن المعرفـة في رأسي). اتَّضـح لي أنـه لا بُـدَّ وأننـي أسـتمع بـدون طبلتـي الأذن. في الوقـت الحـالي، يمكننـي التقـاط أي صـوت بـدءًا مـن الـتَّردُّدات المنخفضـة التـي تسـمعها الحيتـان حتـى الموجـات فـوق الصوتيـة التـي تصدرهـا الخفافيـش.

كان هـذا الصـوت صرخـة طفلـة. ارتعـش جسـدي الميـت. بنـت صغـيرة مغطَّـاة بالطـين والدمـوع تشـقُّ طريقهـا للخـروج مـن تحـت جسـدي الهامـد. حاولـت البنـت وهـي تبـكي، أن تجـد والدتهـا بـين أكـوام الجُثَـث حولهـا، ثـم ابتعـدت بخطـوات عرجـاء.

قال تانجاي: "إذًا كان موتكَ من أجل إنقاذ طفلة؟".

"إنه عمل هادف".

"هـو كذلـك بالفعـل. كل حيـاة تُغـيِّر الكـون كلـه. سـواء كانـت تلـك الحيـاة ملـكك أم لا".

ربمـا كان تانجـاي يواجـه مشـكلة مـع لعبـة مهـد القـطِّ، إذ نبتـت ثـلاث أذرع أخـرى مـن ظهـره. بإحـدى ذراعيـه، حـكَّ رأسـه. بـذراع آخـر حـكَّ مؤخِّرتـه. وبـالأذرع الخمـس الأخـرى، تلاعـب بالخيـوط بهـذه الطريقـة أو تلـك حتـى يصنـع شـكلًا معيَّنًـا. شـكل سـفينة فضـاء معقَّـدة. في المـاضي عندمـا كنـت كائنًـا عـلى الأرض، لم أتملـك القـدرة حتـى أتعقَّـب أيـن وكيـف يجـب أن ينثنـي الخيـط لإنتـاج هـذا الشـكل.

قال تانجاي بشكل دفاعي، ملاحظًا نظراتي: "أسعى لإتقان فنٍّ قتل الوقت. ماذا كنت أقول؟ آه" تمتم تانجاي لنفسه قبل أن يتابع: "حياة هذه الطفلة تعني أكثر من ذلك. الشخص الوحيد الذي يستوعب معناها الكامل هو نابان. حتى هوانجتشون لن يعرف حتى يندمج مع نابان".

هوانجتشيون. فكَّرت في الاسم. كان غير مألوف. ربما هو الاسم الذي قرَّر الكيان الناتج -أيًّا كانت هيئته- عن اندماج الكون بأكمله باستثناء المملكة الدنيا، وأمان وأنا وتانجاي، أن يطلقه على نفسه، أو...

"أنا مَن محا أمان في كل عصر"، قلتُ بينما كنت أسير نحو تانجاي وأسحب طرف الخيط الذي يُشكِّل محرِّك سفينة الفضاء بدأ الخيط يتفكَّك من تلك النقطة. عندما رفعته لأعلى، بأعجوبة، استوت سفينة الفضاء في خطٍّ واحد. "لذا فأنا أعرف أين تتلاقى القوى".

كنت أنا أيضًا الصبي الذي أطلق السهم من سفح الجبل في ذلك اليوم. كانت إحدى ذواتي القديمة التي تساقَطَت فوق المملكة الدنيا للقضاء على كل نُسَخ أمان. كنت خائفًا، وواصلت مناداة أمي، لكنني تمكَّنتُ من تحرير وتر القوس كما تدرَّبت دائمًا. امتطى السهم الريح وأصاب الطفلة أمان بينما كانت تندفع بعيدًا عن وطيس المعركة، ممسِكةً بيدِ أمها. كانت تلك الريح أنا أيضًا. كنت أنا أيضًا غصن الشجرة الذي تعثَّرَت به والدة أمان. وأنا أيضًا الجنرال الذي قاد المعركة، وعمدة القرية الذي دفع الأم والطفل نحو الجبل. وهكذا عرفت وحدي متى أتدخل لإنقاذ أمان. كنت أعرف وحدي كيف سينتهي التاريخ إنْ عاش أمان.

الآن فقط، ألقيت بنفسي وسط ذواتي الأخرى، وقاطعتهم في النقطة الصحيحة بالضبط إذ كانت الغاية الوحيدة لهذه الحياة.

قـال تانجـاي: "يجـب أن يكـون هنـاك الكثـير مـن المتغـيِّرات التـي تتفاعـل مـع بعضهـا بعضًـا، ولكـن يبـدو أنـك وجـدت المتغـير الصحيـح بطريقـة مـا. التفاعـل بـين حيـاة وأخـرى أكـثر تعقيـدًا بكثـير مـن مسـألة الأجسـام الثلاثـة، ومـن أي حسـابات للأنظمـة المعقـدة".

"توجـد الكثـير مـن النقـاط المناسـبة. هـذه فقـط تَصـادَف أن تكـون واحـدة منهـا. يـكاد يكـون مـن المسـتحيل الحصـول عـلى النتيجـة التـي أريدهـا، ولكـن تجنُّـب النتائـج غـير المرغـوب فيهـا يمكـن أن يتحقَّـق بمعادلـة أبسـط".

في التاريـخ الأول الـذي محوتُـه، هربَـت هـذه الطفلـة بمفردهـا مـن سـاحة المعركـة، وتعـثَّرَت في معسـكر لقُطَّـاع الطـرق في الجبـال أقامـه مزارعـون فـرُّوا مـن الحـرب ومملكتهـم، وكان يحكمـه فَرَمـان بسـيط ورعـوي. هنـاك، انغمسـت أمـان في الكتـب والسـحر الطـاوي، ونشـأت حتـى صـارت قائـدةً لهـم. بـدأت تمـرُّدًا مدنيًـا أطاحـت فيـه بالملـك واسـتولت عـلى العـرش. حكمـت بصفتهـا ملكة قويـة، وشـيَّدت إمبراطورية مترامـية الأطـراف، وعاشـت حيـاة مديـدة ومتكاملـة. بعـد وفاتهـا، انتـشر التعلـم الشرقـي، والملَكيّـات النسـائية، والحكومـات ذات التمثيـل الجنـدري المتـوازن في جميـع أنحـاء آسـيا وأوروبـا. ظهـرت الممالـك النسـائية عـبر التاريـخ، في حـين ترسـخت أشـكال الجمهوريـات المتقدِّمـة إلى حـدٍّ مـا، وإن كانـت تحمـل بعـض الاختلافـات الطفيفـة عـن الديمقراطيـات الحديثـة، في جميـع أنحـاء العـالم في وقـت مبكِّـر. عندمـا محـوت هـذه النسـخة مـن أمـان، اختفـى ذلـك التاريـخ معهـا، ولم يـترك سـوى أثـر خافـت لحياتهـا في القصـص الشـعبية والأسـاطير.

حذفـت واسـترجعت كل نسـخ أمـان الأخـرى الذيـن تركـوا بصمـة في التاريـخ، واختفـت حياتهـم في عـالم الأسـطورة. في العصـور اللاحقـة، عندمـا خضـع أمـان للعديـد مـن الانقسـامات، أصبحـتُ أكـثر صرامـة في

تنفيذ مخططاتي. أشعلتُ فتيل مطاردة ساحرات سخيفة في العصور الوسطى، واستخدمت الإجهاض الانتقائي على أساس الجنس لصالحي في الأزمنة الحديثة والمعاصرة. بمجرد أن انتهيت، كانت الديمقراطية الوحيدة المتبقية في العصور القديمة هي نسخة محدودة من الولايات-المدن الإغريقية. ودُهِست الثورات والحركات المدنية بلا رحمة في معظم الممالك كما استُبعِدت النساء من جميع المؤسسات الاجتماعية والسياسية. لم أشعر بالذنب تجاه النتائج في وقتها.

قال تانجاي: "أعتقد أنني فهمت ذلك. التاريخ متغيِّر. لكن كلما تَغيَّر، تتغيَّر ذاكرة العالم معه، ولا أحد يدرك أنها تغيَّرَت. باستثناء الشخص الذي سافر بالزمن إلى الوراء. يشبه الأمر ألعاب المغامرات حيث تتذكَّر الشخصية في اللعبة مسارًا واحدًا فقط، لكن اللاعب يتذكَّر كل مسار لعبه من قبل...".

عندما نظرت إليه ببلاهة، تمتم: "ألم تلعب لعبةً من قبل؟"، ثم طوى أذرعه، ذراعًا تلو الأخرى.

عندما لاحظ تانجاي أنه لم تتبقَّ لديه سوى ذراع واحدة، سحب ذراعًا أخرى للخارج وهو يصيح متفاجئًا: "ها!".

كان ذلك عندما خطرت فجأة ببالي فكرة. "كيف فصلت نفسك؟".

رمش تانجاي. كانت نظراته أكثر حِكمةً ممَّا كنت أتذكَّر، وأكثر إنسانية قليلًا ممَّا كانت عليه عندما التقيت به آخر مرة.

"إن كنت تقصد كيف فصلت نفسي عنكَ، فقد انفصلت لحظة 'ولادتي'. لكن لا يبدو أنك تسأل عن ذلك. لا بُدَّ أنني قد اندمجت مع أحدهم لاحقًا، أليس كذلك؟ لكن لا أتذكر ذلك. منذ اليوم الذي وُلِدت فيه، كنت أنا طيلة الوقت. بالطبع، قسمت نفسي عدة مرات لأقبل طلَّابًا جددًا".

عـضَّ تانجـاي عـلى إصبعـه، وانغمـس في التفكـير. لم أرَ في أي مـكان في جسـده خيطًـا يربطـه بالكـون. رغـم أن رؤيتـي لم تكـن في أوج حدَّتهـا الآن.

"وأمان؟".

"لا يـزال كـما كان دائمًـا. وهـو لا ينسـجم مـع المعلمـين الآخريـن. خاصة المعلـم هوانجتشـيون. لكـن الجميـع يبـذل قصـارى جهـده لعـدم التَّطفُّـل عـلى مجـالات نفـوذ بعضهـم بعضًـا. لسـتُ متأكِّـدًا مـمَّا تريـد سـماعه. لا يـزال المعلـم أمـان يعتقـد أن كل كيـان منقسِـم كَـونٌ في حـدِّ ذاتـه. يقـدِّر المملكـة الدنيـا أكـثر مـن مملكـة الظـلام أيضًـا. مدرسـته الفكريـة تحظـى بشـعبية بـين الأطفـال حديثـي الـولادة. عفـوًا؟ أنـت لا تبـكي، أليـس كذلـك؟".

ظهـرت ذكـرى عـلى السـطح ببـطء، ذكـرى مُشـكَّلة حديثًـا. الملكـة العظيمـة التـي عاشـت حياتهـا ووصلـت إلى عـالم المـوتى، أدركـت عـلى الفـور أن ذاتي المسـتقبلية قـد حاوَلَـت قتلهـا، وأن كيانًـا مـن مسـتقبل أبعـد حتـى قـد أنقذهـا. ذهـب أمـان لرؤيـة نابـان العجـوز -الـذي مـا كان يعـرف شـيئًا حتـى الآن وراح يسـتريح في معبـد- وشـنَّ عليـه حربًـا مـن المجـادلات والإقنـاع. انخـرط الاثنـان حتـى في العديـد مـن المبـارزات التـي تضمَّنَـت تبـادُلَ جـزء مـن جسـديهما. انتهـت المبـارزات بوعـد نابـان بأنـه لـن يخطـط أبـدًا للقضـاء عـلى أمـان، أو التعـاون في مثـل هـذا المسـعى.

قـال تانجـاي: "يبـدو أن ذاكرتـك عـن سـبب مجيئـك إلى المملكـة الدنيـا مختلفـة عـن ذاكـرتي".

"أفترض ذلك".

ثمـة بعـض العدالـة في التاريـخ المتـلاشي أيضًـا. تمامًـا كـما سـيكون هنـاك بعـض الظلـم في هـذا التاريـخ الناشـئ حديثًـا. أنـا أتحمَّـل المسـؤولية الوحيـدة والكاملـة عـن ذلـك أيضًـا. لم أكـن لأسـلك هـذا المسـار إن لم أكـن فاسـدًا، لكـن لـو لا الفسـاد، مـا كنـت لأفكـر في إبـادة أمـان في المقـام

الأوَّل. بما أن ذاتي الحاضرة فاسدة، فأنا أرغب على الأقل في التراجع عن المِيتات التي سبَّبتها للآخرين. بغضِّ النَّظر عن العواقب.

سألني: "حسنًا، على الأقل هكذا كان الكون في الأصل، أليس كذلك؟.

أجبته: "لا يوجد كون أصليٌّ".

ثمة حياة واحدة فقط، والكون المتغيِّر باستمرار الذي تخلقه.



ن+1

أخبرني أمان بأن أذهب إلى مبنى قديم. عرف أنه يمكنني الذهاب إلى أي مكان.

قال لي: الآلهة تسكن في الأشياء القديمة. إن أردت حقًّا العثور على شخص يشبهني، فابحث بين غير الأحياء لا الأحياء. تحدَّثْ إلى الصخور أو الجلاميد. الكائنات التي نجت من عصور من الدمار البشري، وعاشت ألفية بعد ألفية، تتمتَّع بالذكاء وستجيبني إنْ شاركتها حقيقتي من كل قلبي. أخبرني أمان أن أكوِّن صداقات بهذه الطريقة، إنْ كنت وحيدًا جدًّا. ثم حكى لي أمان عن أساطير مقبرة الملك مونمو المدفونة تحت الماء، وقصر جيونج بوكجونج، ومغارة سيوكجورامو، ومعبد شادوليس، وسفن السلاحف.

ارتعشت زوايا فمي كلَّما روى أمان مثل هذه القصص بوجهٍ وَقورٍ. كِدتُ أضحك عندما ذهب إلى حدٍّ استحضار برج لوت العالمي[1]. لكنني أجبرت نفسي على الحفاظ على وجه جاد. بقدر طول حكايات أمان، كانت تتَّسم بالقداسة. لم تُولَد القداسة من الحقيقة، بل من سرد الراوي الماهر الذي لم يكتف بالسجلات التاريخية بل أضفى عليها شيئًا من الإثارة. احتوت هذه الحكايات الشعبية التي تناقلتها

(1) ناطحة سحاب تقع في سيول بكوريا الجنوبية. ارتفاعها 555 مترًا. افتتحت في 11 أبريل 2017، وهي حاليًا أطول مبنى في كوريا الجنوبية وخامس أطول مبنى في العالم (المترجم).

الأجيال، وابتدعها أكثر من مؤلف على المزيج الصحيح من المواعظ الأخلاقية والمفارقات وتقلُّبات الحبكة والمشاعر. كنتُ قد بدأت في التساؤل عمَّا إنْ كنت أعرف حقائق الكون بمفردي، أم كنت منغمسًا في خيال من صُنعي. كيف تختلف الحقيقة التي لا يمكن التَّحقُّق منها وغير المسجَّلة عن الأسطورة؟ لذا بدلًا من تصحيح خطأ أمان، شرعت في الترحال.

كانت شوارع سيول مغطاة بكرومات يورمونغاند حمراء. اخترقت سيقانها الخشبية السميكة الخرسانة وتسلَّقت إلى قِمَم ناطحات السحاب، مستخدمة جدران المباني كدعامة لها. تداعت المباني مثل الورق داخل قبضتها الحديدية لكن لا يزال البشر يسكنونها. كانت الروبوتات، التي قد يطلق عليها آخر "كائن" على الأرض متحالفة مع البشر، تقف للحراسة كل ليلة وتقوم بدوريات في محيط المباني. تتغذَّى كرومات اليورمونغاند على الأوزون أو الأمونيا وتطلق أزهارها السموم. وكانت محصَّنةً ضد كل مادة كيميائية قاتلة اخترعها الإنسان. تجوَّلت ثيران يمير العملاقة في الطرق على أربع أرجُل، ونفثت بخار أصفر كريه الرائحة من أفواهها. بعرضها الذي يمتدُّ مئات الأمتار من عمودها الفقري حتى أقدامها، هزَّت الثيران بحركتها المباني وسحقت الأسفلت في كل خطوة. نظرًا لانهيار الطرق مدة طويلة تحت أقدامها، لم تتمكَّن سوى المركبات ذات الدفع الرباعي والدراجات النارية من السير فيها. اعتاد بعض الناس مؤخَّرًا امتطاء ذئاب فنرير الرمادية التي اصطادوها في الجبال.

قال الناس إن هذه كانت نهاية العالم. خالفتهم الرأي. كانت ببساطة نهاية الجنس البشري. قال الناس إن الآلهة قد تخلَّت عن العالم. خالفتهم الرأي. تحوَّل الاهتمام الإلهي ببساطة بعيدًا عنَّا إلى مخلوقات أخرى. كل السلالات الجديدة كانت مقاوِمة بشكل رائع للتلوث والجراثيم. تضاعفوا بسرعة مخيفة في البيئات التي كان فيها

الأوكسـچين نـادرًا لكـن نسـبة الأوزون والأمونيـا قـد ارتفعتـا. نَمَـت مـن مقالـب قمامـة بلاسـتيكية وغـزت محيطـات بعيـدة عـن متنـاول الإنسـان، وانتظـرت لحظتهـا المناسـبة، وزحفـت أخـيراً إلى الأرض بعـد أن تدمَّـرَت المـدن عـدَّة مـرَّات. في البدايـة حـاول النـاس إيجـاد طـرق للقضـاء عليهـا، ولكـن بمجـرد اسـتخدام أي مبيـدٍ حـشري أو غـاز سـام عليهـا، توالـد الجيـل التـالي مُحصَّنًـا ضـده وبـدأ في التكاثـر بسرعـة مـرة أخـرى.

رحـت أتجـوَّل في الشـوارع ليـلًا، لا أحمـل معـي سـوى خنجـر وسـلَّةٍ في يـدي لأتظاهـر بأننـي كنـت في الخـارج مـن أجـل الصيـد. استكشـفت أقبيـة المبـاني المنهـارة وتحرَّيـتُ أعشـاش الكائنـات الحيـة التـي تعيـش في المجـاري. بحثـت عـن تلـك التـي بَـدَت صالحـة لـلأكل وأخـذت عيِّنـات من الأنـواع الجديـدة لدراسـتها. أخـبرت النـاس أننـي كنـت أتحقَّـق مـن أي مخاطـر محتملـة، لكـن أمـان كان الوحيـد الـذي يعـرف السـبب الحقيقـي وراء رحـلاتي الاستكشـافية؛ كنـت أبحـث عـن كائـن يُشـبهني. إنْ كانـت الطبيعـة قـد صنعـت كائنًـا مثـلي، ألـن تصنـع كائنًـا آخـر؟ انتابنـي أحيانًـا شـعور أن بقيـة البشريـة شـكلَّت كيانًـا واحـدًا متجانسًـا، وكنـتُ أنـا الكائـن الغريـب.

قال أمان: "الجميع يعتقد ذلك عندما يكونون صغارًا".

اعترضت: "أنا لست صغيراً".

"لكنك لم تكن راشدًا أبدًا".

عبـث أمـان بشَـعري كـما لـو كنـت طفـلًا. كانـت يـداه نحيفتـين ومتجعِّدتـين. أصيـب بالعمـى منـذ مـدة، وبـدأ يفقـد سـمعه بالفعـل. سـعل في الليـل حتـى ارتعـش جسـده كلـه، وبصـق بلغـمًا أسـود. سـوف تنفـد حياتـه قريبًـا. مثـل كل نسـخ أمـان الأخـرى الذيـن أحببتهـم مـن قبـل.

كان النسخة الذَّكَر السادسة من أمان الذي يتزوَّجني، والطفل السابع عشر الذي أسميته "أمان" عند "الولادة". كان من نسلي، على وجه الدقة، ولكن المحاذير ضد سِفاح القربى قد رُفِعت منذ مدة طويلة. كانت النساء القادرات على الإنجاب نادرات، والشابات أكثر نُدرةً حتى. ثمَّة وقت حبسني فيه العلماء في المختبرات وحطَّموني إلى خلايا لاستخلاص سرِّ الخلود مني، لكنهم، مثل الآخرين، انتهى بهم الحال في سجلات التاريخ. إنْ أراد أيُّ شخص تحليل جسدي الآن، فالتكنولوچيا اللازمة لذلك لم تَعُد موجودة. بدلًا من محاولة الكشف عن سرِّ خلودي، كان الناس اليوم يوقِّرون حياتي نفسها. كانت الإنسانية في عصر الأسطورة أكثر تقبُّلًا للمجهول من الإنسانية في عصر العلم.

فكَّرت في زيارة مقبرة الملك مونمو تحت الماء أو مغارة سيوكجورام، لكنني قرَّرتُ زيارة برج لوت العالمي من باب المُفارقة الساخرة. حدث أيضًا أنه المكان الذي وجدت فيه ثلاثة أنواع من الفطر وخمسة أنواع جديدة من الأسماك، في الطابق السفلي المغمور حيث انفجر الأكواريوم.

ربما كان أمان على حقٍّ. كانت الأشياء الجامدة غير الحيَّة الأشياء الوحيدة التي كانت موجودة منذ زماني. ربما كان الكائن الذي عاش منذ الأبد أقرب في هيئته إلى شيء غير حي. تجوَّلتُ في مبنى تغطيه نباتات اليورمونجاندر، ووجدت مكانًا مناسبًا للجلوس فيه. متَّكئًا على جدار رطب تفوح منه رائحة العفن والصدأ، بدأت محادثة مع المبنى بمُزاح في البداية، ثم بجدية. امتلكت الخلود في يدي بعد كل شيء؛ لذا ربما سيتعيَّن عليَّ أن أحاول إلى الأبد. سئمت من فقدان أمان على نحو متكرِّر. سئمت من عدم وجود أمل في اجتماعي بأمان في عالم الموتى. كنت أرغب في الحصول على إجابات. إجابات لأصل ومعنى وجودي، سبب استمرار حياتي.

اكتشفت أن الجوع لا يمكن أن يقتلني، منذ ثلاثة قرون، عندما كنت عالقًا في نفق تحت الأرض، وقرَّرت أن أجرِّب. كنت أتضوَّر جوعًا، لكن هذا كان كل شيء. ما زلت لا أستطيع أن أفهم كيف كان ذلك ممكنًا. لكنني كنت أشك في أن شيئًا ما في جسدي ربما قادر على تحويل الضوء أو الهواء أو الرطوبة إلى نيتروچين، كما يقوم النبات بعملية التمثيل الضوئي.

بعد أيام كثيرة لا يعلم أحدٌ عددَها، تلقَّيتُ ردِّي. لكن ليس من المبنى.

بدوا وكأنهم أطياف، ملفوفة في الضباب، مهتزَّة وشفافة. كان لهم أطراف ورؤوس ضخمة مثل تلك الخاصة بالبشر، ويبدو أنهم يمشون على قدمين، لكنني لم أستطع التأكد من ذلك. في البداية اعتقدت أنني كنت أتوهَّم رؤية الأشياء بسبب جوعي. لكنني شعرت بوجودهم ثقيلًا لدرجة أنه من المستحيل أن يكونوا خياليِّين. أو ربما يكون هناك فطر أو طُحلب مُسبِّب للهذيان في الجوار. إنْ لم تكن هلوسة، فلا بُدَّ أن يكونوا مخلوقات تولِّد أطوال موجية تتجاوز حدود الطيف البصري البشري. ربما ظهرت مثل هذه السلالات مؤخَّرًا.

- كنَّا ننتظر، يا نابان.

تردَّد صدى صوت في ذهني. بينما كانوا يخاطبونني باسم غريب عني، تحدَّثوا بلغة بشرية- لغتي.

انتظرتم؟!

لم يكن ظهور سلالات ذكية مفاجئًا في حدِّ ذاته. كنت أتوقع ذلك. لكن حقيقة أنهم يتحدثون لغة كنت أعرفها جعلني حَذِرًا. كان أحد الأشياء أن يمتلكوا ذكاء، ولكن أن يمتلكوا نظام لغة مماثلًا لي؟ حتى لو لم يمتلكوا نظام لغة مماثلًا لي، فلماذا يكلفون أنفسهم عناء تعلُّم

لغة السلالات الأخرى؟ مجدّدًا، كنت أظن أنني أهذي. ربما استشعروا الأسئلة التي تتشكل في ذهني لأنهم أضافوا:

- ننتظر رغبتك في البحث عن كائن من نوعكَ نفسه حتى تصبح قويًّا بدرجة كافية.

سحبت غريزيًّا خنجرًا من حزامي. مع أن جسدي كان إلى الأبد جسد طفل يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، إلّا أن قدراتي الجسدية لم تتوقَّف أبدًا عن النمو. بالطبع، كان التدريب ليغدو بلا جدوى إنْ أبطل جسدي الغامض أي تغيرات في كتلته العضلية، لكن جسدي طوَّر مهارات بدنية بلا توقُّف مثلما راكم دماغي المعرفة. بدون قصد، كنت امتلك جسد شخص خضع لآلاف الساعات من التمارين والتدريب - رغم أن قوتي كانت لا تزال محدودة بما يسمح به جسدي الأساسي.

تحدثوا معي كما لو كنت قد خضعت للاختبار دون أن أدرك ذلك، واجتزته بالفعل. في اللحظة التي سمعت فيها كلماتهم، غمرني الشعور بالفخر والإنجاز كما لو أن جهود حياتي قد ثبُت جدواها. شعرت بأنني هام، عظيم حتى. كانت هذه مشاعر خطيرة حتى تساورني في حين لم أكن أعرف مَن هم، ولم يكن لديَّ أدنى سبب للثقة بهم.

- نحن بالضبط ما كنت تبحث عنه، يا نابان.

مدَّت الأطياف البيضاء أيديهم في انسجام تام. وقفتُ على قدمي، ولمست الجدار خلفي، ورفعت خنجري أفقيًّا أمام وجهي، متَّخِذًا وضعية دفاعية.

"إن علمتم أنني كنت أبحث، فلماذا لم تأتوا وتجدوني في وقت سابق؟".

- هذا الحديث لا معنى له. خُذ بأيدينا؛ عندئذ ستفهم.

كان بإمـكاني التَّعامُـل معهـم مبـاشرة لاختبـار قـوى عـدوِّي، لكنهـم كانـوا يفوقونني عـددًا، ولم أسـتطع المخاطـرة بالفشـل. برغـم أنني أتعـافى بسرعـة ولم أتقـدَّم في العمـر، لم أكـن مُحصَّنًـا مـن الإصابـات. تحرَّكـتُ بشـكل جانبي حتى وجـدت يـدي فجـوة ورائي وركضـت عبرهـا. ارتفعـت الأطيـاف عـن الأرض، وسـدَّت طريقـي. اسـتدرت عندمـا وجـدت نفـسي محـاصرًا. كيانـات محسوسـة ترتحـل تحـت الأرض؟ تحـدوا المنطـق كلـه. كنـت أعلـم أنـه لا يوجـد مَخـرَج؛ ولذلـك انتظـرت.

كان الطيف الذي وقف في المقدمة يمد يده إليّ الآن.

هل هذا كل ما يريدونه؟

عندمـا لم أُظهِـر أي علامـة عـلى مبـادرتي بإمسـاك اليـد الممـدودة إليَّ، اسـتطالت أرجـل الطيـف خلفـه مثـل مجسَّـات الأخطبـوط، والتفَّـت حـول كاحـلي بينـما كنـت أحملـق بعينـين واسـعتين يملؤهـما الرعـب. كانـت المجسَّـات صُلبـة مثـل الفـولاذ، وتحـرق كـما لـو كانـت تنفـث مـادَّةً حامضـة. اعتـصرت كاحـلي وكأنهـا تقصـد بَترَهـما.

حقيقـة أنهـم يُلحِقـون بي الألم يوحـي بأنهـم بحاجـة إلى موافقتـي عـلى ذلـك الطقـس أيًّـا كان الغـرض منـه. أخـبرني نفـاد صبرهـم أن ثمـة خطـرًا عليهـم أكـثر مـمَّا كان عـليَّ. سـألتهم: "لمـاذا تريدوننـي؟".

- أنـت واحـدٌ منَّـا. كنَّـا كيانًـا واحـدًا في الأصـل، لكنـك انفصلـت عنَّـا. بمجـرد أن نصبـح كاملـين...

"ماذا سيحدث عندئذٍ؟".

هدأ الطيف. هل كان هذا تردُّد الذي رأيته في عينيه؟

- وصـل الجنـس البـشري إلى نهايتـه. اسـتشرى فيـه الفسـاد، ويجـب تنقيتـه وولادتـه مـن جديـد. كان يجـب أن يحـدث هـذا منـذ مـدة طويلـة، لكنـك كنـت تعيـش في وسـطهم؛ لذلـك انتظرنـا.

استدرت بسرعة.

- صراحة، قمت بأقذر خدعة على الإطلاق. قلت إنك ستعيش حياة واحدة فقط، ولكن بعد ذلك تهبط إلى هنا بجسد خالد؟ يا لها من مفاجأة! لم يفعل أحدٌ ذلك منذ عصر الأسطورة. كنت في السابق تشتكي من أن العيش في جسد أدنى أكثر من عقدين، مُضجِر. انظر إليك الآن، ستكون سعيدًا بالعيش حتى تحترق الأرض وتتحوَّل إلى رماد.

"؟؟؟؟".

نظرتُ إلى الطيف، مذهولًا. بدأ الطيف المتذمِّر في إصدار إشعاع في حين يزداد شكله الخارجي وضوحًا. من خلال ستار من الخيوط الفضية، شاهدت امرأةً ممتلئة الجسم لها جدائل مضفَّرة، وترتدي معطفًا ملطخًا ببصمات أصابع متسخة. لم تكن تشبه أي إله أو شبح أو حاصد أرواح أو فضائي. ولكن بالحكم على كيف أطال الطيف جسده من قبل، يبدو أنه قادرًا على تغيير شكله كما يشاء.

- إنْ كنتَ تريد العودة في أي وقت إلى مملكة الظلام، أيها المعلم، فقط فكِّر في الأمر. سأطير إليك على الفور. حسنًا؟

ثم انطلق الطيف- المرأة بسرعة كوميض. اختفت معها الأطياف الأخرى. حين وجدت نفسي وحدي فجأة، لم أستطع إلا أن أرمش مرة ثانية في ذهول.

التقطت بعضًا من فطر عيش الغراب من تحت المياه التي تغمر الطابق الأرضي، واصطدت ثلاثة أو أربعة من المرجانيات الإمبراطورية في الأكواريوم، وغادرت المبنى بسلَّةٍ ممتلئة. كان الفجر. غمر توهُّجٌ قرمزيٌّ المدينةَ، وسار قطيع ثيران يمير عملاقة ببطء على مبعدة، مُطلِقة صيحة بووو من حين لآخر. بدوا بطيئين بسبب حجمهم

الهائـل لكنهـم كانـوا في الواقـع يتحركـون بسرعـة كبـيرة. تتمايـل نباتـات اليورمونغانـد حـول المبـاني المتلألئـة في ضـوء الشـمس، حمراء مثـل الأوردة.

خطـرت لي فكـرة غريبـة. ربمـا كان الكـون حيًّـا لأننـي كنـتُ عـلى قيـد الحيـاة. ربمـا تراقبنـا كائنـات كلِّيَّـة القـدرة مـن مـكان مـا في تلـك السـموات. كائنـات تعـرف كل شيء مـا عـدا قيمـة الحيـاة. هـم الذيـن كانـوا غافلـين عـن عظمـة البقـاء واسـتهزؤوا بمعـارك الحيـاة، وهـم الذيـن فشـلوا في رؤيـة قداسـة فردانيـة شـخص واحـد. ومـع ذلـك مـن خـلال بعـض الترتيبـات التـي لم أكـن عـلى درايـة بهـا، لم يتمكنـوا مـن لمـس هـذا العـالم طالمـا عشـتُ أنـا فيـه...

... كانت مجرَّد فكرة.

ومـع ذلـك، لم تكـن فكـرةً سـيِّئةً أن أحـاول العيـش طالمـا امتلكـت الجـرأة عـلى ذلـك. أمسـكت سـلَّتي بقـوة وبـدأت رحلـة العـودة إلى المنـزل، حيـث كان أمـان ينتظـر.

ن- 1

خفضـت عينـي إلى جسـدي الميـت، الجنـدي الصبـي الصغـير الـذي اصطـدم وجهـه بـالأرض. بعـد أن قبلـت حقيقـة مـوتي، بحثـت حـولي بحثًـا عـن لافتـة تقـول: هــذا الطريـق إلى عــالم المـوتى، أو ربمـا مرشِـد يحمـل لوحـة إرشـادية مـع عبـارة: مرحبًـا. جميـع زوار الجحيـم، اصطفُّـوا هنـا.

رأيـت خيـالًا يقـف أمـام صخـرة، مرتديًـا رداءً دوبـو أسـود طويـلًا وقلنسـوة متماشـية معـه. لاحظـت عيونـه الضخمـة الذهبيـة التـي بـدت وكأنهـا عمـلات معدنيـة محطَّمـة، وأطرافـه الرفيعـة المرئيـة بالـكاد تحـت ردائـه.

رسول الموت؟

لكـن خيـط أفـكاري انقطـع بسـبب الذكريـات الأخـرى التـي تواتَـرَت بداخـلي كـما لـو كنـتُ أسـتفيق مـن صـداع مـا بعـد الثَّمَـل. الذكريـات التـي قمعهـا جسـدي حتـى الآن، والتاريـخ المحفـور في كل حيـاة سـابقة لي. بـات ذهنـي أكـثر صفـاء عندمـا اسـتدعيت جسـدي الروحـي، الـذي انفجـر منقسـمًا إلى أجـزاء شـتَّى مـن صدمـة المـوت. سـيتمكن البـشر الحسَّاسـون مــن رؤيتــي عندمــا أكــون مجمَّــع الأجــزاء، لكننــي كنــت أشــكُّ في أنهــم سـيرون الكثـير مـن خـلال أطيافهـم البصريـة الضيقـة للغايـة التـي لا يمكنهـا حتـى تسـجيل الأشـعة تحـت الحمـراء والأشـعة فـوق البنفسـجية.

ناديـت باسـمه: "توشـيتا"، وأغلقـت فمـي. ألم يفقـد فردانيتـه بالاندماج مـع الـكل؟ حقيقـة وجـود توشـيتا تعنـي أن التاريـخ قـد غـيَّر مسـاره. رغـم فشـلي، عشـت الحيـاة التـي اخترتهـا. قلـت: "جعلتـكَ تنتظـر طويـلًا. عشـت حيـاتي الواحـدة، وأنـا راضٍ. يمكنـك أن تأكلنـي الآن".

مـددتُ يـدي نحـو توشـيتا. لكـن توشـيتا ظـلَّ صامتًـا. كانـت عيونـه مظلمـة وكئيبـة. شـعرت أن ثمـة خطبًـا مـا فذهبـت إلى توشـيتا وأمسـكت بمعصمـه. كان هزيـلًا. أكـثر بكثـير مـمَّا بـدا للوهلـة الأولى. تقلَّـص جسـده إلى حجـم مثـير للشـفقة. حتـى لـو اسـتدعى جميـع الأجسـاد الروحيـة التي لديـه، فـإن حجمـه سـوف يتضاعـف مرتـين أو ثـلاث مـرات عـلى الأكـثر. لـن يبلـغ حجـم كـون أو كوكـب أو كويكـب في الحقيقـة، ولا حتـى جبـلًا أو غديـرًا. هـل كان هـذا حقًـا توشـيتا الـذي دمـج زمـلائي أجسـادهم مـن أجلـه حتـى يتصـدى لفسـاد المملكـة الدنيـا؟

قال توشيتا بصوت أجشَّ: "فزتَ يا نابان".

"كيـف؟" سـألت. لم أسـتَرِدَّ ذكريـاتي عـن هـذا الكـون الجديـد بالكامـل بعـد. أجـال توشـيتا ناظريـه فيَّ، محـاولًا تقييـم مـا إذا كنـت أمازحـه أو كنـت جاهـلًا حقًـا. يبـدو أن قدرتـه عـلى الإدراك أصبحـت أيضًـا ضعيفـة بشـكلٍ يسـترعي الشـفقة.

"كنـت قـد سـجنتك، لكـن أجـزاء مـن أمـان وأطفالـه خطفـوك، وأزالـوا مـن جسـدك شيفرة الاندمـاج دون إقنـاع، وامتصوهـا. عرَّفـوا مَحوَنـا أمـان مـن التاريـخ بأنـه خيانـة للكيـان الـكلِّي كـما عرَّفونـا عـلى أننـا فاسـدون، وليـس هـم".

تجلَّـت ذكـرى جديـدة في ذهنـي. تلاشـت صلتـي بالكيـان الـكلِّي بحلول ذلـك الوقـت ولم أسـتطع منـع الأطفـال مـن تفكيـك جسـدي. يـأسي مـن فشـلي منعنـي مـن التفكـير حتـى في محاولـة إيقافهـم.

"سرق الأطفـال شـيفرتك، وحوَّلوهـا إلى نـوع مـن برامـج القرصنـة. نـشروا ڤيروسًـا في جميـع أنحـاء مملكـة الظـلام، ڤـيروس يعـزل الكيانـات عـن الـكل ويعرقـل الاندمـاج. انتـشر المـرض في جميـع أنحـاء المملكـة، وفقـد نصـف عددنـا القـدرة عـلى الانقسـام أو الاندمـاج. كـما فقـد الأنبيـاء

والمعلمـون معظـم أجسـادهم. للتجسُّـد في المملكـة الدنيـا؛ يجـب عليهـم الآن المـرور عـبر آلـة معينـة في بـاردو أمـان".

لم أنبـس ببنـت شـفة. إذًا فقـد فُـزتُ. مـن المفـترض أن أكـون سـعيدًا، لكننـي لم أكـن كذلـك.

سألت: "ماذا عن تانجاي؟".

"قـاوم. بأسـاليب غـير مفهومـة. أطلِـقْ النـار مسـتخدمًا مدافـع ليـزر وصواريـخ. حتـى إنـه نـشر جيشًـا مـن الروبوتـات. في النهايـة قبـض جيـش أمـان عـلى تونجـاي. فكَّكـوه تمامًـا ودمجـوه في العديـد مـن الشـخصيات المختلفـة. حتـى يجعلـوا اسـتعادة شـكله الأصـلي مسـتحيلًا... اعتـاد تانجاي الاعتنـاء بهـؤلاء الأطفـال. يصعـب عـليَّ فهـم لمـاذا يفعلـون ذلـك بمعلِّمهم".

لم يكـن صعبًـا عـليَّ فهـم ذلـك. لم يكـن تانجـاي فاسـدًا. وأنـا أيضًـا لسـت فاسـدًا الآن.

"شـارك أطفـال أمـان معرفـة مملكـة الظـلام مـع المملكـة الدنيـا. مـرَّروا تكنولوچيـا وحكمـة الآلهـة. شـهدت المملكـة الدنيـا تقدُّمًـا باهـرًا في العلـم، والـذي يهـدِّد الآن بتجـاوز حـدود السـحر. يعـرف الأشـخاص المسـتنيرون في المملكـة الدنيـا أن الحيـاة الآخـرة موجـودة، ويمكنهـم الآن التواصـل مـع مملكـة الظـلام. يعرفـون كيـف يعيشـون حياتهـم. يمكنهـم الوصـول إلى حكمـة جميـع الأنبيـاء مـن خـلال القنـوات الروحيـة. كل شيء كـما أراده أمـان".

أراده أمـان؟ عـلى حـدٍّ علمـي، لم يكـن أمـان يريـد شـيئًا مـن هـذا القبيـل.

"فـزت، يـا نابـان. الحاكـم الحـالي لمملكـة الظـلام هـو أمـان. بنـى أمـان معبـدًا هائـلًا هنـاك ويقـوم بـكل الاسـتعدادات للترحيـب بـكَ. جئـت لأجـدك لأننـي أُفضِّـل أن تأكلنـي أنـتَ عـلى أن يُقبـض عـليَّ وأُفـكَّك. مـن

فضلـك، كُلنـي واحتضِـنْ معرفتـي وذكريـات نسـخ حيـاتي كلهـا، حتـى أحتفـظَ بكينونتـي. نظـرًا لحجمـك، فـإن إضافتـي إليـكَ لـن تعـرض هويتـك للخطـر".

لم يـدرك توشـيتا أنـه لم يعـد بالفعـل مـا كان عليـه سـابقًا. كان التَّشـبُّث بهويـة الفـرد علامـة عـلى التَّلـوُّث، لكـن يبـدو أنـه لم يلاحـظ ذلـك.

رفعـت يـدي عـن ذراع توشـيتا. عندهـا فقـط اسـتوعبت حجمـي الحقيقـي. عـاد جسـدي إلى مـا كان عليـه قبـل أن أبـدأ في القضـاء عـلى أمـان. بنفـس الحجـم تقريبًـا الـذي كنـت عليـه عندمـا حصلـت عـلى اسـم نابـان لأول مـرة. الآن عرفـت المـدى الكامـل لقـدراتي وامتيـازاتي. كنـت الكيـان الأول، والنبـي الأول. يمكننـي "ولادة" عـدد لا يُحـصَى مـن الأطفـال مـرة أخـرى وإعـادة إسـكان العـالم. لـو اتصلـت مملكتـا الظـلام والدنيـا كل منهـما بالأخـرى، فسـيكون ذلـك بحـدٍّ ذاتـه بدايـة لتعلُّـم جديـد. أودُّ تعليـم النـاس حتـى لا يعانـوا أبـدًا. أودُّ نقـل كل نسـخ حيـاتي السـابقة إليهـم.

استمتعت بهـذه التَّخيُّـلات التـي نالـت رضـا قلبـي. كـم كانـت مُمتِعةً. لكـن بـدلًا مـن أن أفقـد نفسـي في المتعـة، كبحـت جـماح نفسـي.

ناشد توشيتا: "من فضلك، كُلني".

"ماذا لو رفضت؟".

حـدَّق توشـيتا في وجهـي باندهـاش لكنـه سرعـان مـا تماسـك. كنـتُ ضخـمًا جـدًّا وتوشـيتا ضئيـلًا جـدًّا، لدرجـة أننـي كنـت أسـتطيع الرؤيـة مـا يضمُـره في أعـماق قلبـه.

"أنت قاسٍ غير أنني أفهم السبب".



ابتلع توشيتا غضبه وذكَّر نفسه بالأشياء التي فعلها بي. بدا أنه يعتقد أنني اقتص منه بسبب ما ارتكبه من خطايا في حقي. داخل تلافيف عقله، بدأ يحلِّل مسائل الصواب والخطأ، المكافأة والعقاب.

"إن رفضت أكلي، فسوف أقاتل أمان. من وجهة نظري، أمان فاسد. ربما لم يكن كذلك في الماضي، لكن من الواضح أنه فاسد الآن. نما حجمه بصورة هائلة، ودمَّر التوازن. مع أن جسدي تافه، إلا أنني سأقاتل. ولهذه الغاية سأواجهك أوَّلًا. سأحمي هويتي من خلال هذا القتال. بمجرد أن تهزمني، فكِّكني أو اعزِلْني في الجحيم".

قلَّصتُ حجم جسدي قليلًا. ظهرت الجاذبية عند طرف إصبعي، وبدأ الكون يتجمَّع هناك. من الناحية النظرية، لا بُدَّ أن حوافَّ الكون قد تموَّجَت. كان أمان ليشعر بذلك أيضًا من المكان الذي يوجد فيه في مملكة الظلام. استعدَّ توشيتا للقتال، لكن خطورته بدت شبه معدومة مثل خطورة طفل متململ لا حول له ولا قوة.

أعرف كل إمكانياتي. وكل تناقضاتي.

لأني نابان، الذي يتذكر بداية الزمان. لأني لا أعرف شيئًا في الكون ليس أنا. لأنني أعلم أنه لا يوجد جزء من الكل أغلى من الآخر؛ ببساطة ثمَّة أجزاء أكبر أو أصغر فقط. لأنني أعلم أن الفساد ينشأ عندما يحاول المرء إقصاء الآخر من العالم. لأنني لست فاسدًا في هذه اللحظة.

فتحت فمي.

"كيف يمكنني المساعدة يا توشيتا؟".

3

ما وراء القصة

نبيُّ الفساد/ تلك الحياة الواحدة

بـدأت في كتابـة "نبـي الفسـاد" بعـد أن كتبـت عمـلي "الجـلَّادون السـبعة". بينـما كنـت أكتـب الجـلادون، أعـدت بنـاء عـالم القصـة عـدة مـرات مـن أجـل الفصـل السـابع، الـذي كانـت تـدور أحداثـه في الحيـاة الآخـرة. خطَّطـتُ لأخـذ إحـدى الفرضيـات التـي كنـت قـد صرَفـتُ النظـر عنهـا في ذلـك الوقـت، وتحويلهـا إلى قصـة مسـتقلة.

في البدايـة، لم أمتلـك صـورة واضحـة للكـون الخيـالي للقصـة باسـتثناء أن عـالم الأحيـاء كان مدرسـة للتنويـر، وعـالم المـوتى بمثابـة منتـدى حيـث تناقـش مختلـف المـدارس الفكريـة طـرق التدريـس، بطريقـة مماثِلـة للأغـورا (مـكان للتَّجمُّـع الثقـافي) في أثينـا القديمـة.

بينـما كنـت أعمـل في بنـاء عـالم القصـة خـلال الصيـف، فكَّـرتُ في الشـكل الـذي قـد يبـدو عليـه عـالم المـوتى إنْ كانـت أشـكال الحيـاة الماديـة موجـودة هنـاك وشـكلت نظامًـا بيئيًّـا. تسـاءلت كيـف يمكـن أن تبـدو الكائنـات الخالـدة. إنْ كانـوا خالديـن؛ فلـن يحتاجـوا إلى تنـاول الطعام، وفي حالـة عـدم احتياجهـم إلى تنـاول الطعـام، لـن يكـون لديهـم أجهـزة هضـم أو إخـراج. ولـن يكـون لديهـم أعضـاء جنسـية أيضًـا؛ لأنهـم لـن يحتاجـوا إلى التكاثُـر، ولـن يكـون لديهـم أنـف أو فـم أو رئتـان؛ لأنهـم لـن يحتاجـوا إلى التنفـس؛ لذلـك اعتقـدت أنهـا سـتكون كائنـات هلاميـة الشـكل ذات حـدود غـير واضحـة خضعـت بشـكل متكـرِّر للانقسـام والتَّمـدُّد، مثـل

الأميبا أو الخلايا السرطانية أو الجزيئات. استقررت على فكرة أن الكون بأكمله، بما في ذلك عوالم الأحياء والأموات، كان كائنًا حيًّا عملاقًا مثل غايا. ثم فكَّرت في كيفية انقسام هذا الكائن الحي إلى كيانات مختلفة عندما ينتقل من عالم الموتى إلى عالم الأحياء؛ ممَّا أعطاني فكرة لعالم تدور فيه مناقشات محتدمة حول "الانقسام مقابل الاندماج".

لم تكن لديَّ رؤية واضحة لهذا الكون حتى بحلول شتاء 2013، عندما اضطررت إلى إرسال القصة إلى المجلة الإلكترونية Crossroads. تأرجحت بين مفهومي الانقسام والاندماج حتى قرَّرتُ -على عكس نيَّتي الأصلية- أن الانقسام كان سيئًا، وأنتجت قصة بنهاية مُبهَمَة. الآن أدرك أن حيرتي نبعت من سوء فهم للعوالم التي ابتكرتها.

نسيت القصة مدَّةً طويلة بعد ذلك، حتى اضطررت إلى إعادة استخدامها للنشر في كتاب. عندما شرعت في الكتابة، ابتسمت لنفسي إذ خطر ببالي فجأة أن القصص القليلة الأخيرة التي كتبتها كانت بالفعل تطوُّرًا للكون في هذه القصة بالتحديد. تمكَّنتُ من تنقيح العديد من الأجزاء التي لم أكن متأكِّدةً منها. هذه القصة هي مراجعة وامتداد للقصة الأصلية المنشورة على الإنترنت؛ النقاط الرئيسية في الحبكة هي نفسها، لكنني استخلصت استنتاجات مختلفة للغاية، وأعتقد أن سبب ذلك هو أنني شخصيًّا قد تغيَّرتُ.

"تلك الحياة الواحدة" هي قصة فرعية خفيفة وأقلُّ تعقيدًا من "نبي الفساد". عندما خطَرَت لي فكرة قصة فرعية، انجذبت أفكاري بشكل طبيعي إلى فكرة الأكوان الموازية. بمجرَّد أن ينتهي مستقبل رواية، ألا يجب أن تتفرَّع إلى تصوُّرات لا نهائية في ذهن قارئها؟

ربما يعيش نابان تصوُّراتٍ لا حصر لها للحياة بخلاف تلك الحياة المسجَّلة في هذه الصفحات.

يونيو 2017

4

فهرس مصطلحات «نبي الفساد»

باردو

منطقة يخلقها النبيُّ بجسده. عادةً ما يتَّخِذ الباردو شكلَ جرم سماوي، لكن حجمه وشكله يخضعان لأهواء النبي. في بعض الأحيان يأخذ شكل منزل أو سحابة. يجتمع الأتباع في باردو معلمهم لمناقشة حياتهم السابقة والتخطيط لحياتهم التالية قبل أن ينزلوا إلى مملكة الدنيا مرة أخرى. عندما يزور أتباع مدارس مُعيَّنة باردو مُعلِّمَهم وليس أي مكان آخر، يظنُّ الأطفال الصغار أحيانًا -خطأً- أن باردو مُعلِّمَهم هو عالم الموتى بأكمله.

اندماج

من وجهة نظر ثلاثية الأبعاد، الاندماج هو ضمُّ كيانين في واحد. لكن من وجهة نظر رباعية الأبعاد، الاندماج هو إعادة توزيع الكثافة بين كيانين متفاوِتَيْ الكثافة. يمكن اعتبار الاندماج على أنه زيادة في الأنتروبيا (مقياس الفوضى). بمجرد الاندماج، لا يمكن للكيان العودة إلى حالته السابقة بغضِّ النظر عن مدى تعقيد الانقسام، وهذا هو السبب في أن الاندماج يُنظر إليه أحيانًا على أنه زوال الفردانية.

انقسام

الانقسام هو التوزيع غير المتكافئ للكثافة، وبالتالي هو عكس الاندماج. في حيِّز ثلاثي أبعاد، تكون الخيوط التي تربط أجزاء كل كيان غير مرئية؛ لذلك تظهر الكيانات منقسمة. يُستخدم المصطلحان "الاندماج" و"الانقسام" بناءً على كيفية ظهورهما للعين المجردة، في حين يجب أن يطلق عليهما من الناحية الفنية "توزيع متكافئ" و"توزيع غير متكافئ"، تمامًا مثلما عبارتَيْ "تشرق الشمس" و"تغرب الشمس" شائعة الاستخدام، رغم عدم دقَّتها الواقعية.

إنْ تواجد كيانان متَّصلان بخيط سميك وكان ثمة اختلاف بسيط في خبراتهما، فسيُعتبران الذات نفسها؛ إن كانت خبراتهما تختلفان اختلافًا كبيرًا، فإن الكيان ذا الحجم الأكبر يُعتبَر الأب، والأقل حجمًا هو الطفل. إذا كان الخيط الذي يربطها رقيقًا بحيث يكاد يكون غير محسوس، تُعتبَر الكيانات ذات شخصيات مستقلة.

أدنى اختلاف بين أيديولوچية الطفل وأيديولوچية مُعلِّمه يُفسَّر على أنه ولادة كيان جديد، بينما يشير الاختلاف الشاسع بينهما إلى ولادة مُعلِّم جديد. بعبارة أخرى، لا توجد حدود واضحة بين الكيانات. فكرة وجود حدود واضحة لا يتبنَّاها سوى كيان فاسد. يكتسب الكيان المستقل الحق في أن يصبح مُعلِّمًا، وكذلك الحق في تأسيس مدرسته الخاصة بصفته نبيًّا.

نبي

يتخلَّى النبي عن جزء من جسده لـ«يَلِد» طفلًا، ويخطِّط لحياة الطفل، ويوجِّه دراسته. بعض المعلمين لا يحملون لقب نبي ويفوقهم الأنبياء رتبة. أي كيان من الجيل الثاني نشأ من انقسام الكون البدائي يسمَّى نبيًّا. كما أصبحت بعض الكيانات من الجيل الثالث، مثل أمان، أنبياء بعد تحقيق الاستقلال الأيديولوچي الكامل عن معلِّمهم.

الأسماء

أسماء الجيل الثاني لها أصول قديمة، ولكن معظم الكيانات من الجيل الثالث وما بعده تختار أسماءها بناءً على الهدف النهائي لتعلُّمهم. تعني كلمة تانجاي «الرماد المحترق» وهي إشارة إلى العلم. يونشيم تعني «شوق مولود من الحب». چايهوا تعني «الثروة». وهكذا دواليك. الكون البدائي (الكيان الأصلي الذي انبثقت منه

كيانات الجيل الثاني) ليس له اسم لأنه كينونة واحدة، وليس لديه سبب لتمييز نفسه.

الچندر

لا يوجد في مملكة الظلام أي تمييز من حيث الچندر أو الميول الجنسية؛ لأن لا أحدَ يتكاثر. حتى إنْ تبنَّى الكيان مظهرًا «أنثويًّا» أو «ذكوريًّا»، فهذا ليس مؤشِّرًا على الجنس البيولوچي. سكان مملكة الظلام هم في الأساس عديمو الجنس، ولكن يمكنهم بسهولة جعل جزء من أجسادهم ذكوريًّا أو أنثويًّا. الخط الفاصل بين الأحياء وغير الأحياء غير واضح أيضًا في عالم الظلام؛ لذا يُنظر إلى جميع الأشياء غير الحيَّة على أنها حيَّة. لكن يمكن أن يبدو كيان فاسد أقرب إلى شيء جامد لأنه يواجه مشكلة في الاندماج أو التَّحدُّث ذهنيًّا. وقد يحتفظون أيضًا بآثار چندَرِهم من حياتهم السابقة في مملكة الدنيا.

الفساد

نوع من المرض يُصاب به أولئك المنغمسون بعمق في مملكة الدنيا. يعتبر أمان على نطاق واسع أول كيان فاسد. تُعلِّق الكيانات الفاسدة أهمية أكبر على حياتها في مملكة الدنيا، وهي حقيقة افتراضية من نوع ما، أكثر من اهتمامها بتجاربها الحقيقية في مملكة الظلام. بكلام آخر، توصَّلَت الكيانات الفاسدة إلى الاعتقاد بأن المملكة الدنيا حقيقيَّة، وأن مملكة الظلام محضُ وَهمٍ. يمكن أن يتجلَّى الفساد في أعراض مختلفة مثل الاعتقاد بأن حاضر الكيان؛ جسمه ثلاثي الأبعاد يمثِّل الحدود الحقيقية لوجوده، ورؤية ذاته منفصلة تمامًا عن الآخرين؛ التَّعلُّق الشديد بالشخصية المؤقَّتة وتفسير زوال تلك الشخصية على أنها موته؛ والهوس بالحالة الآنية للفرد؛ وبالتالي الفشل في التغيير أو رفض الاقتناع بالاندماج. لا يمكن علاج الكيان الفاسد إلا من خلال

الاندماج، ولكن نظرًا لأنه يمكن أن يلوِّث الكيان المحفِّز للاندماج؛ فغالبًا ما يُعزل أوَّلًا حتى تتحسَّن حالته إلى حدٍّ مُعيَّن.

إقناع

الإقناع ضروريٌّ في الاندماج؛ لأنه بمجرَّد أن تبدأ الأجساد في التمازج، تتمازج الأفكار أيضًا.

إحجام الكيان الفاسد عن الاندماج يمكن أن يصيب الكيان الآخر، ويوقف عملية الاندماج كلها.

إن كان أحدهما يفوق الآخر حجمًا بهامش عريض، فإن الأضخم سوف يتغلَّب على أفكار الأصغر ويفرض حالة الاندماج فيما يشبه «الأكل» أو «الالتهام».

اندماج كيانين متشابهين في الحجم سيكون أكثر سلاسة إن رغب كل منهما بإرادته في الاندماج مع الآخر.

من الصعب اندماج كيان شديد الفساد، مهما كان حجمه صغيراً؛ لأن لديه رغبة قوية في البقاء منقسمًا.

توشيتا

عندما وُلِد مفهوم "الفساد"، اندمج الأنبياء الثلاثة ماجو وبانغو وسولمونداي وشكَّلوا كيانًا جديدًا اسمه "توشيتا" لحماية سلامة الكل من الفساد. في حيِّز ثلاثي الأبعاد، يبدو توشيتا أشبه بقمر صناعي أبيض يدور حول المملكة الدنيا السوداء. من حيث الحجم، توشيتا مقارنة بالمملكة الدنيا مثل القمر بالأرض. كيان بحجم توشيتا لديه مستوى فائق من الذَّكاء ولكنه يخلو من أي شخصية أو سلوك مُحدَّد. قبل خلق أمان، كان نابان يشبه توشيتا في الطبيعة.

نابان

يحتفظ نابان بذكريات من بداية الزمان، وكان في الأصل إيساتا، أكبر كيانات الجيل الثاني. إن حدث خطأ ما أثناء انقسام الجيل الثاني؛ فسيندمج كل كيان مرة أخرى مع إيساتا بوصفه جسمه المركزي.

أعاد إيساتا تسمية نفسه نابان بعد "ولادته" أمان. هذا السبب في أن البعض يعتبر كلًّا من نابان وأمان من الجيل الثاني والبعض الآخر يعتبر كلاهما من الجيل الثالث. بالنسبة لزمن حكايتنا، وجهة النظر الأكثر شيوعًا هي أن نابان من الجيل الثاني بينما أمان من الجيل الثالث؛ لأن الأول فقط هو مَن يتذكَّر بداية الزمان.

عن أصول الأسماء

إيساتا ونابان وأمان

في الميثولوچيا الكورية، نابان وأمان أول إنسانين، يُقال إنهما تزوَّجا في مكان يُدعى إيساتا يقع بالقرب من بحيرة بايكال في جنوب سيبيريا. على عكس نظرائهما الأسطوريين، نابان وأمان في حكايتنا ليس لهما چندر مُحدَّد، ويتناوبان بين الجنسين في المملكة الدنيا. لكن في قصة "تلك الحياة الواحدة: ن" يختار أمان أن يلعب دور المظلوم من نقطة مُعيَّنة فصاعدًا، وغالبًا ما يختار أن يكون أنثى خلال القيام بذلك.

كلمة أمان 阿曼

في الكورية تتجانس لفظيًّا مع مصطلح بوذي يعني الهَوَس بالذات 我慢.

مملكة الظلام (ميونج-جاي) 冥界

اسم شائع في ثقافات شرق آسيا يشير إلى عالم الموتى.

المملكة الدنيا (ها-جاي) 下界

تشير إلى عالم الأحياء كما يُرى من السَّموات العُلى.

فوكسي

مصطلح مذكور في أساطير عديدة، لكن الحقيقة الأكثر أهمية لقصة «نبي الفساد» أنه أحد الأسماء المرتبطة بالكيانات الأوائل؛ مثل نابان وأمان.

الربيع الأصفر (هوانجتشون) 黃泉

تشير إلى ربيع العالم السُّفلي. ومثل مملكة الظلام (ميونج-جاي) هو أحد أسماء عالم الموتى التي تُستخدم في الثقافات الشرق آسيوية.

ماغو وبانغو وسولمونداي

هذه الكيانات الثلاثة تشكِّل توشيتا في هذا الكتاب. ماجو إلهة خالقة في الأساطير الكورية، وبانغو إله خالق في الأساطير الصينية، وسولمونداي إلهة خالقة في بانثيون (مجمع آلهة) جيجو، أكبر جزر كوريا الجنوبية.

ميونغياك وغوانهوا

ميونغياك (مُشرِق مثل) وجوانغهوا (مَن يرى النار) أسماء مشتقَّة من المصطلح الصيني الكوري ميونغياك-غوانغهوا، والذي تعني «واضح مثل رؤية النار».

توشيتا

يُعَدُّ توشيتا أحد العوالم السماوية العديدة في علم الكونيات البوذي، وهو عالم مثالي حيث يقيم بوديساتفا مايتريا. يقال إن مايتريا سيعيش هناك مدة 5.67 مليار سنة قبل الظهور على الأرض لتنوير البشرية جمعاء.



نبذة عن المؤلفة

كيم بو يونج

إحدى أكثر كتَّاب الخيال العلمي نشاطًا وتأثيرًا في كوريا الجنوبية. تلقَّت أولى أعمالها المنشورة "تجربة اللمس" جائزة أفضل عمل روائي قصير ضمن أول دورة لجوائز كتابة الخيال العلمي. ثم فازت مرتين بجائزة أفضل رواية خيال علمي كورية التي تُقدَّم سنويًّا. كما اشتركت كيم مع المخرج الكوري الجنوبي بونج جون-هو الحائز على جائزة الأوسكار عن فيلمه "الطفيلي"- في كتابة سيناريو فيلم -Snow piercer، بالإضافة إلى كتابتها سيناريوهات أفلام أخرى. تعيش كيم بو يونج في مقاطعة جانجون بكوريا الجنوبية رفقة عائلتها.

نبذة عن المترجم

محمد نجيب

طبيب ومترجم مصري من مواليد المنصورة سنة 1992. له ترجماتٌ عديدة عن الكورية والإنجليزية، منها: الكتاب الأبيض وأفعال بشرية لهان كانج، وأرجوك اعتنِ بأمي وسأكون هناك لكيونج سوك شين. المتآمِرون الكتاب العاشر الذي يترجمه عن الكورية. ومن أعماله المترَجَمة عن الإنجليزية: دماغ مُشتَعِل لسوزانا كهالان، وحالة إرهاب لهيلاري كلينتون ولويز بيني.

الفهرس

أنا في انتظارك

"كتابة كيم بو يونج أشبه بقطعة فنية سينمائية تخطف الأنفاس. تُذكِّرنا بالعالم الذي عشناه في أفلام على غرار ماتريكس، واستِهلال Inception، ومدينة الظلام Dark City، لكنها لا تزال تقودنا إلى هذا البناء الأصيل تمامًا. كتابة بو يونج تجربة أدبية صوفية الأفكار، وسينمائية رائدة في ابتكار عوالمها. باختصار: قوية ورشيقة وباهرة".

بونج جون-هو

مخرج فيلم الطفيلي (Parasite) الحائز على جائزة الأوسكار

من خلال الموازنة بين الكآبة والأمل، بين البشاعة والجَمال، نجحت هذه القصص في أن تكون قويَّة، وفي استكشافها المحفِّز للأفكار لمعاني مثل الحب والفقد والتكيُّف، والطبيعة البشرية.

ڤاليري فالديس

(Chilling Effects)

استكشافٌ جميلٌ وصادق للعقل والجسد والروح عبر الزمن والمكان. هذه القصص ستفطر قلبكَ، ثم سترتقه بحنان وتجمع أجزاءه المحطَّمة مرة أخرى.

مارينا جيه لوستيتر

(ثلاثية نومينون Noumenon)

تصميم الغلاف: سيمون سمير





ISBN 978-977-313-970-4

المحروسة